أهل البيت عليهم السلام

ينابيع العلم ورواد المعرفة

عبد السلام كاظم الجعفري

دار الأمير
للطباعة والنشر والتوزيع

أهل البيت عليهم السلام

ينابيع العلم وروّاد المعرفة

عبدالسلام كاظم الجعفري

سر شناسه : جعفری ، عبدالسلام ، ۱۳۳۷ .
عنوان و نام پدید آور : اهل البیت علیهم السلام ینابیع العلم ورواد المعرفة/ عبدالسلام کاظم الجعفري
مشخصات ناشر : قم : دار الغدیر ، ۱۳۸۸ .
مشخصات ظاهری : ۲۷۲ ص
شابک : 7 ـ 09 ـ 8485 ـ 964 ـ 978
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا
یادداشت : عربی .
یادداشت : کتابنامه : ص . ۲۵۳ ـ ۲٦٤ ؛ همچنین به صورت زیر نویس .
موضوع : خاندان نبوت ـ فضایل .
موضوع : چهارده معصوم ـ فضایل
موضوع : علم امام
رده بندی کنگره : ۱۳۸۸ ۷ج ٤ک/BP۳٦/٤

اسم الكتاب: ..... اهل البيت عليهم السلام ينابيع العلم وروّاد المعرفة
تاليف: ..... عبدالسلام الجعفري
الطبعة : ..... الاولى
سنة الطبع: ..... ١٤٣٠ هـ ق
الناشر: ..... دار الغدير
المطبعة: ..... المعراج
الكمية: ١٠٠٠نسخة

الشابک: ٧-٠٩-٨٤٨٥-٩٦٤-٩٧٨

دارالغدیر للطباعة والنشر
تلفون: ٧٨٣٥٩٦٠ فاکس: ٦٦٤٠٧٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم العلّامة الشيخ باقر شريف القرشي

بسم اللّه الرَّحمٰن الرَّحيم

حمداً لله منزل الكتاب هدى ورحمة ونفحات من نور لعبده ورسوله محمدﷺ، وتحيات معطّرة بالوَرد والإخلاص إلى مصابيح الإسلام ودعاة العدل في الأرض أئمة الهدى عليهم السلام.

وبعد:

فإنّ من الأوليات التي تبناها الإسلام في رسالته الخالدة نشر العلم واشاعته بين الناس، فطلبه فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، ومن المستحيل أن تتطور أمة وهي قابعة بالجهل ولم تتسلح بالعلم، وقد كان السلف الصالح في القدامى قد تفرغوا وجدّوا في طلب العلم، فخدموا الأمّة ورفعوا شأنها بما انتجوه من العلم.

ومن المبشر أنّ كوكبة من ابنائنا قد جهدت في طلب العلم والتأليف، كان منهم ولدنا الفاضل عبد السلام كاظم، فقد قرأنا كتابه «أهل البيتعليهم السلام ينابيع العلم وروّاد المعرفة» فوجدنا فيه فصولاً وبحوثاً ممتعة وجهداً شاقاً، اني أهنئه وأبارك له متمنياً له المزيد من البحوث التي تنفع الناس، والتوفيق بيده تعالى يهبه للصالحين من عباده.

باقر شريف القرشي

١٢/ ربيع الثاني /١٤٢٧هـ

مقدّمة المؤلف

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أمينه المصطفى ورسوله الأوفى محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته عليهم السلام الطيبين، الطاهرين، المعصومين، حجج الله على العالمين، وبعد:

العلم والمعرفة من أفضل المحاسن التي يتحلّى بهما الإنسان ويسمو إلى أرقى مستويات الكمال. وبالعلم والمعرفة تنهض الأُمم وتبلغ إلى أهدافها السامية المنشودة، ومن المستحيل أن تحتل أُمّة من الأُمم الصدارة في قائمة الأُمم البشرية وهي رهينة الجهل.

ولقد جاء الدين الإسلامي الحنيف بتعاليم وقيم تحث الناس على ضرورة العلم والمعرفة، وتشجّع على التعلّم ونبذ الجهل.

وهناك العديد من الآيات والروايات التي تؤكّد على أنّ الدين الإسلامي قد فاق جميع الأديان السماوية في إشادته بالعلم والعلماء، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا**

﴿الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾[١] ، وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢] ، وعن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله : «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة»[٣] .

فالاسلام يناصر العلم ويدعو إلى المعرفة، ويرحّب بالأفكار والنظريات العلمية الصحيحة التي تخدم البشرية في مجالات تكميل النفوس، ويحارب الجهل والخرافة وكلّ ما يخالف العقل .

******

العلم والدين خلطان متناصران متظافران ، يزوّد أحدهما صاحبه بالقوة ، ويمدّه بالنصرة ، ويؤازره على نيل الغاية .. أمّا هؤلاء الّذين يزعمون منافرة الدين للعلم ، ومناصبة العلم للدين فهم على خطأٍ واضح وفهم غير صحيح .

فالدين والعلم إذن صنوان متآزران يعملان لغاية واحدة هي خلق الإنسان الفاضل وانشاء المجتمع الكامل .

ولا يخفى أنّ العلم من جهة خاصّة مظهر من مظاهر الدين وشعيرة من شعائره ، بل ومن أجلى مظاهره وأخصّ شعائره ، فإنّ العقيدة ـ وهي أساس الدين ـ لا تستمكن إلّا بالعلم ، والعبادات المقرّبة لا تخلص إلّا بنوره ، فالعلم أداة قوية للدين حين يوطّد العقيدة ويزكّي العمل ، والعلم مظهر جلّى من مظاهر الدين حين يتجافى بالبشر عن النقص ويدفع بهم

---

(١) المجادلة : ١١ .

(٢) الزمر : ٩

(٣) بحار الأنوار ١ : ١٧٧ .

إلىٰ الكمال، وهو عبادة من أفضل القربات عندما تحسن في طلبه النية، ويخلص لنيله السعي، قال رسول الله ﷺ: «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة»[١].

وبعد، فالتفرقة بين العلم والدين ودعوىٰ المنافرة بينهما خطّة ماكرة وضعها الاستعمار يريد بها اضلال المسلمين وفصلهم عن ينابيع العلم والمعرفة.

*****

الإسلام مرن يقبل كلّ جديد من الحق ويحترم كلّ مفيد من العلم، ومرونته واضحة بأنّه يكون رحيب الصدر أمام الحوادث، يحفّز العقول أن تفكّر وتنظر، ويتخذ الدين لنفسه موضع الإشراف علىٰ ذلك، فيقبل من النتائج ما يسعد الإنسان في حياته؛ لأنّ العلم يرقىٰ بالإنسان عن أفن الجهل وينقذه من غوائل الاضطراب والقلق ويطهره من درن الشك وهذه بذاتها هي الغاية التي أرادها الحق سبحانه وتعالىٰ لمّا شرع له الدين: **﴿لقد منّ اللهُ علىٰ المؤمنينَ إذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفُسِهم يتلُواْ عليهم آياتهِ ويُزَكّيهم ويُعلّمُهُمُ الكتابَ والحكمة﴾**[٢].

فالإسلام يرحّب بجميع العلوم، إلّا بعض العلوم الشاذة الذي منع الإسلام عنها من حيث أنّها لا تقتبس من واقع الحياة، ولا تمت إلىٰ عقل، ولا تتكى علىٰ حجّة، ومن حيث أنها تعاكس المجرىٰ الطبيعي للحياة، وتخالف الاتجاه المستقيم للفكر، وهذه: كعلم السحر والشعوذة والكهانة

---

(١) مستدرك الوسائل ١١ : ١٨٣.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

وبقية العلوم المضللة ؛- لو اعتبرنا هذه من العلوم - فإذا استثنينا هذا الصنف وحده امكننا أن نحكم بدون تردد ولا استثناء أن الاسلام نصير كلّ علم وعدو كلّ جهل وجمود.

*****

ليس بعد الرسول صلى الله عليه وآله شخصية علمية تضارع شخصية الأئمة عليهم السلام فكانت علومهم ومواهبهم قد استوعبت الشرق والغرب، وتحدّث عنها العلماء باكبار واعجاب، فكانوا بالإضافة إلى احاطتهم الواسعة بأسرار الشريعة وأحكامها لم تقتصر علومهم ومواهبهم على ذلك فحسب، بل شملت الجوانب الأخرى، لقد بنوا صروحاً للعلم بأروع صوره وجميع أنواعه، وأثر عنهم العلم والمعرفة في شتى أقطار العالم الإسلامي، واستوعبت شخصيتهم العلمية أفكار العلماء وروّاد الفكر من المسلمين وغيرهم في جميع الأعصار والأمصار.

*****

الإمامة هي خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أداء المهام التي كانت ملقاة على رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولابدّ أن يتميّز الإمام بكل ما يمكن من مميزات الرسول صلى الله عليه وآله: من العصمة، والعلم، والكمال، وسائر الصفات الحميدة وأن يتنزه عن الصفات الرذيلة.

ولقد أشبع علماء الكلام ـ في كتبهم ـ البحث والاستدلال في ذلك.

ولكن في بحث العلم اصّر الإمامية بأنّ الإمام لابدّ أن يكون عالماً بكل ما تحتاج إليه الأمّة كالنبي صلى الله عليه وآله حتّى يستحق الخلافة عنه صلى الله عليه وآله في الانقياد له، واتباعه، بل اشترطت الإمامية في الإمام أن يكون أعلم أهل

زمانه في أحكام الله تعالىٰ، وفيما تحتاج إليه الأمّة في مجالاتها الأخرىٰ، هذه الصفة- العلم - قد توّفرت في أئمة أهل البيت عليهم السلام.

******

لقد كان أهل البيت عليهم السلام اعجوبه الدنيا بمواهبهم وعبقرياتهم وكفاءتهم العلمية، إذ شرح الله صدورهم عليهم السلام للعلم والمعرفة، وأوسع قلوبهم للمعارف، فقد انفتحت لهم أسرار الكون، وغوامض الأمور، فكانوا عليهم السلام أثرىٰ الناس بمختلف العلوم والمعارف، ولقد ناظروا العلماء وأفحموهم، وتراجع خصومهم معترفين بعجزهم خاضعين لملكاتهم وقدراتهم العلمية. فلسان أهل البيت عليهم السلام هو الذي تحدّىٰ كلّ ناطق فأبكمه، وقارع كلّ بليغ فأفحمه، ثمّ لم يفتأ يقارع ويتحدّىٰ ليفهم الإنسان أن أهل البيت عليهم السلام هم معدن العلم وينابيع المعرفة.

******

لقد ربط أهل البيت عليهم السلام بين العلم الذي يحملونه وبين الهداية، إذْ هما متلازمان، لأنّ مَنْ عنده العلم الناصع المأخوذ من الله تعالىٰ والذي معه أدلته وبراهينه، فاتباعه يوجب المعرفة بحقائق الأشياء، والوقوف علىٰ خزائن الأسرار. وأصل هذه الحقيقة التي لا يعترضها ريب هو قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإنّا أهل البيت؛ من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادقٍ سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق»[1]

******

---

(١) العقد الفريد (لابن عبدربّه) ٤: ٦٧.

إنّ أهل البيت عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، شخصيات فريدة من نوعها، ولقد عرف المسلمون هذا العنوان المضئ الشامخ في سماء التاريخ والمجد المتألّق في أفق الإسلام، منذ أن نطق الوحي بهذه التسمية المباركة التي تحمل بين طياتها كلّ خير ورحمة للأمّة الإسلامية، بل لكل الإنسانية جميعاً.

أهل البيت عليهم السلام هم المرجع بعد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، وهم الأمناء على الدين الحنيف، لذا يجب معرفتهم ومودتهم ثمّ السير بنهجهم السليم.

أهل البيت عليهم السلام كانوا جذوة متوهجة تمثّل عالماً متميزاً تحفّه العناية الإلهية، أشرقت بأنوارها لتغمر ساحات الفكر الإنساني.

ولأهمية ذلك لقد خصصنا الفصل الأول في معرفة أهل البيت عليهم السلام وحجيّة أحاديثهم وأقوالهم وما يتعلّق بذلك من الأبحاث التي لا بدّ منها.

ثم تكلّمنا حول علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم الذين هم حقّاً معدن العلم وروّاد المعرفة في ثلاثة فصول مع التعرض الى الأبحاث التي كان من الضروري طرحها في ضمن هذا البحث. ثمّ ختمنا البحث بخاتمة.

ونؤكّد انّه لا يستطيع أحد أن يؤدي حق هذا البحث، ولا يتمكن أيّ أنسان أن يدرك علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، وبالأخص ما توصل إليه إمام المتقين أمير المؤمنين عليه السلام إذ أخذ علومه ومعارفه من رسول الله صلى الله عليه وآله. ولقد أشار النبي العظيم صلى الله عليه وآله إلىٰ ما وصل إليه الإمام علي عليه السلام من مستوىً رفيع في ميدان العلم والمعرفة، حيث قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «عليّ باب علمي ومبيّن لأمتي ما أرسلت به من

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٨، المعجم الكبير للطبراني ١١: ٥٥ ح

بعدي»[١].

والشيء المحقق انّ مثل هذه البحوث لم تلم بالجوانب العلمية لحياتهم الكريمة، ولا تحكي واقعهم المشرق الأصيل، وانما تلقي اضواءاً ومؤشرات علىٰ بعض معالم شخصيتهم العلمية.

الراجي رحمة ربّه
عبدالسلام كاظم الجعفري

← ١١٠٦١، جواهر المطالب في مناقب الامام علي ١: ٧٦، ينابيع المودة ١: ١٣٧، وغيرها.

(١) بحار الانوار ٢٧: ١١٣ ح٨٧، كنز العمال ١١: ٦١٤ ح٣٢٩٨١ ط.مؤسسة الرسالة.

الفصل الأول

معرفة أهل البيت عليهم السلام

ويشتمل على عدّة مباحث، منها:

مَنْ هم أهل البيت عليهم السلام ؟

عصمة أهل البيت عليهم السلام

حجيّة أحاديث أهل البيت عليهم السلام

اطاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام ...

أهل البيت عليهم السلام:

المقصود ـ شرعاً ـ من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله: فاطمة الزهراء عليها السلام والأئمّة الأطهار عليهم السلام، أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ومن أدلتنا على ذلك آية التطهير في سورة الأحزاب، وحديث الثقلين..

ولا يراد من «أهل البيت» إلّا ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة المتفق عليها، والمقبولة من الفريقين والتي ذكروها في سبب نزول آية التطهير في كتب الحديث والمناقب والتفسير، وأنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين بالاضافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صلوات الله عليهم أجمعين، فهؤلاء الخمسة الأطهار عليهم السلام هم «أهل البيت» المقصودون في آية التطهير.

والمقصود بـ «أهل البيت» في حديث الثقلين هم فاطمة عليها السلام والأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[1].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢ ح ٥، كتاب الإمارة.

خليفة كلّهم من قريش»[١]. والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

أهل البيت عليهم السلام آل النبي صلى الله عليه وآله وعترته:

ذكر الراغب في مفرداته: انّ أهل البيت صار متعارفاً في آل النبي[٢].

والآل مقلوب عن الأهل ويُصغّر على أُهيل[٣].

فيقال آل الله وآل رسوله، أي أولياؤه، أصلها أهل، ثمّ أُبدلت الهاء همزة، فصارت في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً[٤].

وأمّا العترة فالمراد بها أهل البيت عليهم السلام، كما صرّح به صاحب لسان العرب، مستدلاً بقوله صلى الله عليه وآله: «انّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» قال فجعل العترة، أهل البيت»[٥].

عصمة أهل البيت عليهم السلام:

إنّ الشيعة الإمامية تنظر إلى الإمام باهتمام بالغ، باعتباره الامتداد الشرعي للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولأهمية هذا المنصب العظيم فلابُدّ أن يتصف الإمام بأرقى مراتب الفضل والكمال؛ لأنّه خليفة الرسول صلى الله عليه وآله والمبيّن لأحكام الشريعة المقدّسة، وباعتباره القائد العام للأمّة.

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الإمام «العصمة»، والمراد

---

(١) المصدر نفسه ٣: ١٤٥٣ ح ٧، كتاب الإمارة.

(٢) مفردات الفاظ القرآن: ٦٤ «بيت».

(٣) المصدر السابق: ٣٠ «آل».

(٤) لسان العرب ١١: ٣٠ «أهل».

(٥) المصدر السابق ٩: ٣٤ «».

بها الابتعاد: عن اقتراف الفواحش والذنوب ما ظهر منها وما بطن، عمداً وخطأً وسهواً، وذلك منذ بداية حياته إلى نهايتها.

وذهبت الإمامية إلى أنّ الأئمة عليهم السلام كالأنبياء عليهم السلام في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت، عمداً وسهواً؛ لأنّهم حفظة الشرع والقوّامون به، حالهم في ذلك كحال النبي صلى الله عليه وآله ولأنّ الحاجة إلى الإمام إنّما هي للانتصار للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد، وحسم مادة الفتن، وأنّ الإمام لطف يمنع القاهر من التعدّي، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرّمات، وليقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفسّاق، ويعزّر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه، انتفت هذه الفوائد واحتاج إلى إمام آخر وتسلسل[1].

فالعصمة حالة معنوية عند المعصوم بلطف من الله وتأييده.

وهذا المعنى ما أكده علماء الإمامية في كلامهم حول العصمة.

وأما بقية المذاهب الإسلامية لم يشترطوا العصمة في الإمام، بل وحتّى عدالته[2].

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق للعلّامة الحلي: ١٦٤، وانظر: الذخيرة في علم الكلام: ٤٢٩ ـ ٤٣١، شرح جمل العلم والعمل: ١٩٢، تجريد الاعتقاد: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) قال أحمد بن حنبل: ومن غلبهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه برّاً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين.

وقال أيضاً: فإن كان أميراً يعرف بشرب المسكر والغلول يغزو معه إنما ذلك له في نفسه. راجع الأحكام السلطانية: ٢٠ لأبي يعلى الحنبلي، ت ٣٥٨ هـ

العصمة ليس معناها سلب الاختيار:

العصمة ليس معناها سلب الاختيار عن المعصوم وإلّا لم تكن فضيلة للمعصوم، بل المعصوم مع وجود العصمة فهو قادر على ارتكاب المعاصي ولكنّه يتركها باختياره؛ لعلمه بعواقب الأمور.

قال الشيخ المفيد ـ من علمائنا الكبار ـ في كتابه تصحيح الاعتقاد:

«العصمة من الله تعالىٰ لحججه هي التوفيق واللطف، والاعتصام من الحجج بها عن الذنوب والغلط في دين الله تعالىٰ، والعصمة تفضّل من الله تعالىٰ على مَنْ عَلِم أنّه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة علىٰ القبيح، ولا مضطرّة للمعصوم إلىٰ الحسن، ولا ملجئة له إليه..»[١]

وقال الشيخ أيضاً في رسالة (النكت الاعتقادية):

«فان قيل ما حد العصمة؟ فالجواب: «العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما..»[٢]

قال الشيخ المظفر في دلائل الصدق :

«انّ العصمة ملكة تقتضي عدم مخالفة التكاليف اللزومية عمداً وخطأً مع القدرة علىٰ الخلاف..»[٣]

وقال السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان:

«إنّ هذا العلم أعني ملكة العصمة لا يغيّر الطبيعة الإنسانية المختارة في

---

(١) تصحيح الاعتقاد: ١٢٨ (ضمن مصنفات الشيخ المفيد).

(٢) النكت الاعتقادية: ٣٧ (ضمن مصنفات الشيخ المفيد).

(٣) دلائل الصدق ٤: ٢١٦.

أفعالها لا إرادية ولا يخرجها إلىٰ ساحة الإجبار والاضطرار كيف! والعلم من مبادئ الاختيار ومجرد قوة العلم لا يوجب إلّا قوّة الإرادة كطالب السلامة إذا أيقن بكون مائع ما سمّاً قاتلاً من حينه فانّه يمتنع باختياره من شربه قطعاً، وإنّما يضطر الفاعل ويجبره إذا أخرج من يجبره أحد طرفي الفعل والترك من الإمكان إلىٰ الامتناع.. فالإنسان المعصوم انما ينصرف عن المعصية بنفسه...»[1].

على اى حال، فالعصمة لا تسلب الاختيار من المعصوم، سواء قلنا بان ملكة العصمة العلم بعواقب الأمور أو غير ذلك.[2]

العصمة تحتاج الى نص:

انّ العصمة تحتاج إلىٰ نص؛ لأنّ مجرد ترك جميع المعاصي لا يسوّغ لنا الشهادة لإنسان معين بالعصمة والطهارة، فهي من الأمور الخفية.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال:

«.. لا تعلم عصمته إلّا بنص الله عزّ وجل عليه علىٰ لسان نبيه صلى الله عليه وآله؛ لأنّ العصمة ليست في ظاهر الخلقة فترىٰ كالسواد والبياض وما أشبه ذلك، وهي

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١١: ١٦٣.

(٢) اي أن العصمة لا تسلب الاختيار عن المعصوم بأيّ حال من الأحوال، ويظهر لنا ذلك ـ جلياً ـ بالنظر في العصمة النسبية المتحققة في الناس العاديين، وحتّىٰ في الناس الذين ليس لهم نصيباً من ذلك، بل بمجرد علمهم بمواقع الخطر والأمور المؤدية إلىٰ الموت الحتمي، كما لو علم شخص بأنّه لو وضع قدمه علىٰ هذه الخشبة سوف يسقط في حفرة عميقة، فهو لا يقدم علىٰ هذا الفعل؛ لعلمه بعاقبه الأمر. ولكن مع ذلك في حال اجتنابه عن الفعل، فهو قادر علىٰ الفعل فيما لو أراد المجازفة في حياته وخاطر بها، ولكنه لا يقوم بذلك لأنه يريد أن يبقىٰ حيّاً.

مغيبة لا تُعرف إلّا بتعريف علّام الغيوب»[١]

الاستدلال على عصمة أهل البيت عليهم السلام:

العصمة لا تتوفر بعد الرسول صلى الله عليه وآله إلّا في أئمة الهدى، أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

فإن الدراسة الجادة لسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام تعطينا بوضوح بعدهم عن ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب، فإنّ كل واحد منهم لم يؤثر عنه في جميع أدوار حياته أنه اقترف ذنباً، أو شذ في سلوكه عمّا أراده الله تبارك وتعالى.

هذا، ناهيك عن المآثر الحسنة، والخلق النبيل، الذي سجّله التأريخ لهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ولقد استدل الإمامية على عصمة أهل البيت عليهم السلام بآيات من الكتاب، منها آية التطهير في سورة الأحزاب، ومن السنة النبوية بأحاديث أهمها حديث الثقلين، وسوف نتعرض إلى ذكر هذين الأمرين بإيجاز، ومن أراد التوسع والمزيد عليه بمراجعة الكتب[٢] التي تناولت هذا الموضوع بالتفصيل.

آية التطهير:

وقبل التعرض لتقريب الاستدلال بآية التطهير في قوله تعالى: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣]، يحسن بنا

---

(١) الخصال: ٣١٠.

(٢) لقد اشبع علماء الشيعة ـ في كتبهم ـ البحث والاستدلال فيما يخص المراد من «أهل البيت» والكلام حول عصمتهم جملة وتفصيلاً بما لا مزيد عليه.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

أن نتأمل في مفردات الآية المباركة:

﴿إنّما﴾: هي من أقوىٰ أدوات الحصر في اللغة العربية، وتفيد اثبات ما بعدها، ونفي ما عداه[١].

﴿يريد الله﴾: انّ الارادة علىٰ قسمين ـ كما قسّمها علماء الأصول ـ أحدهما: التكوينية التي لا يتخلف فيها المراد عن الارادة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢].

وثانيهما: الارادة التشريعية، وهي التي تتعلق دائماً بالأفعال التي شرّعها الله تعالىٰ للمكلفين، وهنا قد يستجيب المكلّف لإرادة الله عزّ وجلّ ويتحقق ما يريد سبحانه وتعالىٰ، وقد لا يستجيب ويعصي بالاتيان بالتكاليف ويخالف ما يريد الله تعالىٰ، وبالتالي يتخلّف المراد عن الإرادة. بعبارة أُخرىٰ: إذا كان متعلّق الارادة خصوص الأمور الواقعية من أفعال المكلفين وغيرها سميت «الارادة التكونية». وإن كان متعلقها الأمور المجعولة علىٰ أفعال المكلفين من قبل المشرّع سميت «الإرادة التشريعية».

بعد أن عرفنا ذلك: لا شك أنّ الارادة هنا في الآية المباركة هي تكوينية وليس تشريعية؛ لأنّ القول بالارادة التشريعية لا ينسجم مع كلمة الحصر المتصدّرة للآية المباركة والتي فيها دلالة قوية علىٰ الحصر، فهي لا تكون مقتصرة علىٰ أهل البيت عليهم السلام خاصّة لأن خطاب التشريع بالتخلّص من الرجس والتطهّر وما إلىٰ ذلك، هو خطاب موجّة إلىٰ كلّ المكلفين وليس خطاباً خاصّاً بجهة دون غيرها.

---

(١) راجع لسان العرب ١٣: ٣١ «أنن».

(٢) سورة يس: ٨٢.

وبالتالي لا معنىٰ لحصر ارادته تعالى «التطهير» في أهل البيت عليهم السلام وحدهم؛ بل ذلك ما يريده الله لكافة عباده.

ويمكن لنا أن نقول: إنّه ليس لأهل البيت عليهم السلام الأحكام التشريعية الخاصّة بهم، والتي تختلف عن أحكام سائر المكلفين.

ربّ هناك مَنْ يسأل إذا قلنا بأنّ الإرادة في الآية المباركة إرادة تكوينية، وهي المتحكمة في أفعال المعصوم وجميع تصرفاته بحيث لا يتخلف فيها إرادة الله عمّا يريده، فانّه لا معنىٰ ـ حينئذٍ ـ للثواب والعقاب؟

الجواب علىٰ هذا السؤال يتطلب توضيح أمرين:

الأمر الأول: إنّ ما ذهب إليه الإمامية في تفسير مسألة أفعال الإنسان وسلوكه هو «الأمر بين الأمرين»، أيّ لا جبر ولا تفويض، فجمعوا بين الأخذ بما ورد في القرآن الكريم بالصراحة من اتصال سلطان الله ونفوذه علىٰ اختيار عباده وأفعالهم، وبين تنزيه الله سبحانه عن كلّ ظلم وسوء. وهذه النظرية التي أعلن عنها أهل البيت عليهم السلام، تكون طريقاً وسطاً بين النظرية القائلة بنفي استقلال الإنسان بأفعاله، وبين النظرية الأخرىٰ القائلة باستقلال العباد في افعالهم.

لذا سلموا من مخالفة الوجدان في نفي الإرادة وسلبها كما ذهب إليه أهل الجبر، وأيضاً سلموا من شبهة المفوضة في عزل الله تعالىٰ عن خلقه وتفويض الأمر إليهم.

والذي يراجع القرآن الكريم يرىٰ مجموعة من الآيات المباركة توضح هاتين النقطتين.

الأمر الثاني: في توضيح معنىٰ العصمة (كما عرفت) فإنّ معناها استحالة صدور الذنب والخلاف من المعصوم، إلّا أنّ هذه الاستحالة تأتي

نتيجة لتربية خاصّة تقوّي ارادته بالحد الذي يستحيل منه وقوع أيّ معصية مع تأييد الله تعالىٰ ولطف منه.

وليس معنىٰ العصمة انعدام الإرادة والاختيار في سلوك المعصوم، بل مع وجود قدرته واختياره ولكنه لا يرتكب أيّ معصية ولا يترك أيّ طاعة؛ وذلك لتكامل نفسه وتصعيد أرادته علىٰ الطاعة وترك المعصية.

بعد ان عرفنا هذين الأمرين، اتضح لنا: انّ افعال المعصوم تكون باختياره وارادته ولم يكن مجبراً عليها، وبالتالي لا يتنافى ذلك مع الثواب والعقاب.

وقوله تعالى: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾: الرجس: الشي القذر (كما ذكره الراغب في مفرادات القرآن)، وقال أيضاً ما ملخصه: الرجس علىٰ أربعة أوجه أمّا من حيث الطبع وأما من جهة العقل، وأمّا من جهة الشرع، وأمّا من كل ذلك كالميتة والميسر والشرك[1].

فالرجس حالة توجب التنفر، وهي قد تكون حالة مادية ظاهرية كما في لحم الخنزير، يقول سبحانه وتعالىٰ: **﴿أو لَحْمَ خِنزِيرٍ فإنَّهُ رِجْس﴾**[2]. وقد تكون حالة نفسية تشمل أنواع الذنوب والمعاصي، يقول الله عزّوجلّ: **﴿وأمّا الَّذينَ في قُلُوبِهم مَرَضٌ فَزَادَتهُم رِجْساً إلىٰ رِجْسِهِم وماتُوا وهم كافِرُون﴾**[3].

والرجس ـ هنا ـ في الآية المباركة بمعنى الذنوب والمعاصي.

---

(١) مفرادات القرآن: ١٩٢، «رجس».

(٢) سورة الأنعام: ١٤٥.

(٣) سورة التوبة: ١٢٥.

وقوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾: هو تأكيد على مسألة إذهاب الرجس ونفي السيئات، وجاء ذكره هنا بصيغة المفعول المطلق هو تأكيداً آخر على هذا المعنى.

وأما تعبير «**أهل البيت**» فإنه اشارة إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله؛ وذلك بقرينة الآيات السابقة واللاحقة إلّا أن هناك اختلافاً وقع في المقصود بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هنا؟ ولكن قد حدد النبي صلى الله عليه وآله المراد منهم على الخصوص، ولم يدع مجالاً للشك في ذلك.

انّ آية التطهير موردها في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وعند الإماميّة هذا ظاهر إذْ يروون ذلك بالتواتر وليس أحد منهم يشك فيه، ولكن سننقل النص من غير كتبهم:

روى مسلم في صحيحه عن عائشة، قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات غداة وعليه مرط مرحّل[1] من شعر، فجاء الحسن بن علي فادخله فيه، ثمّ جاء الحسين فادخله فيه، ثمّ جاءت فاطمة فادخلها فيه، ثمّ جاء علي فأدخله فيه، ثمّ قال: **﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾**[2].

وروى الترمذي في صحيحه عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله: إنّ

---

(١) مِرْط: كساء من صوف أو خز كان يؤتزر به، مرَحّل: هو الموشى عليه صورة رحال الأبل، راجع مجمع البحرين في مادتي «مرط، رحل».

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣ ح ٢٤٢٤، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ورواه أيضاً الطبري في تفسيره ٢٢: ٥، والحاكم في مستدركه ٣: ١٤٧، والبيهقي في سننه ٢: ١٤٩.

النبي صلى الله عليه وآله جَلَّلَ الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أَذْهِبْ عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»، فقالت أُمّ سلمة: وأنا يا رسول الله؟ قال: «إنك إلىٰ خير»[1].

ثم علّق الترمذي علىٰ هذه الرواية قائلاً: هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

وفي رواية أُم سلمة الأُخرىٰ، وهي صحيحة علىٰ شرط البخاري، والتي صرّحت فيها بنزول الآية في بيتها قالت: فأرسل رسول الله إلىٰ علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء أهل بيتي»[2].

فحديث الكساء، متواتر مضمونه لتعدد رواته لدىٰ الإمامية وأبناء العامة في جميع الطبقات، والذي أصّر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ حصر الآية المباركة في الخمسة الأطهار، وحتّىٰ منع أُم سلمة من الدخول معهم، كما جاء في عدّة روايات[3]، وقال لها: أنت إلىٰ خير، أو أنت في مكانك.

كلّ ذلك حتّىٰ يزيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أية شبهة فيما يرتبط بالمراد من أهل البيت عليهم السلام.

فالآية نفسها والأحاديث الواردة في تفسيرها، بالإضافة إلىٰ الأحاديث الأُخرىٰ كالثقلين وغيره، كلّ ذلك يكفي في تحديد وتعيين المراد من «أهل البيت» الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

---

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩ ح ٣٨٧١ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٦.

(٣) مسند أحمد ٦: ٢٩٢، ٣٠٤، تفسير الطبري ٢٢: ٦ ـ ٧، شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ٨٥ طبعة الاعلمي ـ بيروت، تفسير الدر المنثور للسيوطي ٦: ٦٠٤ طبعة دار الفكر.

فآية التطهير نزلت في الخمسة الأطهار وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، ويوجد ذلك في: صحيح مسلم وصحيح الترمذي، ومسند أحمد، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، وتفسير الطبري، وغيرها من الكتب المعتمدة عند أهل السنة[١].

ورووا أيضاً في كتبهم اعتراف بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله كأم سلمة وعائشة أنّ الآية نزلت في هؤلاء الخمسة الأطهار، وصرّحت أمّ سلمة أنها خارجة عنهم[٢].

أورد السيوطي في تفسير هذه الآية في كتابه «الدر المنثور»[٣] مجموعة من الروايات بطرق مختلفة في أنّ المراد من «أهل البيت» هنا هم الخمسة الأطهار لا غير.

وذكر الطبري في تفسيره المعروف «جامع البيان»[٤] عدّة روايات بأسانيد متعددة في قصر الآية عليهم صلوات الله عليهم أجمعين.

وحسبك أيضاً تصريح بعض الصحابة، كأبي سعيد الخدري[٥] بأنّ هذه

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣ ح ٢٤٢٤ ط. دار الفكر العربي ـ بيروت، صحيح الترمذي ٥: ٣٥١ ح ٣٢٠٥ ط. دار احياء التراث العربي ـ بيروت، مسند أحمد ٤: ١٠٧ ط. دار الفكر ـ بيروت، شواهد التنزيل ٢: ٨٥، تفسير الطبري ٢٢: ٥ ـ ٧، سنن النسائي ٥: ١٠٧ ـ ١٠٨ ح ٨٣٩٩ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) راجع ما ذكرناه قبل قليل.

(٣) الدر المنثور ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٢: ٥ ـ ٧.

(٥) راجع: المعجم الأوسط للطبراني ٢: ٤٩١ ح ١٨٤٧، ط. مكتبة المعارف ـ الرياض، مجمع الزوائد ٩: ١٦٧، ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت، الصواعق المحرقة ١: ٢٢١، ط. مؤسسة الرسالة.

الآية نزلت في خمسة: رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

كما صرّح بعض علماء أهل السنة الكبار كالطحاوي ت ٣٣٩ هـ بأنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام في هذه الآية هم: رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين دون مَنْ سواهم[١].

ناهيك عن الروايات الكثيرة التي وردت في كتب الشيعة الإمامية التي تصرّح بأنّ الآية نزلت في الخمسة الأطهار لا في غيرهم.

الوقوف على باب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام:

تأكيداً في تحديد المراد من «أهل البيت» ونفي غيرهم في عصر نزول الآية المباركة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف على باب علي وفاطمة في كلّ يوم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً**﴾.

وقد داوم الرسول صلى الله عليه وآله على ذلك بمرأىٰ ومسمع الصحابة طيلة تسعة أشهر كما في رواية ابن عباس[٢]، وستة أشهر في رواية أنس بن مالك[٣]، وفي

---

(١) مشكل الآثار ١: ٣٣٢.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦: ٦٠٦ «اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطَهِّرَكُم تطهيراً...».

(٣) روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده ٣: ٢٥٩ (طبعة الميمنة في مصر): انّ النبي صلى الله عليه وآله يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلىٰ الفجر فيقول: «الصلاة يا أهل البيت ويُطَهِّرَكُم تطهيراً». وأيضاً روي ذلك في سنن الترمذي ٥: ٣١ ح ٣٢٥٩، والمستدرك علىٰ الصحيحن للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٨.

غيرهما نحو ذلك[١].

ولو سلمنا ـ بقول البعض ـ بأنّ «أهل البيت» يشمل غير الخمسة البررة في زمن نزول آية التطهير، وأخذنا بجميع المحتملات من نساء النبي صلى الله عليه وآله وغير ذلك من أقارب الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن عندما نطالع حياتهم لا نجد أيّ أحد منهم ادعىٰ العصمة من كل رجس وذنب غير الخمسة الأطهار صلوات الله عليهم. ولو اتفق الادعاء من بعضهم فلا نرىٰ عمله قد صدّق ادعاءه.

إذن عنوان «أهل البيت» قد انحصر في أصحاب الكساء في زمن نزول الآية المباركة، وأولئك الذين ذكرناهم وهم التسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين صلوات الله عليهم جميعاً (كما سياتي لاحقاً).

إدخالهم تحت الكساء:

جاءت عدّة روايات في أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذه الآية المباركة (آية التطهير) أدخل عليّاً وفاطمة والحسن تحت الكساء أو تحت «مرط أو ثوب» أو «عباءة أو قطيفة»، ولقد ذكرنا بعض هذه الروايات وإليك الأخرى:

١ ـ أخرج الطبري قال: عن أمّ سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطّىٰ عليهم عباءة أو قطيفة، ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم

---

(١) وهذا العدد الوارد في الروايات بناء علىٰ ما شاهده الراوي علىٰ تحديد أصل اتيانه صلى الله عليه وآله، لذا في بعض الروايات جاء العدد ستة أشهر وفي البعض الآخر ثمانية أو تسعة وغير ذلك.

تطهيراً»[١].

٢ ـ روىٰ الطبري عن عائشة قالت: خرج النبيﷺ ذات غداة وعليه مِرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه، ثمّ جاء علي فأدخله معه، ثمّ قال: **﴿إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرّجس أهل البيت ويُطهّرَكُم تطهيراً﴾**[٢].

٣ ـ أخرج الطبري: قال عامر بن سعد، قال سعد: قال رسول اللهﷺ حين نزل عليه الوحي فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة، وأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: «ربّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي»[٣].

٤ ـ روىٰ السيوطي: وأخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان يوم أمّ سلمة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فنزل جبرئيلعليه السلام علىٰ رسول اللهﷺ بهذه الآية: **﴿إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرّجس أهل البيت ويُطهّرَكُم تطهيراً﴾**[٤] قال: فدعا رسول اللهﷺ بحسن وحسين وفاطمة وعلي فضمهم إليه ونشر عليهم الثوب، والحجاب علىٰ أمّ سلمة مضروب، ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي، اللّهم أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: فأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنّك علىٰ خير»[٥].

---

(١) تفسير الطبري ٢٢: ٦ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) سورة الاحزاب: ٣٣. وراجع تفسير الطبرى ٢٢: ٥، ط. دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) تفسير الطبرى ٢٢: ٧، ط. دار المعرفة ـ بيروت.

(٤) سورة الاحزاب: ٣٣.

(٥) تفسير الدر المثور ٥: ١٩٨ ط. دار المعرفة – بيروت.

فهذه المبادرة من رسول الله صلى الله عليه وآله في إدخال الأهل تحت الكساء، تفسير عملي للآية وتعيين لأهل البيت عليهم السلام، حيث منع أُم سلمة من الدخول معهم.

وهذا أوضح بيان لا نحتاج معه إلىٰ أي توضيح آخر.

الآية لا تشمل نساء النبي صلى الله عليه وآله:

وليس لنساء النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية نصيب، بل اختص بها الخمسة الأطهار عليهم السلام؛ وذلك لخروجهن موضوعاً عن الأهل، فانّه موضوع لعشيرة الرجل وذوي قرباه، والزوجة غير مشمولة بذلك، ومما يؤكد هذا المعنىٰ ما صرّح به زيد بن أرقم عندما سُئل مَنْ أهل بيته (أي النبي صلى الله عليه وآله) نساؤه؟ فقال: لا، وأيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلقها فترجع إلىٰ أبيها، وقومها، أهل بيته أصله، وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده[1] هذا **أولاً**.

وثانياً: لو سلمنا أنّ الأهل يطلق علىٰ الزوج، ولكن هذا الأمر لابُدّ من تخصيصه بالأخبار الكثيرة الواردة في أنّ أهل البيت عليهم السلام المراد منهم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله خاصّة، الذين نزلت بهم الآية المباركة لا غير.

لفت نظر: وأمّا ما زعمه عِكْرِمَة البربري، مولىٰ ابن عباس بأن الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وكان ينادي ذلك بالأسواق، ويقول من شاء باهلته.

فالجواب: أنّ عِكْرِمَه حاله معروف، وذكروا في ترجمته ما لا يعول علىٰ روايته ولا يوثق به، حيث أنه من الخوارج، وكان موقف الخوارج معروفاً من الإمام علي عليه السلام.

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢٤، ط. دار الفكر - بيروت.

قال فيه يحيىٰ بن سعيد: كذّاب[١].

وقد كذّبه مجاهد، وابن سيرين، ومالك بن أنس[٢].

ذُكر عند أيوب انّه لا يُحسن الصلاة، فقال: أو كان يصلّي؟![٣].

قال ابن عمر لنافع: لا تكذّب عليّ كما كذّب عكرمة علىٰ ابن عباس[٤]. ومثله قال ابن المسيب لمولاه برد[٥].

وقال محمد بن سعد: ليس يُحتجّ بحديثه، ويتكلّم الناس فيه[٦].

وقال الشافعي: كان مالك سيّىء الرأي فيه قال: لا أرىٰ لأحد أن يقبل حديثه[٧].

ومن أراد المزيد حول ترجمة هذا الرجل فليراجع كتب التراجم والتاريخ لأعلام المسلمين؛ ليقف علىٰ ما ذكروه من الجرح والقدح فيه، وفيما أشارنا إليه الكفاية.

---

(١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢: ١٨٢ رقم ٢٣٣٤، تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢ رقم ٤٠٠٩.

(٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزري ٢: ١٨٢ رقم ٢٣٣٤.

(٣) تهذيب الكمال ٢: ٢٨٤.

(٤) ذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين ٢: ١٨٢ رقم ٢٣٣٤، والمزّي في تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩ رقم ٤٠٠٩.

(٥) حكاه عنه الجوزي في الضعفاء والمتروكين ٢: ١٨٢ رقم ٢٣٣٤، ورواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٢: ٣.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٥: ٢٩٣.

(٧) حكاه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١: ١١٦، والمزّي في تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٣.

وثالثاً: في الإجابة على شبهة اختصاص الآية بازواج النبي صلى الله عليه وآله وانّ الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر ثمّ العود إلى الأول ليس غريباً، بل له أمثلة كثيرة في القرآن الكريم ولسان العرب.. ويقول صاحب تفسير مجمع البيان: «ومتى قيل: إنّ صدر الآية وبعدها في الأزواج، فالقول فيه: إنّ هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم؛ فإنّهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم»[1].

فإنّ وحدة السياق لا يصح الاعتماد عليها في آيات الذكر الحكيم كقاعدة كليه؛ إنّ الآية من القرآن يكون أولها في شيء وآخرها في شيء آخر.

ثمّ إنّ صاحب تفسير المنار نقل عن استاذه الشيخ محمد عبده: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن آخر، ثمّ يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة[2].

ولو سلمنا جدلاً بصحة الاعتماد على دلالة السياق للآيات، فإنّ قوله تعالى: ﴿**ليُذهبَ عنكم...**﴾ و ﴿**ويُطَهِّرَكُم**﴾ بضمير المذكر دون ضمير المؤنث، هو نص صريح على إخراجهن من الآية. وليس من شك أن دلالة النص مقدمة على دلالة السياق لأنها أقوى وأظهر.

رابعاً: إنّ المفسرين والمحدثين قد اعتمدوا في إخراجهن على الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وآله، وقد اتفقت كلمة المسلمين على أنّ السنة النبوية تفسير وبيان لكتاب الله[3].

---

(١) مجمع البيان ٧: ٣٥٧.

(٢) التفسير الكاشف ٦: ٢١٧.

(٣) انظر التفسير الكاشف ٦: ٢١٨.

وأما القول بشمول الآية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأصحاب الكساء معاً؛ وذلك للمحافظة على النصوص الواردة وسياق الآية.

فالجواب عليه: انّ منع النبي صلى الله عليه وآله لأمّ سلمة من الدخول معهم تحت الكساء، والذي جاء ذلك في عدّة روايات فهو خير دليل على اختصاص الآية بأصحاب الكساء فقط.

خامساً: انّ بعض الروايات الشاذة الواردة التي رواها عكرمة وأمثاله في قوله للناس: «ليس الذي يذهبون إليه، إنّما هي أزواج النبي صلى الله عليه وآله»[1] وكان ينادي بذلك في الأسواق، بعد غض النظر عن حال عكرمة المعروف بالكذب (كما عرفت) فانّها إلى التأييد أقرب منها إلى المنع؛ لأنّها تحكي عن شيوع تفسير أهل البيت عليهم السلام بأصحاب الكساء، فحاول عكرمة رفع هذا التفسير السائد والمعروف عند الناس.

وجمع السيد البحراني واحداً وأربعين حديثاً من طرق أهل السنة غير ما رواه عن الخاصّة، كلّها تحكي فعل رسول الله وتطبيق عنوان «أهل البيت» على عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[2].

وانظر أيضاً الروايات التي رواها الطبري في تفسيره «جامع البيان»، والسيوطي في تفسيره «الدر المنثور» في ذيل الآية الشريفة[3].

الى هنا اتضح لنا الاستدلال بآية التطهير على عصمة أهل البيت عليهم السلام مع تحديد المراد منهم.

---

(١) انظر شواهد التنزيل: ١٩٩.

(٢) راجع غاية المرام في حجّة الخصام ٣: ١٧٣ ـ ٢١١، طبعة دار الكتاب العربي.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٢: ٥ ـ ٧، الدرّ المنثور ٥: ١٩٨ ـ ١٩٩.

آيات أُخرىٰ نزلت في أهل البيت عليهم السلام، منها:

هناك آيات مباركة أُخرىٰ نزلت في أهل البيت عليهم السلام، وقد تكفل بعض العلماء بالبحث حول ما يتعلق بهذا الموضوع واستخراج الأحاديث في ذلك ببحث علمي يعتمد علىٰ المنطق الصحيح، ومن هذه الكتب كتاب «عبقات الأنوار» في عدّة مجلدات للسيد حامد اللكهنودي، والموسوعة القيّمة «الغدير» للعلّامة الأميني، وكتاب «المراجعات» للسيد شرف الدين، وغيرها من الكتب.

ونكتفي ـ هنا ـ بالإشارة فقط إلىٰ بعض هذه الآيات المباركة، منها:

آية المباهلة قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

لقد ذكر المفسّرون ورواة الحديث أنّ هذه الآية المباركة نزلت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد عبّرت الآية عن الأبناء بالحسن والحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وعبّرت عن النساء بفاطمة الزهراء عليها السلام، وعن الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام بأنفسنا[2].

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) تفسير الطبري ٣: ٤٠٨، تفسير القرطبي ٤: ١٠٤، تفسير الرازي ٨: ٨٦، تفسير الكشّاف ١: ٤٣٤، تفسير البيضاوي ١: ٢٦٦، تفسير روح المعاني ٣: ١٨٨، سنن الترمذي ٥: ٢٠٢، شواهد التنزيل ١: ١٢٧، السنن الكبرىٰ ٧: ٦٣، أُسد الغابة ٤: ٢٦.

تفسير فرات الكوفي: ٨٥، تفسير التبيان ٢: ٤٨٥، تفسير مجمع البيان ٢: ٤٥٢، الخصال للصدوق: ٥٧٦، الأمالي للطوسي: ٢٧١ المجلس العاشر ح ٤٥، وغيرها.

وفي يوم المباهلة أتىٰ رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليٌّ خلفها، وهو يقول: «إذا دعوتُ فأمّنوا». فقال أسقُفُ نجران: يا معشر النصارىٰ، إني لأرىٰ وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقىٰ نصراني إلىٰ يوم القيامة[١]. فانصرفوا عن المباهلة.

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف بعد أن نقل هذه القصة:

«وفيه دليل لا شيء أقوىٰ منه علىٰ فضل أصحاب الكساء عليهم السلام»[٢].

ووردت عدّة روايات مستفيضة من الفريقين عن جمع من الصحابة والتابعين حول مسألة المباهلة ونزول الآية الكريمة في أهل البيت عليهم السلام، وقد حكىٰ ابن شهرآشوب ذلك عن أكثر من خمسين صحابيّاً ومصدراً في كتابه «المناقب» في المجلّد الثالث[٣]، والسيد ابن طاوس في كتاب «سعد السعود»[٤].

وأيضاً عقد العلّامة المجلسي باباً في كتاب «بحار الأنوار» في المجلّد الخامس والثلاثين ذكر فيه بعض ما روي حول آية المباهلة.

وأيضاً جاء في موسوعة «إحقاق الحق»[٥] مصادر عديدة عن العامّة

---

(١) تفسير الكشّاف ١: ٤٣٤، تفسير البيضاوي ١: ٢٦٦.

(٢) تفسير الكشّاف ١: ٤٣٤ ط. مكتبة البابي الحلبي - مصر.

(٣) المناقب ٣: ١٤٢.

(٤) سعد السعود: ٩١، وما بعدها، ذكر عدّة طرق.

(٥) احقاق الحق للسيد نور الله الحسيني التستري، ت ١٠١٩، طُبع في عدة مجلدات مع تعليقات واستدراكات للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

والخاصّة كما في المجلّد الثاني والثالث والرابع عشر وغيرها[١].

وعندما جمع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وشملهم ونفسه بردائه المبارك، قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[٢].

آية المودة قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْـرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣].

ذهب جمهور من المفسّرين والرواة إلىٰ أنّ المراد بالقربىٰ الذين فرض الله تعالى مودّتهم علىٰ الناس هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، والمراد من اقتراف الحسنة ـ في الآية ـ هي مودّتهم وولائهم، لقد روىٰ ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «عليّ وفاطمة وابناهما»[٤].

آيات سورة هل أتىٰ: فهي من السور التي نزلت في أهل البيت عليهم السلام، لقد روىٰ ذلك مجموعة من المفسّرين والمحدّثين[٥]، والسبب في نزولها هو

---

(١) سعد السعود: ٩١.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦٩٩، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة عليها السلام حديث ٣٨٧١.

(٣) سورة الشورىٰ: ٢٣.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٧ ح ٢٦٤١، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٩، الدر المنثور للسيوطي ٧: ٣٤٨، في تفسير الآية.

(٥) تفسير الفخر الرازي ٣٠: ٢٤٤، أسباب النزول للواحدي: ٢٥١، تفسير القرطبي ١٩: ١٣٠، تفسير الكشّاف ٤: ١٩٧، تفسير الآلوسي (روح المعاني) ٢٩: ١٥٧،

←

بمناسبة قصة صيام عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثلاثة أيام وتصدّقهم في تلك الثلاثة بطعامهم على المسكين واليتيم والأسير فنزلت الآيات المباركة: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[1] وذلك تكريماً لأهل البيت عليهم السلام وشكراً لهم على هذا الايثار الذي لا نظير له في عالم الخير والمبرات، فنزلت هذه السورة وفيها أجمل الثناء وعاطر الذكر لأهل بيت الوحي عليهم السلام، وأورثهم في دار الآخرة الفردوس الأعلى، وجعلهم خالدين الذكر على إحسانهم وإيثارهم.

آية التبليغ: ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ من رَبِّكَ وإنْ لم تَفْعَلْ فما بلَّغْتَ رِسالتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ من النّاسِ﴾[2].

نزلت هذه الآية المباركة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في «غدير خم» بعد أن رجع من حجّة الوداع، وقد أمر الله تعالى فيه نبيه بالإعلان عن نصب الإمام علي عليه السلام خليفة من بعده، فقام النبي صلى الله عليه وآله خطيباً بالجموع الغفيرة التي كانت معه فنصب أمير المؤمنين عليه السلام خليفة وقائداً لأمته من بعده، وقال مقالته المشهورة: «مَنْ كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللّهم والِ مَنْ والاهُ، وعادِ من عادهُ،

← المناقب للخوارزمي الحنفي: ١٨٨، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي: ٢٨١، الكشف والبيان ١٠: ٩٨ الخبر مفصّلاً (تفسير سورة الانسان)، والحاكم الحسكاني من طرق كثيرة عن ثلاثة من الصحابة راجع شواهد التنزيل ٢: ٢٩٨ ـ ٣١٠.

(١) سورة الانسان: ٥ ـ ٩.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

وانصر من نَصَرهُ واخْذِلْ من خَذَله»[١].

وقد حمل هذا النص عن رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ من كان معه يومئذٍ وكان عددهم يربو على مئة ألف نسمة من بلاد شتى.

إنّ حديث الغدير كان محل العناية من الله تعالى، إذ أنزل فيه قرآناً يرتّله المسلمون إلى يوم القيامة.

ولمّا بلّغ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الرسالة بنصّه على ولاية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وعهده إليه بالخلافة أنزل الله عزّ وجلّ عليه: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَـمَ دِينًا﴾[٢].

حديث الثقلين

انّ هذا الحديث من أكثر الأحاديث النبوية شهرة بين المسلمين، فهو متواتر إذا لوحظ رواته من الفريقين في مختلف الطبقات وإن اختلفت بعض ألفاظ الحديث، وهو ما تقتضيه تعدد الواقعة التي صدر فيها عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، مع اتحاد المضمون، فموضع التطابق بين الرواة متواتر قطعاً.

وقد أوصله ابن حجر ـ أحد علماء السنة ـ في كتابه الصواعق المحرقة[٣] إلى نيف وعشرين صحابياً، بعد أنْ صرّح بأنّ له طرقاً كثيرة.

وهناك رسالة قيمة صدرت عن دار التقريب في مصر، فيها عرضت طرق وأسانيد حديث الثقلين على اختلاف أسانيدها مع ذكر كل الفاظ

---

(١) اسباب النزول (للواحدي): ١٥٠، تفسير الرازي ٤: ٤٠١، الدر المنثور ٦: ١١٧، وغيرها.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٠، الباب الحادي عشر الفصل الأول.

الحديث التي ورد فيها[١].

حديث الثقلين، ثابت، صحيح، أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث في الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم بطرق كثيرة، عن العديد من الصحابة، منهم: أبو سعيد الخدري، جابر بن عبدالله، زيد بن الأرقم، خزيمة بن ثابت، عبدالله بن عباس، وغيرهم.

فالنبيﷺ لمّا أحس بقرب أجله أوصىٰ أُمته بأمرين مهمين، وهما القرآن الكريم والعترة الطاهرة، وعبّر عنهماﷺ بالثقلين لأهميتهما، وحثّ علىٰ التمسك بهما واتباعهما.

التصريح بالحديث في مواقف مشهودة:

لقد صرّح الرسولﷺ بذلك في مواقف مشهودة محتشدة بالصحابة، وكان من أكبر المواقف والتجمعات هو يوم عرفة ويوم الغدير، ثم في موقف المسجد بالمدينة، وأخيراً في حين مرضهﷺ في الحجرة عندما رآها امتلأت من الناس، كلّ ذلك لأهمية هذا الأمر، وشدّة خطره.

ولقد روىٰ الصحابة عن الرسول الأعظمﷺ الحديث بالفاظ متقاربة

---

(١) اثبتت العديد من الدراسات الحديثية تواتر حديث الثقلين كما قام به العالم الباحث السيد مير حسين حامد اللكهنودي من علماء الهند الكبار، ت ١٣٠٦ هـ في موسوعته القيّمة «عبقات الأنوار»، قد رواه عن جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء المذاهب من المائة الثانية إلىٰ المائة الثالثة عشرة مع مراعاة سنة وفاة الرواة وطبقاتهم، وعن الصحابة والصحابيات جميعهم رووا هذا الحديث عن النبيﷺ، ولقد أجاد المؤلف البحث في هذه الموسوعة مع كمال الانصاف والتتبع الشامل، والاستقراء الدقيق.

في مضمون واحد، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبدالله قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «يا أيها الناس، إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1].

وروى زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة... ثمّ قال: أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وإنّي تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.. وأهل بيتي»[2].

وجاء عن زيد بن ثابت أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[3].

من دلالات حديث الثقلين:

والشيء المهم جدّاً في دلالة حديث الثقلين، هو عصمة أهل البيت عليهم السلام من كل رجس وزيغ؛ وذلك لإقترانهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريح الرسول صلى الله عليه وآله فيه بعدم افتراقهم عنه، وأنّ صدور أيّة مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمدٍ أو سهوٍ أو غفلةٍ، تعتبر افتراقاً عن القرآن. ولكن الرسول صلى الله عليه وآله صرّح بتلازمهما بشكل مطلق،

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٦٢ ح ٣٧٨٦، باب مناقب اهل البيت، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٦٣ ح ٢٦٨٠.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ ح ٣٦، باب فضائل الإمام علي عليه السلام.

(٣) مسند أحمد ٥: ١٨٩ طبعة دار الفكر.

وعدم افتراقهما حتىٰ يردا الحوض. إذن نستنتج من ذلك عصمتهم عليهم السلام، وإلّا لما صحّت المقارنة بينهما، ولعدّ إخبار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن عدم افتراقهما كذباً ورجماً بالغيب، وهذا ما لا يقول به أيّ مسلم.

فالحديث يدلّ بكلّ وضوح علىٰ عصمة العترة الطاهرة، الذين هم أهل بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

والأمر الآخر الذي نستنتجه من حديث الثقلين: هو أنّ الحديث يثبت تميز أهل البيت عليهم السلام بالعلم بكلّ ما يتصل بالشريعة المقدّسة وغيرها، وذلك باقترانهم بالقرآن الكريم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

وأيضاً العترة الطاهرة موجودة ما دام القرآن الكريم موجوداً؛ لذا قال الرسول صلى الله عليه وآله في حديث الأئمة اثني عشر: «حتّىٰ تقوم الساعة».

وهذا مما فهمه شرّاح حديث «الثقلين» من هذه الناحية، وعباراتهم تدلل علىٰ ذلك، نذكر منها:

ما قاله المنّاوي في «فيض القدير» في شرح حديث الثقلين: «تنبيه: قال الشريف ـ يعني السمهودي الحافظ الكبير ـ هذا الخبر يُفهم وجود مَنْ يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمان إلىٰ قيام الساعة، حتّىٰ يتوجّه الحث المذكور إلىٰ التمسّك به، كما أنّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»[1].

ونحوها عبارة ابن حجر المكّي في الصواعق، حيث قال: «وفي حديث الحث علىٰ التمسك بأهل البيت إشارة إلىٰ عدم انقطاع مُتأهل منهم للتمسّك به

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ١٥، طبعة دار الفكر.

إلىٰ يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك»[١].

تحصّل أنّ من أدلتنا علىٰ إمامة الأئمة الأثني عشر عليهم السلام هو: حديث الثقلين، والحديث الذى يحدد عدد الأئمّة بعدالرسول صلى الله عليه وآله بالإثني عشر.

رواية «وسنتي»:

مما ينبغي التنبيه عليه: انّ ما ذكره البعض من الرواية المشتملة علىٰ لفظ (وسنتي) بدلاً من (وعترتي) فهي لم ترد إلّا في روايات قليلة جداً، مع الضّعف في سندها، فهي لا تقاوم تلك الروايات الصحيحة والمروية في عدّة طرق، وفيها لفظ (وعترتي).

ولقد كفانا علماؤنا مؤنة البحث في ذلك. ونشير إلىٰ ما ذكره السيد محمد تقي الحكيم في بحثه المبسوط حول هذا الموضوع، قائلاً:

«وفي حدود تتبعي لكتب الحديث، واستعانتي ببعض الفهارس، لم أجد رواية وسنّتي إلّا في عددٍ من الكتب لا تتجاوز الأصابع لليد الواحدة، وهي مشتركة في رواية الحديثين معاً، اللهم إلّا ما يبدو من مالك حيث اقتصر في «الموطأ» علىٰ ذكرها فحسب، ولم يذكر الحديث الآخر ـ إن صدق تتبعي في الكتب ـ يقول راوي الموطأ:

وحدّثني عن مالك: «أنّه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه»[٢].

ويكفي في توهين الرواية أنها مرفوعة ولم يذكر الكتاب رواتها، ممّا

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢، الباب الحادي عشر، الفصل الأول.

(٢) الموطأ ٢: ٨٩٩، كتاب القدر، طبعة عيسىٰ البابي الحلبي.

يدل على عدم اطمئنان صاحبها إليها ولسانها «عن مالك أنّه بلغه انّ رسول الله صلى الله عليه وآله»، ولعلّ الموطأ هو أقدم مصادرها في كتب الحديث، كما أنّ ابن هشام هو أقدم رواتها في كتب السير فيما يبدو. وما عدا هذين الكتابين، فقد ذكرها ابن حجر في صواعقه مرسلة، وذكرها الطبراني فيما حكي عنه[1].

أحاديث أُخرى:

تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام

لقد وردت عدّة روايات رواها علماء الإسلام بعشرين طريقاً، بعضها من طرق أهل السنة والأخرى من طرق الشيعة.

وجاءت بالفاظ متقاربة تشير إلى مضمون واحد وهو تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام بحيث ينجو من ركبها ويهلك من تركها...

ورد في كتاب المناقب للفقيه أبي الحسن ابن المغازلي الشافعي بخمسة طرق وفيها عن الرسول صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها (أو من ركب فيها) نجا، ومن تخلّف عنها هلك أو غرق»[2].

وعن إبراهيم الحموييني بخمسة طرق عنه صلى الله عليه وآله: « إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها أو من دخلها نجا، ومن تخلّف عنها غرق أو هلك»[3].

---

(١) الأُصول العامة للفقه المقارن: ١٧١ ـ ١٧٢ طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) المناقب: ١٣٢ ـ ١٣٤، الأحاديث ١٧٣ ـ ١٧٧، طبعة دار الأضواء ـ بيروت.

(٣) راجع غاية المرام (للبحراني) ٣: ١٤ ـ ١٦ طبعة مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، وانظر فرائد السمطين ٢: ٢٤٢.

وفي الفصول المهمّة لعلي بن الصباغ المالكي: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها زج في النار»[١].

عن أبي سعيد الخدري، قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق. وإنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له»[٢].

تشبيه أهل البيت عليهم السلام بالنجوم:

هذا العنوان اشارة إلى مضمون حديث اتفق على روايته أهل السنة والشيعة..

لقد أخرج الحاكم في المستدرك بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف»[٣].

ثمّ اعترف الحاكم بصحة هذا الحديث.

وروى القندوزي في ينابيع المودّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٤].

وعن أياس بن سلمة عن أبيه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) الفصول المهمة: ٢٥ طبعة دار الأضواء ـ بيروت.

(٢) فرائد السمطين ٢: ٢٤٢ حديث ٥١٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٩.

(٤) ينابيع المودّة ٢: ١٧، الباب السادس والخمسون.

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»[١].

أهل البيت عليهم السلام أمان للأمة:

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «النجوم أمانٌ لأهل السماء وأهل بيتي أمانٌ لأمتي».

روىٰ هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: الإمام علي عليه السلام، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، وغيرهم ورواه أحمد بن حنبل، والطبراني والحاكم النيسابوري، والمتقي الهندي [٢].

وقد صححه الحاكم[٣]، وكذا ابن حجر[٤]، وحسّنه السيوطي[٥]، وأشار المنّاوي[٦] إلىٰ كثرة طرقه.

فالحديث معتبر صحيح، وله عدّة طرق.

ودلالته واضحة في لزوم التمسّك بأهل البيت عليهم السلام وجعل التمسك بهم أماناً للأمة من الهلاك. بحيث شبههم الرسول صلى الله عليه وآله بنجوم السماء، وهي التي يقع بها الاهتداء، فكذلك الاقتداء بهم عليهم السلام يحصل الأمان من الهلاك.

---

(١) احياء الميت بفضائل أهل البيت (للسيوطي): ٤٨ ـ ٤٩ حديث ٢١.

(٢) فضائل الصحابة ٢: ٦٧١، المعجم الكبير ٧: ٢٢، مستدرك الحاكم ٢: ٤٤٨، ٣: ١٤٩، كنز العمال ١٢: ٩٦ حديث ٣٤١٥٥.

(٣) مستدرك الحاكم ٢: ٤٤٨، ٣: ١٤٩.

(٤) الصواعق المحرقة: ٣٥١ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٥) الجامع الصغير ٢: ٦٨٠ ح ٩٣١٣ طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٦) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦: ٢٩٧ حديث ٩٣١٣ طبعة دار الفكر ـ بيروت.

حديث الحرب والسلم: قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «أنا حرب لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم».

روى هذا الحديث بألفاظ متقاربة مجموعة من الحفاظ وأصحاب السنن كأحمد بن حنبل، وابن ماجة، والترمذي، وابن أبي شيبة، والطبراني، وابن عساكر، والحاكم النيسابوري، وقال فيه هذا الأخير: إنّه حديث حسن. وكذلك أقرّه الحافظ الذهبي[1].

ومما لا ريب فيه أنّ الحديث يدلّ بكل وضوح على عظم منزلة أبناء هذا البيت وعلوّ مكانتهم، بحيث صار المحارب لهم محارباً لرسول الله صلى الله عليه وآله والمسالم لهم مسالماً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهناك روايات أخرى وردت في هذا المجال أيضاً، ناهيك عن الروايات التي جاءت في منزلة وفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أول أئمة أهل البيت عليهم السلام.

حديث المنزلة: وهو قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[2].

---

(١) مسند أحمد ٢: ٤٤٢، سنن ابن ماجة ١: ٥٢ حديث ١٤٥، سنن الترمذي ٥: ٣٦٠، باب ما جاء في فضل فاطمة، المصنّف ٧: ٥١٢، المعجم الكبير ٣: ٤٠، تاريخ دمشق ١٣: ٢١٨، مستدرك الحاكم وبهامشه تلخيصه للذهبي ٣: ١٤٩.

(٢) راجع: صحيح البخاري ٣: ٨٦، باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم ٤: ١٨٧١، باب فضائل علي، ذكره بعدة طرق، وسنن ابن ماجة ١: ٤٢، باب فضل علي بن أبي طالب حديث ١١٥ و١٢١، ومسند أحمد بن حنبل ١: ٢١٩ حديث ١٤٩٤، وغيرها.

والحديث صحيح مستفيض، بل متواتر، عند الفريقين، وقد ذكر السيد شرف الدين هذا النص أو مضمونه في موارد عديدة ومناسبات مختلفة مع التصريح بالمصادر من الصحاح والمسانيد في كتابه «المراجعات»، المراجعة ٣٢، يظهر من مجموعها انّ للامام علي عليه السلام كلّ ما لهارون من منزلة غير النبوة، والاستثناء دليل عموم المنزلة، وأظهر المنازل التي كانت لهارون من موسىٰ عليه السلام إنما هي منزلة الوزارة والخلافة، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿**واجْعَل لي وزيراً من أهلي * هارونَ أخي * اشْدُد بهِ أزْري * واشْرِكْهُ في أمْري**﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿**وقال موسىٰ لأخيهِ هارُونَ اخْلُفْني في قَوْمي وأَصْلِحْ ولا تَتَّبِعْ سبيلَ المُفْسِدينَ**﴾[2].

ومن الأحاديث الأُخرىٰ أيضاً:

ورد عن زيد بن أرقم وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله، قال:

«من سرّه أن يحيي حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[3].

عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسىٰ الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة طه: الآية: ٢٩ ـ ٣٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٤٢.

(٣) حلية الأولياء ١: ٨٦، كنز العمال ١٢: ١٠٣ حديث ٣٤١٩٨.

«من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقىٰ ويعتصم بحبل الله فليوال عليّاً وليعاد عدوّه وليأتمّ بالأئمة الهداة من ولده فإنّهم خلفائي وأوصيائي، وحجج الله علىٰ خلقه من بعدي، وسادات أُمّتي، وقادات الاتقياء إلىٰ الجنّة، حزبهم حزبي، وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»[١].

وقال صلى الله عليه وآله:

«الزموا مودتنا أهل البيت، فإنّه من لقي الله وهو يودُّنا، دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفة حقنا»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله:

«لا تزول قدما عبد ـ يوم القيامة ـ حتىٰ يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين أكتسبه، وعن محبتنا أهل البيت»[٣].

ولولا أنّ أهل البيت عليهم السلام لهم ذلك المنصب الرفيع من قبل الله تعالىٰ يستوجب السمع والطاعة لما كانت محبتهم ومودّتهم بهذا القدر من الأهمية.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولا يتي وولاية أهل بيتي أمان من النار»[٤].

---

(١) ينابيع المودّة ٢: ٣١٦ طبعة دار الأسوة.

(٢) المحاسن ١: ٦١ ح ١٠٥، أمالي الطوسي: ١٨٧،احياء الميت (للسيوطي): ٤٦ الحديث ١٨، مجمع الزوائد ٩: ١٧٢، مستدرك الوسائل ١: ١٥١ حديث ٣٣٣.

(٣) احياء الميت (للسيوطي): ١٥٥، مجمع الزوائد ١٠: ٣٤٦.

(٤) امالى الصدوق: ٥٦٠ ح ٧٥٠/ ٨، بحار الأنوار ٢٧: ٨٨ ح ٩٢ باب ٤.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا المنذرُ وعليّ الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي»[١].

وهذا الحديث ـ كغيره من الأحاديث ـ صريح في عصمة الإمام عليه السلام، كما لا يخفىٰ علىٰ من تدبّر.

الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر:

الشيعة تعتقد بأنّ الأئمّة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله اثنا عشر، أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه الشريف، وهم معصومون من كل ذنب ورجس.

ولقد دل علىٰ امامتهم عليهم السلام عند الإمامية بتواتر النصوص من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الإمام علي عليه السلام، والتعيين بالعدد والأسماء والألقاب، وتوضيح صفة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، وبالنص من كل إمام منهم علىٰ الإمام الذي يليه[٢].

ولقد صح عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بطرق كثيرة انّ الإمامة في اثني عشر

---

(١) كنز العمال ١١: ٦٢٠ ح ٣٣٠١٢، ينابيع المودة ٢: ٧٣ ح ٣٤.

(٢) النصوص في هذا المجال كثيرة، راجع: أُصول الكافي ١: ٢٢٦ كتاب الحجة باب ما نصّ علىٰ الأئمّة عليهم السلام، اكمال الدين: ٢٥٦ وما بعدها، باب ٢٤ ما روىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله في النص علىٰ الأئمّة عليهم السلام، وبحار الأنوار ٢٣: ٢٨٩ و٣٦: ١٩٢، الباب ٤٠ في نصوص الله علىٰ الأئمة عليهم السلام، وصفحة: ٢٢٦، الباب ٤١ في نصوص الرسول صلى الله عليه وآله على الأئمة، واثبات الهداة ١: ٤٣٣، الباب ٩، وتأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ١: ٣٥، وكفاية الأثر في النص علىٰ الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

أميراً أو خليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وكلّهم من قريش، وقد صحّت هذه الروايات عند البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والحاكم في المستدرك، وغيرهم، وجاءت بتعابير مختلفة تتفق على المضمون الواحد الذي ذكرناه.

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنّه قال: كلّهم من قريش»[1].

ومنها: ما رواه مسلم في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»[2].

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في المسند عن مسروق، قال: «كنّا جلوساً عند عبدالله بن مسعود، وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وآله كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبدالله: ما سألني عنها منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إثني عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل»[3].

حتى أنّ بعض علماء أهل السنة قد اهتدوا في معرفة المراد من هذه الأحاديث ـ وهو كما ذهب إليه الشيعة الإماميّة ـ وألفوا في ذلك الكتب، منها: (تذكرة الخواص) في أحوال الأئمّة الاثنى عشر من آل البيت لابن الجوزي[4]

---

(١) صحيح البخاري ٨: ١٢٧.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٣ ح ١٨٢٢، كتاب الامارة.

(٣) مسند أحمد ١: ٣٩٨ طبعة دار صادر.

(٤) هو شمس الدين أبو المظفر يوسف البغدادي سبط الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي الحنفي (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ)، له عدّة تصانيف منها تذكرة ←

و(الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي[١]، و(الأئمة الأثني عشر) لابن طولون[٢]، وغيرهم.

ومن القرائن التي تشهد على أنّ المراد بالحديث هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام وليس غيرهم: هو تصريح النبي صلى الله عليه وآله بأنّ الدين يبقى عزيزاً، وأمر الناس قائماً، فيما لو وليهم هذا العدد من قريش.

فالمتابع لتاريخ الخلافة ابتداء من الخلافة الراشدة، ومروراً بالخلافة الأموية، وانتهاء بالخلافة العباسية، بل والعثمانية، لا يجد ما يوافق أحاديث الأئمّة الأثني عشر.

وأعجب شيء قالوه في ذلك: إدخال بعضهم لمعاوية بن أبي سفيان وولده يزيد بن معاوية في عداد الخلفاء الاثني عشر. راجع كلام ابن حجر

← خواص الأُمة بذكر خصائص الأئمة، تفسير القرآن في سبعة وعشرين مجلداً، وشرح صحيح مسلم، ومرآة الزمان في أربعين مجلداً، وغيرها.

(١) هو نور الدين علي بن محمد المالكي السخاوي، ولد بمكة ٧٨٤ هـ واشتهر بابن الصباغ المالكي المكّي؛ لأنّه كان من أعيان المذهب المالكي في عصره، وكانت وفاته سنة ٨٥٥ هـ وله مؤلفات منها: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمّة من أهل بيت العصمة، وقد طواه على اثني عشر فصلاً على عدد الأئمة عليهم السلام ثم ذكر الفصول على الترتيب، ومن مؤلفاته أيضاً «العبر فيمن شفه النظر»، وغيرها.

(٢) وهو شمس الدين محمد بن طولون الحنفي، مؤرخ دمشق، قامت ثقافته على المشاركة في أكثر العلوم، توفي سنة ٩٥٣ هـ لقد ألف في التراجم وتواريخ الدول والحوادث وكذلك في تواريخ المدن والأماكن، ومن مؤلفاته كتاب الأئمة الاثنى عشر (عند الامامية) أو شذرات الذهب.

العسقلاني في «فتح الباري»[١]، وانظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي[٢].

ولا يخفىٰ علىٰ كلّ مسلم له دراية بالتاريخ الصحيح ما ذكره من أعمال لهما وما سجّله من الأقوال، والتي تشهد بذلك بخروجهما عن الإسلام، بل بكفرهما، فضلاً عن تولي خلافة رسول الله وإمامة المسلمين. راجع علىٰ سبيل المثال كتاب: «النصائح الكافية لمن تولىٰ معاوية» لابن عقيل، و«الردّ علىٰ المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد» لابن الجوزي، وحاشية السقّاف علىٰ «وقع شُبه التشبيه» لابن الجوزي: ٢٣٦ ـ ٢٤١، وترجمة يزيد في «تاريخ الخلفاء» للسيوطي: ١٨٢ ـ ١٨٦، وغيرها.

لذا ما ذهب إليه الإمامية في تحديد ومعرفة الخلفاء الاثني عشر هو الصواب ؛ وذلك لعدم ملائمة الواقع الخارجي والتاريخي لغير ما ذهب إليه الإمامية، بحيث أنّ السلطة الظاهرية قد تولاها من قريش أضعاف هذا العدد، فضلاً عن انقراض دولتهم وعدم النص علىٰ أحد منهم، سواء كان من عباسيين أو أمويين أو غيرهم.

هذا، بغض النظر عن عدم كونهم عدولاً بحيث يبقىٰ الدين بهم عزيزاً ! بل العكس من ذلك.

ومن جهة أُخرىٰ انّ هذه الروايات مذكورة في كتبهم من صحاح ومسانيد، وانّ رواتها من أهل السنة ومن الثقاة عندهم، فلا يمكنهم تكذيبها؛ لذا تحيّروا في تحديد العدد والمراد منهم، وعجزوا في تطبيقه علىٰ الواقع

---

(١) فتح الباري ١٣: ١٨٤، طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٥، طبعة دار الكتاب العربي.

الخارجي[١].

وباختصار: لا يصحّ تفسير هذه الروايات التي تعيّن الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله، إلّا على مذهب أهل البيت عليهم السلام، وذلك من حيث العدد والصفات، إنّ العدد اثنا عشر، والصفات فهي منطبقة على أئمتهم عليهم السلام، لا غير.

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمّة الاثني عشر من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي طال عمر آخرهم الإمام الثاني عشر عجلّ الله فرجه الشريف إلى يومنا هذا.

بالإضافة إلى ذلك قد ورد في المصادر الروائية والنصوص المعتبرة الكثيرة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله في النص[٢] على إمامة الأئمّة الاثني

---

(١) راجع على سبيل المثال: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (لابن العربي) ٩: ٦٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨ ـ ١٢، وفتح الباري (لابن حجر) ١٣: ١٨١ ـ ١٨٤. حيث اعترف الأول بأن تطبيق الحديث على الخلفاء الذين حكموا المسلمين يصل إلى طريق مسدود.. لان الموجود منهم لا ينسجم مع الحديث (فهو من أكثر الشراح انصافاً في هذا الموضوع).

(٢) لقد وردت روايات كثيرة تحدد أنّ الأئمّة عليهم السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً، وكلّهم من قريش، فتارة تصفهم الروايات بكونهم «خليفة» أو «أميراً»، وتارة أخرى تذكر عددهم فقط، أو كونهم تسعة من صلب الإمام الحسين عليه السلام أو تذكر النصوص أسماءهم بالتفصيل..

يراجع في ذلك: اكمال الدين للشيخ الصدوق وكتابه الخصال ايضاً باب الاثنا عشر، والبحار في باب النصوص على الأئمّة للعلّامة المجلسي، وكفاية الأثر للخزاز، واثبات الهداة للحرّ العاملي، وغيرها.

←

عشر عليهم السلام بأسمائهم، وصفاتهم، ومشخصاتهم، بينما خلت هذه المصادر من وجود أيّ نص علىٰ مشروعية خلافة من حكم المسلمين غيرهم من الخلفاء!.

أحاديثم عليهم السلام أحاديث جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله:

بعد ان عرفنا مَنْ هم أهل البيت عليهم السلام نقول: إنّ أهل البيت عليهم السلام ليس شأنهم شأن سائر الفقهاء والمجتهدين، يصيبون حيناً ويخطؤن حيناً آخر، بل يفتون الناس بأحكام الله، وأحاديثهم هي أحاديث جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم صلوات الله عليهم لا يروون إلّا ما وصل إليهم من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن طريق آباءهم وأجدادهم، وليس مروياتهم من آراءهم الشخصية، ولقد صرّحوا عليهم السلام بذلك في أكثر من موضع؛ كما في الرواية التي ذكرها الكليني بسنده عن هشام بن سالم، وحماد بن عثمان، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليهم السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث

← ومن هذه الروايات:

رواية جابر انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال أمر أُمتي ظاهراً حتّىٰ يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»، الخصال: ٤٧٥ حديث ٣٧، باب الاثنا عشر.

وعن سلمان الفارسي، قال: «دخلت علىٰ النبي صلى الله عليه وآله إذا الحسين عليه السلام علىٰ فخذيه وهو يقبّل عينيه وليثم فاه، وهو يقول أنت سيّد ابن سيّد، أنت إمام ابن إمام أبو الائمّة، أنت حجّة ابن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم»، الخصال: ٤٧٥ حديث ٣٨، باب الاثنا عشر.

رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزّوجلّ»[١].

وروىٰ الصفار بسنده عن يونس، عن عنبسة، قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل إن كان كذا وكذا ما كان القول فيها، فقال له:

«مهما اجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لسنا نقول برأينا من شيء[٢]».

وروىٰ الصفار أيضاً بسنده عن داود بن أبي يزيد الأحول، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال سمعته يقول:

«إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنها آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله أصل علم نتوارثها كابراً عن كابر نكنزها، كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم»[٣].

وروىٰ الصفار نحوه كذلك بسنده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «يا جابر، إنّا لو كنّا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»[٤].

إنّ هذه الروايات تصرّح بأنّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم ليست من رأيهم واجتهادهم في شيء، وإنما هي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته، وهم ينقلوها إلىٰ الناس بكلّ أمانة.

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٣ ح ١٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٢٠ ـ ٣٢١ ح ٨، باب ١٤ .

(٣) بصائر الدرجات: ٣٢٠ ح ٣، الباب ١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٠ ح ٤، الباب نفسه.

حجيّة أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

انّ معرفة هذا الموضوع من الأمور المهمة التي تخص حياة كلّ مسلم يريد أن يتعبد بأحكام الله تعالىٰ، ويسأل عن المصدر الذي يجب أن يأخذ منه المسائل التي يحتاجها في الجانب العقائدي والتشريعي.

فبعد أن عرفنا أنّ آية التطهير نزلت في الخمسة الأطهار عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وعصمهم من أيّ رذيلة ومعصية، لذا من الضروري جدّاً القول بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم صادقون منزهون عن الكذب، وهذا أدنىٰ مراتب العصمة في حياتهم، كما أن الكذب من أفحش الرجس الذي نزههم الله تعالىٰ عنه..

فمن الواضح جدّاً انّ المسلم لا يحصل عنده أيّ شك في صدق حديثهم وقولهم صلوات الله عليهم.

وهذه هي احدىٰ النتائج المهمة التي نحصل عليها من آية التطهير وحديث الثقلين (وغيرهما أيضاً)، أنّهم منزهون عن الكذب.

ومن جهة أُخرىٰ عرفنا أيضا تصريحهم صلوات الله عليهم فى اكثر من موضع بأنّهم ينقلون أحاديث جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته إلىٰ الناس، وليس هم بالمجتهدين أو أصحاب الرأي، ولا يفتون الناس برأيهم بل ينقلون الأحكام الالهية والعلوم الأخرىٰ عن النبع الفياض جدّهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ويوصلوها إلىٰ الناس بكل صدق وأمانه.

بناءً علىٰ ذلك يتعيّن الأخذ بقولهم، والتعبد بكلامهم، ولا يجوز ممارسة الاجتهاد مع وجود نصهم الصريح.

ومن هذا نعرف لماذا اقتصر الشيعة الإمامية في معرفة الأحكام الالهية علىٰ روايات أهل البيت عليهم السلام ولا يأخذوا بكلام غيرهم؛ لأنّهم عرفوا بالأدلة

القاطعة حجية قولهم؛ وقولهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وقول الرسول صلى الله عليه وآله قول الله تعالى: ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُم عَنْهُ فانتَهُوا﴾[1].

وهناك ثمة سؤال قد يطرحه البعض: وهو أنّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام غالباً ترويها الإمامية من طرقهم، وموجودة في كتبهم فكيف لغير الشيعة الإمامية الأخذ بها والعمل بمضمونها؟

نقول: إنّ ورود الروايات عن طريق رجال الشيعة الإمامية لا يمنع من العمل بها، وذلك بعد أن شرط علماء ابناء العامة أنّ من شروط الأخذ برواية الراوي وثاقته بغض النظر عن مذهبه، وهذا ما يجده القارئ واضحاً في كتب رجالهم، ولا يكون اختلاف المذهب مانعاً من العمل برواية الراوي الثقة، كما ذهب أكثر علماء الشيعة الإمامية إلى ذلك، فإنّهم عملوا بروايات ثقاة أبناء العامة، كالسكوني وغيره[2].

انّ كتب رجال السنة مشحونة برجال الشيعة، ووصفوهم بالرفض ولكن مع ذلك قبلوا رواياتهم واحتجوا بهم في الصحاح والسنن، فمثلاً نلاحظ الكثير من شيوخ البخاري[3] من الشيعة.

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) صرّح الشيخ الطوسي في عدّة الأُصول ١: ٣٨٠ بأنّ ما يعتبر في العمل بالرواية إنّما هو الوثاقة لا العدالة، وأن فسق الجوارح والمخالفة في الاعتقاد لا يضرّ بحجية الخبر.. ثم قال: ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بما رواه عن أئمتنا عليهم السلام حفص بن غياث، وغياث بن كلوب، ونوح بن دراج، والسكوني، وغيرهم من العامة.. إلخ.
وانظر أيضاً معجم رجال الحديث ٤: ٢٢ ـ ٢٣ في ترجمة إسماعيل بن أبي زياد السكوني.

(٣) انظر المراجعات: ٢٠٣ طبعة الدار الاسلامية ـ بيروت، في ترجمة خالد بن مخلد القطواني.

إذن أهل السنة يحتجون برجال الشيعة.

ولقد ذكر السيد شرف الدين في كتابه «المراجعات»[١] وغيره[٢] في إسناد السنة مع ذكر أسماءهم وأسماء آباءهم مرتبة على حروف الهجاء، منهم ـ على سبيل المثال ـ أبان بن تغلب، قال في حقه الذهبي (من أئمة الجرح والتعديل عند أهل السنة): «انّه شيعي جلد ولكنّه صدوق، ثمّ حكى من وثقه من علماء الجرح والتعديل عندهم»[٣].

قال ابن عدي: «له أحاديث ونُسخ وعامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة، وهو من أهل الصّدق في الروايات، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة، وهو معروف في الكوفين.. وهو في الرواية صالح لا بأس به»[٤].

وقال ابن حجر في ترجمة (خالد بن مخلّد القطواني الكوفي) وهو من رجال البخاري:

«من كبار شيوخ البخاري، روى عنه وروى عن واحدٍ عنه، قال العجلي: ثقة وفيه تشيّع. وقال ابن سعد: كان متشيّعاً مفرطاً. وقال صالح جزرة: ثقة إلّا أنّه يتشيّع، وقال أبو حاتم، يُكتب حديثه ولا يُحتج.

قلت: أمّا التشيع فقد قدّمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ والأداء لا يضرّه، سيّما ولم يكن داعية إلى رأيه»[٥].

---

(١) المصدر السابق: ١٧٨ ـ ٢٩٤ طبعة الدار الاسلامية ـ بيروت.

(٢) راجع كتاب «رجال الشيعة في أسانيد السنة» للشيخ محمد جعفر الطبسي حيث عدّ منهم ١٤٠ شخصاً مع شخصيتهم ووثاقتهم اعتماداً على كتب أهل السنة.

(٣) ميزان الاعتدال ١: ٥، طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

(٤) تهذيب الكمال ٢: ٧ ـ ٨ ترجمة رقم ١٣٥.

(٥) هدي الساري: ٣٩٨، وراجع مجلة تراثنا العدد ٣٧: ١١٤.

أيّ أنّ أهل السنة لا يتوقفون من العمل بثقات الشيعة. والعكس كذلك، فإنّ علماء الشيعة قد عملوا بروايات رجال السنة الثقات.

الأئمة عليهم السلام والسنة النبوية:

إنّ الشيعة تعتقد أن الرسول الأعظم عليه السلام قد جاء بالشريعة كاملة، وليس فيها أيّ نقص، وقد بيّن تعاليم الإسلام وأحكامه، وقد نصّ بأمر من الله تعالىٰ علىٰ إمامة الأئمّة الأطهار من بعده، وجعلهم خلفاء له، وأمر الناس بأخذ العلم والمعرفة منهم؛ إذْ هم أعرف من غيرهم بأُمور الدين وأحكامه، وإذا تحدّثوا فإنّهم يتحدّثون عن النبي صلى الله عليه وآله وقولهم عليهم السلام قوله صلى الله عليه وآله كما صرّح الأئمة عليهم السلام بذلك.

والشيعة لا تقول إنّ الأئمّة عليهم السلام في مقابل النبي صلى الله عليه وآله ولهم الطريق المخالف لطريق النبي صلى الله عليه وآله، بل تقول إن طريق الأئمّة عليهم السلام وسيرتهم هو طريق النبي صلى الله عليه وآله وسيرته لأنّهم أهل بيته وعترته، وهم أدرى بالذي في البيت من غيرهم.

وإنّ الأئمة الأطهار منتخبون من قبل الله تعالىٰ، وجرىٰ ذلك علىٰ لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كما في قوله: «الأئمة اثنا عشر كلّهم من قريش» وقد عينهم النبي صلى الله عليه وآله ونصّ علىٰ إمامتهم، ونؤكد علىٰ أنّهم ليسوا بأنبياء، بل هم خلفاء من قبل الرسول صلى الله عليه وآله بأمرٍ من الله تعالىٰ، وليس هم يتلقون الوحي التشريعي لأنّ الرسالة قد ختمت برحيل النبي صلى الله عليه وآله. والأئمة عليهم السلام يعرفون الأحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله فيبينوها للناس؛ لأنّهم أعلم بالشريعة المقدّسة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

اطاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام:

أمر الله تعالى باطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأولي الأمر، فقال: ﴿**يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأمْرِ مِنْكُمْ**﴾[1].

الآية المباركة تأمر باطاعة الله تعالى كما تأمر بإطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأولي الأمر، وإن كان هناك فرق بين الإطاعتين، فإطاعته سبحانه وتعالى واجبة بالذات، وإطاعة النبي صلى الله عليه وآله وأولي الأمر واجبة بايجابه عزّوجلّ.

ولقد اختلف المفسرون في المراد بـ(أولي الأمر) في الآية، فهنا أقوال ثلاثة:

ذهب البعض إلى أنّهم الأمراء، والبعض الآخر قالوا بانهم العلماء، والقول الثالث أنّهم صنف خاص من الأمة، وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والقول الثالث هو الصحيح؛ وذلك بعد التأمل في الآية يظهر لنا بكل وضوح صحّة من اختار هذا التفسير، لأنّ الله تعالى أمر باطاعة أولي الأمر إطاعة مطلقة، غير مقيّدة، بحيث أوجب طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يمكن أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق من دون أن يكون معصوماً، وأمن من الخطأ والغلط والأمر القبيح، فالباري تعالى لا يأمر عباده باطاعة من يصدر منه المعصية، فيجب أن يتصف أولي الأمر بالعصمة حتى يستحقوا الطاعة، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء، وهذا أشار إليه صاحب تفسير مجمع البيان[2].

ولقد أجاد السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في توضيح دلالة الآية على عصمة أولي الأمر قائلاً: «الآية تدل على افتراض طاعة الأمر هؤلاء،

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) مجمع البيان ٣: ١٠٠.

ولم تقيّده بقيد ولا شرط، وليس في الآيات القرآنية ما يقيّد الآية في مدلولها حتّى يعود معنى قوله: ﴿وأَطيعُوا الرَّسُول وأُولي الأمْر مِنكُم﴾ إلى مثل قولنا: وأطيعوا أُولي الأمر منكم فيما لم يأمروا بمعصية أو لم تعلموا بخطئهم، فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم، وإن علمتم خطأهم فقوموهم بالردّ إلى الكتاب والسنّة وليس هذا معنى قوله: ﴿وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأمْرِ مِنكُمْ﴾.

مع أنّ سبحانه أبان ما هو أوضح من هذا القيد فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة، كقوله في الوالدين: ﴿وَوَصَّينا الإنسان بوالدَيهِ حُسناً وإنْ جاهداكَ لِتُشرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما﴾[1] فما باله لم يُظهر شيئاً من هذه القيود في آية تشتمل على أُس أساس الدين، وإليها تنتهي عامة اعراق السعادة الإنسانية.

على أنّ الآية جمع فيها بين الرسول وأولي الأمر، وذكر لهما معاً طاعة واحدة فقال: ﴿وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأمْرِ مِنكُمْ﴾ ولا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية أو بغلط في حكم، فلو جاز شيء من ذلك على أولي الأمر، لم يسع إلّا أن يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أن تقيّد، ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر، كما اعتبر في جانب الرسول صلى الله عليه وآله من غير فرق»[2].

هذا ما فهمه علماء الشيعة الإماميّة من خصوصيات أُولي الأمر، ووجوب كونهم من المعصومين.. وهذا لم يقتصر عليهم فحسب، بل فهم

---

(١) العنكبوت: ٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٤: ٣٩١.

بعض علماء السنة وكبار مفسّريهم ذلك أيضاً، وهو وجوب عصمة أُولي الأمر وإلّا تترتب على غيره نتائج لا يقبلها أيّ مسلم، فضلاً عن عالم تضلع في تفسير الآيات المباركة.

ولقد صرّح الفخر الرازي في تفسيره على أنّ المقصود من أُولي الأمر هم المعصومون من الأمة، وان لم يتطرق إلى تفاصيلهم وتحديدهم، حيث قال: والدليل على ذلك أنّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لابُدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذْ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يقضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وأنه محال.

فثبت انّ الله تعالى أمر بطاعة أُولي الأمر على سبيل الجزم فثبت انّ كلّ من أمر الله بطاعته وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولي الأمر المذكور في الآية لابُدّ أن يكون معصوماً[1].

اتضح لنا أنّ تفسير أُولي الأمر بالعلماء أو الأمراء أو نحوهما غير صحيح، لأنّ الآية تدلّ بكل وضوح على عصمة أُولي الأمر وما ذكروهم غير معصومين والتاريخ يشهد على ذلك.

وأُولي الأمر المراد بالآية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام الّذين طهّرهم الله تعالى، وهم الذين تطابقت أقوالهم مع أفعالهم، وعدم خروجهم عن أوامر الله تعالى، ومن ادعى غيرهم ذلك فهو كاذب.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٠: ١٤٤.

ومن جملة وصايا الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلىٰ شيعته، فيها جوامع الكلم وجملة من مبادئ الإسلام نذكر منها موضع الشاهد لما نحن فيه:

«أوصيكم بتقوىٰ الله، والورع في دينكم... لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتطهير من الله لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب...»[1].

نعم، من ادعى ذلك غيرهم فهو كذّاب. ولن ينقل لنا التاريخ غيرهم صلوات الله عليهم من كانت اقواله كافعاله، سواء كان من قرابة الرسول صلى الله عليه وآله أو غيرهم.

لماذا مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

للجواب علىٰ هذا السؤال الذي يلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان المسلم، وبالأخص بالنسبة لمن يكون رائده الحق وهدفه الأساسي الذي يسعىٰ إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يتّبع﴾[2]، وبعد أن يعزم علىٰ التجرد عن العصبيّات تجرّداً تامّاً، وينظر إلىٰ الأمور بواقعيّة ولا يبني أحكامه علىٰ قناعات معيّنة منشأها العاطفة وهوىٰ النفس.

نقول له: إنّ القرآن الكريم هو الذي أمرنا باتباع أهل البيت عليهم السلام وأوجب محبتهم والسير علىٰ نهجهم وعرّفنا مكانتهم ومنزلتهم، وأيّد ذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأقواله وأفعاله.

فمن القرآن الكريم آيات عديدة في ذلك، منها: آية المودة: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيه أَجْراً إلّا المَوَدَةَ في القُربى﴾[3].

---

(١) تحف العقول: ٤٨٨.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

(٣) سورة الشورىٰ: ٢٣.

روىٰ الحفاظ والمفسرون[1] وغيرهم بأسنادهم لما نزلت هذه الآية المباركة قالوا: يا رسول الله مَنْ قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم قال: علي وفاطمة وابناهما.

هذا، بالاضافة الى الادلة التى ذكرناها، وهي كافية في وجوب اتباع اهل البيت عليهم السلام والأخذ باقوالهم، والاقتداء بأفعالهم.

ونختم كلامنا بما تفضّل به العلّامة السيد شرف الدين في كتاب المراجعات[2] في جوابه للشيخ سليم البشري شيخ جامع الأزهر في سؤاله لم

---

(١) مستدرك الحاكم النيسابوري ٣: ١٧٢، مناقب علي بن ابي طالب لابن المغازلي: ٣٠٧، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٧، ذخائر العقبى للطبري الشافعي: ٢٥و ١٣٨، جامع الأُصول لأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله ٩: ١٥٥ طبعة دار الفكر بيروت، مجمع الزوائد للهيثمى ٧: ١٠٣، إحياء الميت للسيوطى: ٣١ (الحديث الثاني)،الصواعق المحرقة ٢: ٤٨٧، ينابيع المودّة ١: ١٠٥ الباب الثاني والثلاثون في تفسير الآية المباركة، تفسير الكشّاف ٣: ٤٦٦، ٤٦٧ ط. دار المعرفة بيروت، تفسير الفخر الرازي ٢٧: ١٦٦، تفسير القرطبي ١٦: ٢١ ـ ٢٢ ط. دار احياء التراث، الدرّ المنثور للسيوطي ٧: ٣٤٨ ط. دار الفكر بيروت، تفسير البيضاوي ٣: ٢٣٧ ط. دار الرشيد.

(٢) كتاب «المراجعات»: لقد ترك هذا الكتاب أثره البليغ في عالمنا المعاصر، ويعتبر من أبرز الكتب التي تمثل الحوار الشيعي السني في مجال العقائد، فهو كتاب يحتوي علىٰ رسائل قيمّة متبادلة بين أحد علماء السنة في مصر وهو العالم الفاضل «الشيخ سليم البشري» شيخ جامع الأزهر، ولد عام ١٢٤٨ هـ في مصر وتوفي عام ١٣٣٥ هـ

وبين العلّامة الجليل «السيد عبد الحسين شرف الدين» أحد أبرز علماء الشيعة ←

لا تأخذ الشيعة بمذاهب الجمهور؟ فقال: إن تعبدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزب أو تعصب، ولا لريب في اجتهاد أئمّة تلك المذاهب...

لكن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقنا إلىٰ الأخذ بمذهب الأئمّة من أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتنزيل، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده، وأُصول الفقه وقواعده، ومعارف السنة والكتاب أو علوم الأخلاق والسلوك والآداب، نزولاً علىٰ حكم الأدلة والبراهين، وتعبداً بسنة سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله. ولو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله، أو تمكنا من تحصيل نية القربة لله سبحانه في مقام العمل علىٰ مذهب غيرهم، لقصصنا أثر الجمهور، وجرينا علىٰ أسلوبهم، تأكيداً لعقد الولاء، وتوثيقاً لعرىٰ الأخاء، لكنها الأدلة القطعية تقطع

← وأئمتها في لبنان، ولد عام ١٢٩٠ هـ في الكاظمية بالعراق، والمتوفى عام ١٣٣٧ هـ

لقد جرى البحث بينهما حول العديد من المسائل المهمة والتي تمثل نقط الخلاف بين مذهب أهل البيت عليهم السلام وأبناء العامّة، فتبلورت عن ذلك بحوث قيمّة رائعة يصفها الدكتور حامد حنفي داود، الذي قدّم لهذا الكتاب بقوله:

«سفر عظيم كتبه علمان من أعلام الإسلام في صورة حوار علمي أصيل اتّصف بالنزاهة والموضوعيّة والبُعد عن سفاسف القول وهجره، واتّصف بالإخلاص الجمّ من الوصول إلىٰ الحقيقة مبرأة من كلّ غرض سواها» انظر المراجعات: ١ طبعة القاهرة..

ولقد تعرّف الكثير من أبناء العامة علىٰ عقائد الشيعة الحقّة اثر مطالعتهم لهذا الكتاب القيّم، وبالتالي اختيارهم مذهب أهل البيت عليهم السلام.

على المؤمن وجهته، وتحول بينه وبين ما يروم... إلخ[1]

وفي ختام هذا الفصل نقول:

إنّ هذه الدراسة ـ الموجزة ـ في معرفة أهل البيت عليهم السلام تنتهي بنا إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد قام بتحديد مَنْ هم أهل البيت عليهم السلام الذين أُمرنا باتّباعهم، ولم يترك المجال لغيره لتفسير ما لا يعلمون، وسدّ الأبواب على كلّ مَنْ يريد المساهمة فيما لا يطيق، والقول من دون دليل، وعرفنا ايضاً منزلتهم وحجيّة قولهم صلوات الله عليهم جميعاً.

(١) المراجعات: ١٤، المراجعة رقم ٤، نشر دار الإسلامية ـ بيروت.

الفصل الثاني

أهل البيت عليهم السلام والعلم

المناهج التثقيفية عند أهل البيت عليهم السلام

خصائص أهل البيت عليهم السلام فى العلم

المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام

(١)

المناهج التثقيفية عند أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام أنوار زاهية في دياجي حياة البشر، ومشاعل منيرة لمن أراد العمر السعيد والعيش الرغيد، لقد بثّوا ما يسعد الإنسان من علوم ومعارف، فهم عليهم السلام ركب حضاري متطور، وفكر إنساني متجرّد، ورسالة علمية متأصلة غمرت أشعتها الأفق الإسلامي، ولم يكتفوا بنشر ما أفاض الله تعالى عليهم من العلم والمعرفة، بل دعوا الناس إلى العلم والتعليم، ووضعوا المناهج لطلّاب العلم ورسموا لهم الطريق المشرق؛ لذا من الضروري أن نتعرّض ـ ولو بايجاز ـ لبعض الأمور التي أثرت عن أهل البيت عليهم السلام والتي تعتبر من أروع المناهج التثقيفية والتعليمة لطلاب العلم، والتي تعكس لنا أيضاً مدى اهتمامهم عليهم السلام بالعلم والمعرفة، وإليك بعضها:

الإشادة بالعلم:

لقد أشاد الأئمة الأطهار عليهم السلام بالعلم والمعرفة والتأكيد على أهميتهما في الحياة البشرية، وحفلت الكتب التي دونت أحاديث أهل البيت عليهم السلام وكلماتهم بذلك، والتي تعتبر من الدساتير المهمة في حياة البشرية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تعلّموا العلم فانّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح،

والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين في الخلاء...»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في حديثه مع تلميذه كميل بن زياد موضّحاً له أهمية العلم وأنّه أغلى شيء في الحياة، مقارناً بينه وبين المال الذي هو العصب المهم في الحياة البشرية، قائلاً:

«يا كُميلُ، العلمُ خيرٌ من المالِ، العلمُ يحرسُكَ وأنتَ تحرُسُ المالَ، والمالُ تنقصُهُ النفقةُ والعلم يزكو في الإنفاقِ، وصنيعُ المالِ يزُولُ بزواله.

يا كُميلُ بن زيادٍ، معرفةُ العلمِ دِينٌ يُدَانُ به، به يَكسبُ الإنسان الطّاعةَ في حياتِهِ، وجميلَ الأُحدوثةِ بعد وفاتِهِ. والعِلمُ حاكمٌ، والمالُ محكومٌ عليه.

يا كُميلُ، هلكَ خُزّان الأموالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقونَ ما بَقِيَ الدهرُ، أعيانُهمْ مفقودة، وأمثالُهم في القلوبِ موجودة»[2].

لقد رسم الإمام علي عليه السلام أروع الصور واللوحات الجميلة في خطابه هذا إلى كُميل حول أهمية العلم ومكانته.

التوجيه الهادف للعلم:

لقد اعتنى أهل البيت عليهم السلام بالعلم وبينوا فضله وأثنوا على روّاده،

---

(١) أمالي الصدوق: ٧١٣ ح ١، تحف العقول: ١٧٠، بحار الأنوار ١: ١٦٦ حديث ٧.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٤: ٣٧.

وحثّوا على طلبه، ولكنّهم وجّهوا الناس إلى الاتجاه الصحيح في هذا المنحى، فإنّ كلماتهم المنيرة تعتبر وثائق مهمّة قوّموا بها حقيقة العلم، وسلّطوا الأضواء على أبعاده، وصرّفوه تصريف الناقد الخبير، ودقّقوا القول في ميادينه الهادفة، فكانت كلماتهم المشرقة في هذا المجال عبارة عن قطع فنية رائعة نادرة، نشير إلى بعضها:

أ ـ صدق النية:

وضع أئمة أهل البيت عليهم السلام لطلاب العلم المناهج الكاملة التي تحسم عنهم جميع ألوان الانحراف والسلوك في المنعطفات، فألقوا على الأُمّة المناهج التربوية الرائعة التي تمتد إلى أعماق النفس ودخائل الذات فتطهّرها من النوايا غير المخلصة؛ حتّى تنعقد الصلة الوثيقة بينها وبين الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة، فتسمو بها إلى عالم النور ونكران الذات.

ولقد حفلت كلماتهم المضيئة في التأكيد على الإخلاص في طلب العلم، الذي هو الأساس في جميع الأعمال، وأكّدوا على أن يكون طلب العلم خالصاً لوجهه تعالى، وحذّروا طلاب العلوم من طلب المعارف والعلوم للأغراض الدنيوية الزائلة والاعتبارات الوهمية، ومماراة أهل الجدل.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو أنّ حملة العلم حملوه بحقّه لأحبهم الله وأهل طاعته من خلقه،

ولكنّهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس»[١]

ينبغي لطالب العلم أن يخلص لله تعالىٰ في طلبه للعلم، وأن يبغي به الدار الآخرة، وبالأخص علوم الشريعة الإسلامية، وقد أكد أهل البيت عليهم السلام علىٰ ذلك، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«من أراد الحديث لمنفعة الدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة»[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«مَنْ طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يحارب به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده في النار»[٣].

نعم، ينبغي أن يكون طلب العلم والمعرفة لله تعالىٰ، ولتهذيب النفس وتنميتها، فإذا كان ذلك مشفوعاً بأغراض أُخرىٰ، فيكون ما سعىٰ به وطلبه خالياً من الثواب بالإضافة قد يكون مصيره إلىٰ النار (كما أدلىٰ به الإمام عليه السلام).

ب ـ العلم والعمل:

أكّد الأئمة عليهم السلام علىٰ ضرورة العمل بالعلم في الكثير من أحاديثهم، واعتبروا العلم بلا عمل لا قيمة له، فإنّهم صلوات الله عليهم نظروا بثاقب بصيرتهم إلىٰ المناخ البشري فخرجوا بصيغة تجمع إلىٰ دقة المعرفة صدق

---

(١) بحار الأنوار ٢: ٣٧، الحديث ٤٨.

(٢) أُصول الكافي ١: ٣٧ ح ٢، باب المستأكل بعلمه.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٧ ح ٦، الباب نفسه.

الحسّ والتجربة ، فجعلوا من العلم والعمل ركنين أساسين في حياة الكائن البشري ، وإلّا لم تتحقق الغاية المنشودة من العلم والمعرفة ؛ لذا اتحفوا المجتمع بوابل التوجيه النابض ؛ لكي يسمو الإنسان إلىٰ ذروة التكامل النفسي .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

«العلمُ مقرونٌ بالعملِ : فمن عَلِمَ عَمِلَ ؛ والعلمُ يَهْتِفُ بالعمل ، فإن أجابهُ وإلّا ارْتحلَ عنه»[1] .

وقال الإمام عليه السلام أيضاً :

«وإنّ العالِم العاملَ بغيرِ علمِهِ كالجاهلِ الحَائرِ الذي لا يستفيقُ من جهله ؛ بل الحجّةُ عليه أعظم ، والحسرةُ لهُ ألزمُ ، وهو عند الله ألومُ»[2] .

وإلىٰ غير ذلك من الكلمات الذهبية الرائعة التي أدلىٰ بها الأئمة عليهم السلام ، وهي تهيب بالعلماء أن يعملوا بما علموا .

نعم ، انّ العلم بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة ، والغرض من الشجرة المثمرة ليس إلّا ثمرتها .

ج ـ بذل العلم :

لقد حثّ أهل البيت عليهم السلام العلماء والمتعلمين علىٰ بذل العلم وتعليمه إلىٰ الناس ، وعنوا بصورة إيجابية باشاعة العلوم والمعارف في

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٤ : ٨٥ ، رقم ٣٦٦ ، والكافي ١ : ٤٤ ، ح ٢ باب استعمال العلم.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ١ : ٢١٦ ، رقم ١١٠ .

المجتمع، والاحساس بالمسؤلية على رفع مستواه الفكري.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ اللهَ لم يأخذْ على الجُهّال عهداً بطلبِ العلمِ حتّى أخَذَ على العلماءِ عهداً ببذْلِ العلمِ للجهّال؛ لأنّ العلمَ كانَ قبلَ الجهلِ»[1].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله»[2].

وتحدّثوا عليهم السلام أيضاً عن أجر التعلّم والتعليم، وحثّوا على تعليم الآخرين، فقال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ الذي يُعلّم العلم منكم لهُ أجر مثل المتعلّم وله الفضل عليه، تعلّموا العلم من حملة العلم، وعلّموه إخوانكم كما علّمكم العلماء»[3].

وقد أكّد الأئمة الأطهار على ضرورة نشر العلم، ووزنوا وزن العالم بمقدار عطاءه العلمي وتعليمه الآخرين، ورد عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»[4].

تكريم العالم:

أكّد أهل البيت عليهم السلام على تكريم العالم وتبجيله والاعتراف له بالفضل، وتحدّثوا عن حقوقه وضرورة رعايتها؛ لأنّه مصدر للفكر والعطاء العلمي والمعرفي.

---

(١) أُصول الكافي ١: ٣٢، ح ١ باب بذل العلم.

(٢) المصدر السابق ١: ٣٣، الحديث ٣، الباب المذكور.

(٣) المصدر السابق ١: ٢٧، الحديث ٢، باب ثواب العالم والمتعلّم.

(٤) المصدر السابق ١: ٢٥، الحديث ٨، باب صفة العلم وفضله.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

«من حق العالم عليك إذا أتيته أن تُسلّم عليه خاصّة ، وعلى القوم عامة ، ولا تجلس قدّامه ، ولا تشر بيدك ولا تغمز بعينك ... ولا تلحّ عليه في السؤال فانّما هو مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء»[١] .

القول بغير علم :

حذّر الأئمة عليهم السلام أهل العلم من افتاء الناس من دون علم ؛ لأنّ الإنسان مهما أُوتي من علم فإنّه يبقى بحاجة إلى المزيد ، ويبقى في كثير من الأحيان جاهلاً ببعض الحقائق ؛ لذا حثّ أهل البيت عليهم السلام على الاحتياط في الإجابة لكي يأمن الإنسان الانحراف .

ورد عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام :

«إذا سئل الرجل منكم عن لا يعلم فليقل : لا أدري ، ولا يقل الله أعلم ، فيوقع في قلب صاحبه شكّاً ، وإذا قال المسؤول : لا أدري فلا يتّهمه السائل»[٢] .

السؤال من أهل العلم :

لقد وجّه أهل البيت عليهم السلام روّاد العلم بالسؤال والتعلّم من أهل العلم ، وقد أثرت عنهم عليهم السلام كوكبة من الأحاديث في ذلك منها :

عن الإمام الباقر عليه السلام :

---

(١) المصدر السابق ١ : ٢٩ ، الحديث ١ ، باب حق العالم.

(٢) المصدر السابق ١ : ٣٤، الحديث ٦ ، باب النهي القول بغير علم.

«العلم خزائن والمفاتيح السؤال، فاسئلوا يرحمكم الله فإنّه يؤجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلّم، والمستمع، والمحبّ لهم»[١].

المذاكرة والبحث العلمي:

انّ المذاكرة والبحث العلمي مع الآخرين من المكاسب القيّمة التي يحصل عليها طالب العلم، لأنّ ذلك يضمن له عدم نسيان العلم. وأهمية المذاكرة تكمن وراء رسوخ العلم.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «تذاكر العلم دراسة، والدراسة صلاة حسنة»[٢].

وقال أيضاً عليه السلام: «لكلّ شيء آفة، وآفة العلم النيسان»[٣].

تدوين العلم:

عن شرحبيل بن سعد قال: دعا الحسن بن علي عليه السلام بنيه وبني أخيه، فقال: «إنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»[٤].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «اكتبوا فإنكم لا

---

(١) الخصال للصدوق: ٢٤٥، الحديث ١٠١.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٢، الحديث ٩، باب سؤال العالم.

(٣) كنز العمال ١٦: ٢٠٤، الحديث ٤٤٢٢٦.

(٤) سنن الدارمي ١: ١٣٠ طبعة دار الفكر، بحار الأنوار ٣: ١٥٣ ح ٣٧.

تحفظون حتى تكتبوا»[١].

وعن عبيد بن زرارة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «احتفظوا بكتبكم، فإنكم سوف تحتاجون إليها»[٢].

وعن حسين الأحمسي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «القلب يتكّل على الكتابة»[٣].

تعليم الأولاد:

أكّد أهل البيت عليهم السلام على وظيفة تعليم الأولاد، واعتبروا ذلك من حقوق الأبناء على الأولاد:

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به»[٤].

تعليم الحلال والحرام والكتابة:

جاء عن أبي عبدالله عليه السلام: «الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين»[٥].

وعنه عليه السلام: «من حقّ الولد على والده ثلاثة: يحسّن اسمه، ويعلّمه

---

(١) أصول الكافي ١: ٤٢ ح ٩، كتاب العلم، باب فضل الكتابة والتمسك بالكتب.

(٢) المصدر نفسه ١: ٤٢ ح ١٠.

(٣) المصدر نفسه ١: ٤٢ ح ٨.

(٤) الخصال: ٦١٤ ح ١٠، عنه وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٨ ح ٢٧٦٣٤، الباب ٨٤ من أبواب أحكام الأولاد.

(٥) الكافي ٦: ٤٧ ح ٣، عنه وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٤ ح ٢٧٦٢١، الباب ٨٣ من أبواب أحكام الأولاد.

الكتابة، ويزوّجه إذا بلغ»[١].

تعليم العلوم الحقّة:

أكّد أهل البيت عليهم السلام على تعليم الأولاد علومهم الحقّة قبل أن يتأثّروا بأهل البدع والباطل، فعن أبي عبدالله عليه السلام:

«بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم المرجئة»[٢].

العلم افضل من المال:

ليس هناك أدنى شك في أنّ الإسلام أكّد على طلب العلم، فكان الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام يوصون بذلك ويرغّبون الناس في طلب العلم والمعرفة، وقارنوا بينه وبين المال الذي هو موضع اهتمام معظم الناس. ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

«العلم أفضل من المال بسبعة: الأول: انّه ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة. الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة، والمال ينقص بها. الثالث: يحتاج المال إلى الحافظ، والعلم يحفظ صاحبه. الرابع: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال. الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر، والعلم لا يحصل إلّا للمؤمن. السادس: جميع الناس يحتاجون إلى العالم من أُمور دينهم، ولا يحتاجون إلى

---

(١) روضة الواعظين: ٣٦٩، عنه وسائل الشيعة ٢١: ٤٨٢ ح ٢٧٦٤٦، الباب ٨٦ من أبواب أحكام الأولاد.

(٢) الكافي ٦: ٤٧ ح ٥، عنه وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٦ ح ٢٧٦٣٠، الباب ٨٤ من أبواب أحكام الأولاد.

المال. السابع: العلم يقوّي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه»[١].

الحث على الجد والمثابرة:

من العوامل المهمة في النجاح هو الجد والمثابرة والإكثار من المطالعة والقراءة والاهتمام بمجالس العلم والمعرفة، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«رحم الله عبداً أحيى العلم، فقيل: وما احياؤه؟ قال: أن يذاكر به أهل الدين والورع»[٢].

الحث على طلب العلم:

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بخوض اللجج، وشق المهج»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً: «دراسة العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف والتقوى والقنوع راحة الأبدان»[٤].

الفقهاء والسلاطين:

إنّ الفقهاء بحسب مركزهم الروحي أمناء الرسل على حلال الله وحرامه، فإذا اتصلوا بالحكومات الجائرة فينبغي أن تسلب الذمة منهم، اللّهم إلّا أن

---

(١) بحار الأنوار ١: ١٨٥ ح ١٠٨.

(٢) أُصول الكافي ١: ٣٢ ح ٧، باب سؤال العالم.

(٣) بحار الأنوار ٧٥: ٢٧٧ ح ١١٣.

(٤) المصدر السابق ٧٥: ١٢٨ ح ١١.

يكون اتصالهم يعود بالنفع الى مصلحة العباد العامّة. لذا أهاب أهل البيت عليهم السلام بالفقهاء، وحذّروهم أن يلجوا بلاط السلاطين، فقال الإمام الصادق عليه السلام:

«الفقهاء أُمناء الرُسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم..»[١].

التشجيع على التصنيف:

روى النجاشي بسنده المتصل إلى داود بن القاسم الجعفري، قال: عرضت على أبي محمد صاحب العسكري عليه السلام كتاب يوم وليلة، فقال لي: تصنيف مَنْ هذا؟ فقلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكلّ حرف نوراً يوم القيامة[٢].

جاء في خبر أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات... الحديث»[٣].

ورد في صحيحة لأبي بصير، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: دخل عليّ أُناس من أهل البصرة فسألوني عن أحاديث وكتبوها، فما يمنعكم من الكتاب؟ أما إنّكم لن تحفظوا حتى تكتبوا... الحديث»[٤].

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣٩٩، جمهرة الأولياء ٢: ٧٩.

(٢) رجال النجاشي: ٤٤٧ الرقم ١٢٠٨، في ترجمة يونس بن عبد الرحمن.

(٣) أمالي الصدوق: ٤٠، الحديث ٣، المجلس العاشر.

(٤) كتاب عاصم بن حميد الحناط: ٣٣، مستدرك الوسائل ٧: ٥٠ ح ٧٦٢٣.

جاء في خبر المفضّل بن عمر، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: اكتب وبثّ علمك في إخوانك فإن متَّ فأورثْ كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم»[1].

الاهتمام بالفقهاء وأهل العلم:

الشيء الذي يدعو إلى الاعتزاز والفخر بسيرة أهل البيت عليهم السلام انّهم قد تبنوا الفقهاء وأهل العلم، وعزّزوا مركزهم، وأرجعوا الأُمّة إلى الأخذ بفتاواهم التي استقوها من علوم أهل البيت عليهم السلام، فقد قال الإمام الباقر عليه السلام لأبان بن تغلب:

«اجْلِسْ في مسجد المدينة وأَفْتِ الناس، فإنّي أُحِبُّ أن يرى في شيعتي مثلك»[2].

---

(١) أُصول الكافي ١: ٤٢ ح ١١، باب فضل الكتابة.

(٢) رجال النجاشي: ١٠، رقم (٧).

(٢)

خصائصهم عليهم السلام في العلم

لقد انعم الله تبارك وتعالىٰ على البشرية، إذ بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وختم به الأنبياء والرسل، وكانت حياته الشريفة قد انطوت علىٰ كافة العلوم والمعارف، وكلّ ما يتعلق بالدنيا والآخرة، فكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ينبوع علم تتدفق لتنهل منه البشرية جميعها، واستمر هذا العطاء والتدفق متمثلاً بابن عمّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده بأولاده الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وردت مجموعة من الروايات تبيّن خصائص أهل البيت عليهم السلام في العلم وتشير إلىٰ مقامهم الشامخ، وتبيّن المكانة العلمية لهم، وأيضاً تضفي الشهادة الكاملة علىٰ منزلتهم الرفيعة، ووصفتهم بصفات جليلة، منها:

١ ـ خزنة علم الله:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تبارك وتعالىٰ في صفة أهل البيت عليهم السلام: «هم خُزّاني علىٰ علمي من بعدك»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه، لا

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٥ الحديث ١٢، الكافي ١: ١٤٩ الحديث ٤، باب انّ الأئمة ولاة أمر الله.

على ذهب ولا على فضّة إلّا على علمه»[١].

٢ ـ ورثة علم الأنبياء :

عن ذريح المحاربي، عن الإمام الصادق عليه السلام :

«نحن ورثة الأنبياء، جلّل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام ثوباً، ثمّ علّمه ألف كلمة، كلّ كلمة تفتح ألف كلمة»[٢].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«نحن ورثة الأنبياء، وورثة كتاب الله، ونحن صفوته»[٣].

٣ ـ معدن العلم :

عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إنّ ـ أهل البيت ـ شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة [٤]، وبيت الرأفة، ومعدن العلم»[٥].

وقال الإمام علي عليه السلام في وصف أهل البيت عليهم السلام:

«نحنُ شجرةُ النُّبوةِ، ومَحَطُّ الرّسالة، ومُختلفُ الملائكةِ، ومَعَادِنُ العلمِ،

---

(١) اصول الكافي ١ : ١٩٢ الحديث ٢ .

(٢) الخصال : ٦٥١ الحديث ٤٩ .

(٣) مختصر بصائر الدرجات : ٦٣ .

(٤) مُختلَف الملائكة: ـ بفتح اللام ـ محل اختلافهم أيّ ورود واحد منهم بعد الآخر، فيكون الثاني كأنّه خَلَف للأول، وهكذا.

(٥) بصائر الرجات: ٧٨ الحديث ٧ .

وينابيعُ الحُكْمِ، ناصِرُنا ومُحِبّنُا ينتظِرُ الرّحمةَ، ومبغضنا ينتظِرُ السّطوةَ»[١].

٤ ـ عيبة علم الله :

عن ثابت بن دينار عن الإمام زين العابدين عليه السلام : «نحن أبواب الله ، ونحن الصراط المستقيم ، ونحن عيبة علمه . . .»[٢].

٥ ـ مستقى العلم :

عن الحكم بن عتيبة قال : لقي رجل الحسين بن علي عليهما السلام بالثعلبية[٣] وهو يريد كربلاء فدخل عليه فسلّم عليه فقال له الحسين عليه السلام : من أي البلدان أنت؟ فقال : من أهل الكوفة ، قال : يا أخا أهل الكوفة أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريناك أثر جبرئيل من دارنا ونزوله على جدّي بالوحي ، يا أخا أهل الكوفة مستقى العلم من عندنا . . .»[٤].

٦ ـ أعلم الناس :

في حديث عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّي تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا : كتاب الله عزّوجلّ ، وأهل بيتي عترتي . أيّها الناس ، اسمعوا وقد بلّغت أنكم

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبدة) ١: ٢١٥ ط. دار الذخائر.

(٢) معاني الأخبار للصدوق : ٣٥٠ الحديث ٥ .

(٣) الثعلبية: موضع بطريق مكّة.

(٤) بحار الأنوار ٢٦ : ١٥٧ الحديث ١ .

ستردون عليّ الحوض ، فأسألكم عمّا فعلتم في الثقلين ، والثقلان كتاب الله جلّ ذكره وأهل بيتي ، فلا تسبقوهم فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»[١] .

٧ ـ عيش العلم :

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام في خطبة له يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله : «هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم . . .»[٢] .

٨ ـ الراسخون في العلم :

روي عن عبد الرحمن بن كثير ، عن الإمام الصادق عليه السلام : «الراسخون في العلم : أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام»[٣]

٩ ـ أبواب العلم في الأمة:

أورد القندوزي البلخي حديثاً في وصف أهل البيت عليهم السلام بأنّهم باب العلم في أمة الرسول صلى الله عليه وآله ، حيث قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «... وزوجته (الإمام علي عليه السلام) الصديقة ابنتي، وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي، وهو وهما والأئمة من بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين، وهم أبواب العلم في

---

(١) أصول الكافي ١ : ٣٩٤ قطعة من الحديث ٣ .

(٢) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٣٥٧، الخطبة ٢٣٩ ، وراجع تحف العقول : ٢٢٧ .

(٣) أصول الكافي ١ : ١٦٦ الحديث ٣ ، باب انّ الراسخين في العلم هم الأئمة.

أُمتي، من تبعهم نجا من النار، ومن اقتدىٰ بهم هدى إلىٰ صراط مستقيم، لم يهب الله محبّتهم لعبدٍ إلّا أدخله الله الجنة»[1].

(١) ينابيع المودة: ٦٢، الباب الثاني عشر.

(٣)

المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام

لا إشكال في تفوق أهل البيت عليهم السلام على غيرهم في العلم والمعرفة، إذ انّ من الحقائق المشهورة عند المسلمين أنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم الصحابة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وهو باب علم الرسول صلى الله عليه وآله، وقد علّم ابناءه ما تعلّمه من النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وكانوا يتوارثون العلم فيما بينهم.

والأمّة على اختلاف مذاهبها وأفكارها واتجاهاتها ينظرون إلى أهل البيت عليهم السلام من الناحية العلمية نظرة خاصّة، بحيث يعتبرونهم أفضل الآخرين من صحابة وتابعين وعلماء وغيرهم. وكتب الحديث والفقه والتاريخ والسير تشهد بذلك التفوق والتفضيل.. ويمكن اثبات تفوّق أهل البيت عليهم السلام على غيرهم في العلم والمعرفة بعدّة طرق، منها:

أولاً: جعلهم عدلاً للكتاب:

من خصائص أهل البيت عليهم السلام أنّهم عدلٌ لكتاب الله تعالى، وقد ورد هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث «الثَقَلين» أو «الثِقْلين»، والذي رواه الإمامية وأبناء العامّة، ولا مجال للمناقشة في سنده، فقد رواه جمّ

غفير[١] من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أنهن علماء الحديث عدّتهم إلى خمس وثلاثين صحابياً، وهو من الأحاديث المتسمة بقطعية الصدور.

وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله في مواطن متعددة ...، فإذا وجدنا اختلافاً في بعض ألفاظ الحديث؛ فهو قد يكون ناشئاً من اختلاف مواطن تعدد ذكر النبي صلى الله عليه وآله لهذا الحديث، قال صلى الله عليه وآله:

«إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، أحدهما أكبر من الآخر، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٢].

ولقد نقلت بعض المصادر زيادة على الحديث المذكور، وهي هذه الفقرة: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فانّهم أعلم منكم»[٣] (ووصف ابن حجر هذه الرواية بالصحيحة) أيّ في نفس حديث الثقلين توجد هذه الفقرة في رواية القوم، كما في معجم الطبراني وغيره.

وإن البحث عن معطيات ودلالات هذا الحديث الشريف يستدعي وضع كتاب خاص، ولكن من دلالات هذا الحديث: عصمة أهل البيت عليهم السلام في قِرانهم بالقرآن وحجية قولهم، مع وجود الإمام من أهل البيت عليهم السلام يتعلّم منه

---

(١) اثبتت العديد من الدراسات الحديثية تواتر حديث الثقلين، كما فعله العالم الباحث المير حسين حامد اللكهنودي في موسوعته عبقات الأنوار. ولقد تقدم الاشارة الى ذلك سابقاً، فراجع.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٦٦ ح ٤٩٦٩، حلية الأولياء ١: ٣٥٥، المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩، مجمع الزوائد ٩: ١٦٤، وغيرها.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٣: ٦٤ ح ٢٦٨١ و٥: ١٦٧ ح ٤٩٧١، وراجع الصواعق المحرقة ٢: ٤٣٩.

الناس جميع العلوم الإسلامية وجميع الأمور المحتاج إليها في كل زمان الى يوم القيامة ... ولقد تقدّم الكلام حول هذا الحديث في الفصل الأول، فراجع.

والذي نود أن نشير هنا الى ثبوت مرجعية أهل البيت عليهم السلام العلمية المستفادة من هذا الحديث.

أيّ أنّ حديث الثقلين أعلن الرصيد العلمي العالي للعترة الطاهرة التي وعت القرآن الكريم والتزمت به، وجهدت على نشره، وأنّهم أعرف الناس به؛ لذا استحقوا أن يكونوا عدلاً لهذا الكتاب العزيز.

وحينئذٍ يكون من دلالات حديث الثقلين: أعلمية أهل البيت عليهم السلام من غيرهم.

فإذن غيرهم، كانوا مأمورين بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام، والاقتداء بهم، والتعلّم منهم، واطاعتهم، والانقياد لهم.

ومما يؤيد ما ذكرناه اعتراف بعض شرّاح الحديث ـ من أبناء العامة ـ بذلك:

قال ابن حجر: «إذ كلّ منهما (القرآن والعترة) معدن للعلوم اللَّدُنية، والأسرار والحكم العَليّة، والأحكام الشرعية، ولذا حثَّ صلى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلّم منهم»[1].

تحصّل انّ من دلالات حديث الثقلين هي المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام الّذين قرنهم الباري تعالى بالقرآن الكريم.

ثانياً: تصريح النبي صلى الله عليه وآله:

لقد صرّح النبي صلى الله عليه وآله بأعلمية الإمام علي عليه السلام، وأشاد بمرجعيته

---

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٤٤٢.

الدينية في أكثر من موضع، وكان يستثمر جميع الفرص المتاحة للإعلان عن ذلك؛ لكي يلفت نظر الصحابة إلى هذه النقطة المهمّة.

نعم، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أخذ العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أكثر الناس اختصاصاً به، وقد بيّن الإمام عليّ عليه السلام موضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً:

«... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به»[1].

ولقد قال الرسول صلى الله عليه وآله في حق الإمام علي عليه السلام مجموعة من الأحاديث الشريفة تنادي وتصرّح بأعلمية أمير المؤمنين عليه السلام وتشهد له بالمرجعية العلمية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، منها:

قوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[2].

وقوله صلى الله عليه وآله: «أقضىٰ أُمتي عليّ بن أبي طالب»[3].

وقوله صلى الله عليه وآله: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»[4]

وقوله صلى الله عليه وآله: «عليّ عيبة علمي»[5].

---

(١) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٣٠٠، في خطبة يصف فيها الوحي.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١١: ٦٦، مستدرك الحاكم ٣: ١٢٦، والصواعق المحرقة ١: ٨٦.

(٣) الصواعق المحرقة ١: ١١٠، الرياض النضرة (٣ ـ ٤): ١٤٧، ينابيع المودّة ١: ٧٣، الباب الرابع عشر.

(٤) حلية الأولياء ١: ٦٤، الصواعق المحرقة ٢: ٣٥٨، كنز العمال ٦: ٤٠١.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٨: ١٨. والعيبة: وعاء من أدم. لسان العرب مادة «عيب»، والمراد هنا انّ علياً عليه السلام مخزن علم الرسول صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: التراث العلمي والمعرفي:

لم يذكر التأريخ أنّ الأئمة عليهم السلام درسوا عند أحد أو تتلمذوا عند شخصية علمية سوىٰ ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد امتازوا بعلومهم الزاخرة، ومعارفهم الباهرة، والتي ظهر شيء منها، ونُقل لنا بعض ما ظهر منهم.

نعم، لقد خلّف لنا الأئمة عليهم السلام التراث العلمي الضخم الذي حفل به التاريخ، فكانوا عليهم السلام قد فتقوا أبواب العلوم، وبقروا العلم بقراً، وساهمت علومهم ومعارفهم مساهمة ايجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وتطويرها في جميع المجالات.

وقد اتسعت علومهم فشملت أسرار الكون، ومظاهر الوجود وتعددت إلىٰ الفضاء الخارجي، وسكان الكواكب وغير ذلك.

وما تركوه للبشرية من التراث العلمي يبهر العقول بالرغم من الصعوبات التي كانوا يواجهونها من قبل حكّام الجور، والتي كانت تحدّ من الاقتراب منهم، والاستفادة من معارفهم، والانتهال من علومهم.

ولكن الذي ما بين أيدينا من ذخائر جمّة، هو بعض يسير من علومهم ومعارفهم ويعتبر من أنفس ما دونت في بطون الكتب، والمشتملة علىٰ الأحاديث الشريفة والكلمات المضيئة، والتي أولت الاهتمام في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ـ لأنها الأساس ـ واظهار فلسفة التوحيد وإقامة الإيمان بالله تعالىٰ علىٰ ضوء الأدلة العلمية الحاسمة التي لا تقبل الجدل والتشكيك.

فالثروة العلمية الهائلة التي تركوها للبشرية قد انطوت علىٰ روائع فكرهم عليهم السلام في شتىٰ المجالات العقائدية، والأخلاقية، وانظمة الحكم،

والتشريع، والأحكام، والادارة، والتاريخ، والإجتماع، وعلم النفس، والدعاء، والعبادة، وسائر العلوم الطبيعية والإنسانية، أضف إلىٰ خطبهم البليغة، ورسائلهم النافعة، ووصاياهم الخالدة، وكلماتهم المضيئة.

وقد تصدّىٰ العلماء لجمع تراثهم العلمي والمعرفي الخالد، منه:

نهج البلاغة: للإمام علي عليه السلام والذي يعتبر معجزة الإمامة الخالدة وهو أشهر من أن يعرّف، جمعه الشريف الرضي المتوفىٰ عام (٤٠٤) هـ وفيه من المواعظ والحكم ما يعجز عن النطق بمثلها بعد الرسول صلى الله عليه وآله غيره عليه السلام.

وقد وصف ابن أبي الحديد باب الحكم والمواعظ من نهج البلاغة، بقوله: «اعلم أنّ هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن، والسواد من العين، وهو الدرّة المكنونة التي سائر الكتاب صدفها»[1].

غرر الحكم ودرر الكلم: للإمام عليه السلام أيضاً، جمعه عبد الواحد الآمدي المتوفىٰ ما بين (٥٢٠ ـ ٥٥٠ هـ)، يحتوي علىٰ قصار كلماته الحكمية.

مسند الإمام علي عليه السلام: جمعه النسائي المتوفي (٣٠٣).

الصحيفة العلوية: وهي مجموعة من الأدعية التي أثرت عنه عليه السلام أيضاً.

مائة كلمة: جمع الجاحظ المتوفىٰ (٢٥٥ هـ) مائة كلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وغيرها.

دعاء عرفة: للإمام الحسين عليه السلام الذي تضمّن قسماً كبيراً من العلوم

---

(١) نهج البلاغة (شرح ابن أبي الحديد) ١٨: ٨١.

والمعارف فيما يرتبط بالتوحيد وتركيبة الإنسان الجسمية التي لم تكن مطروحة من الناحية العلمية في ذلك العصر.

الصحيفة السجادية: للإمام زين العابدين عليه السلام، والتي تعتبر من ذخائر التراث الإسلامي، ومن مناجم كتب الأخلاق والبلاغة، ومن هنا سُميت بـ«انجيل أهل البيت عليهم السلام»، و«زبور آل محمد صلى الله عليه وآله». والتي امتازت بمميزات أهمّها الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ، والاعتصام بحبله، والتجرّد التام عن عالم المادة.

رسالة الحقوق[1]: للإمام زين العابدين عليه السلام، والتي هي منبع غزير للعلوم الإنسانية، ومنهج عزيز للقيم الأخلاقية والحضارة البشرية. فالحديث عن «رسالة الحقوق» لا يسع المجال لذلك، ولكن من يراجعها يجد أنّ نصوصها خير متحدث عن كنوزها.

كتاب توحيد المفضّل[2]: الذي أملاه[3] الإمام الصادق عليه السلام علىٰ

---

(١) هذه الرسالة بفقراتها وموادّها تشتمل علىٰ خمسين حقّاً إنسانياً، عاماً وخاصّاً ومشتركاً بينهما، والتي تتضمن جملة من الموضوعات، وهي: حقوق النفس والجوارح، حقوق الأفعال (الصلاة والحج و...)، حقوق الدولة ونظام الحياة، حقوق الأرحام والولاء، الحقوق الإجتماعية، الحقوق المالية والقضائية، الحقوق الإسلامية المشتركة، الحقوق الأخلاقية الاستراتيجية.

(٢) وهو مشهور ومتداول، ويُعدّ من أفضل الكتب المؤلفة في باب التوحيد المرشد إلىٰ الاعتقاد بوحدانية الباري تعالىٰ.

(٣) وذلك حين عرض عبد الكريم بن أبي العوجاء وغيره من الملاحدة علىٰ المفضل بالحرم النبوي الشريف، فنال من شخصية النبي العظيم صلى الله عليه وآله، وزعم ←

تلميذه المفضّل بن عمر الجعفي الكوفي، وهو من أهم الكتب وأروعها التي ألفت في مجال اثبات الصانع وتوحيده، وكما أنّه من أكثرها استيعاباً للأدلة الحسيّة في قضايا التوحيد، والذي يعتبر من ذخائر التراث الإسلامي، حيث عالج منشأ الشك في الله تعالىٰ وتطرّق إلىٰ الأدلة الحسيّة علىٰ وجود الخالق سبحانه.

الأهليجية في التوحيد: رسالة كتبها الإمام الصادق عليه السلام رداً علىٰ الملحدين المنكرين للربوبيّة، احتجاجاً عليهم، وأرسلها إلىٰ المفضّل بن عُمر المذكور، راجع في ذلك بحار الأنوار والذريعة[1].

الأهوازية: رسالة كتبها الإمام الصادق عليه السلام مفصّلة، جواباً لأسئلة عبدالله النجاشي والي الأهواز، تحتوي علىٰ جملة من التعاليم الأخلاقية[2].

الرسالة الذهبية: رسالة في بعض النصائح الطبية كتبها الإمام الرضا عليه السلام للمأمون العباسي، فأمر بكتابتها بماء الذهب، فسميت بالذهبية،

← أنه لا خالق ولا مدبر لهذا الكون، فضاق المفضّل ذرعاً بذلك، ولم تكن عنده بضاعة علمية يستطيع أن يحاجج بها ابن أبي العوجاء فالتجأ إلىٰ الإمام الصادق عليه السلام، وطلب منه أن يزوده بأدلة علمية يستطيع أن يخاصم بها الملاحدة، فأملى عليه الإمام عليه السلام هذا الكتاب في أيام متعددة.

(١) بحار الأنوار ٣: ١٥٢ ـ ١٩٦، الذريعة ٢: ٤٨٤.

(٢) الأهوازية: أوردها السيد محي الدين ابن زهرة الحلبي في كتاب الأربعين: ٤٦ وما بعدها، الحديث السادس، وعنه الشهيد الثاني في كشف الريبة: ١١٤ وما بعدها، وانظر بحار الأنوار ٧٧: ١٨٩ و٧٨: ٢٧١.

أوردها السيد الجزائري في كتاب الأنوار النعمانية[١].

التراث الحديثي الضخم: لقد حفلت مصادر الحديث بكتب قيّمة وموسوعات ضخمة بجمهرة مشرقة من الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي تتعلق بالأحكام الشرعية، والآداب، والسلوك، والأخلاق، ومحاسن الصفات، وسائر العلوم والموضوعات.

اعتراف الصحابة وغيرهم:

لقد اعترف الصحابة وغيرهم بأعلمية الإمام علي عليه السلام من خلال معايشتهم له والقضايا والأحداث التي عاصروها، وهذا الاعتراف دونته كتب السير والتأريخ والحديث وغيرها، منها:

قال الخليفة الثاني: (عليّ أعلم الناس بما أنزل الله على محمد)[٢].

وقال عبدالله بن مسعود: (انّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن وأنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن)[٣].

وقال عبدالله بن عباس: (كنّا نتحدث أنّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إلى علي

---

(١) الأنوار النعمانية ٤: ١٧٤.

والرسالة الذهبية: شرحها السيد فضل الله الراوندي (ت ٥٤٨ هـ) والسيد عبدالله شبّر (ت١٢٤٢ هـ) والدكتور صاحب زيني وشرحه مقارن بالطب الحديث.

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٣٩، رقم ٣٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ٢٢١، بحار الأنوار ٨٩: ٩٣، الحديث ٤٢.

سبعين عهداً لم يعهد إلىٰ غيره)[١].

أخرج أحمد بن حنبل: (أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة، فقال: اسأل عنها علياً فهو أعلم، فقال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إليّ من جواب علي، قال: بئس ما قلت لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغرّه بالعلم غراً، ولقد قال له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وكان عمر إذا أشكل عليه أخذ منه...)[٢].

وكذلك اعترف غير الصحابة بمرجعية أهل البيت عليهم السلام العلمية من تابعين وخلفاء وفقهاء وأئمة مذاهب، منهم:

اعتراف المأمون: حينما عزم المأمون علىٰ تزويج الإمام الجواد عليه السلام من ابنته أُم الفضل كبر ذلك علىٰ بني العباس، وطلبوا من المأمون أن يمهل الإمام حتّىٰ يتفقه في الدين علىٰ حد زعمهم، فقال لهم:

(ويحكم أنا أعرف بهذا الفتىٰ منكم، وإنّ هذا من أهل بيتٍ علمهم من الله، وموادّه وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعاية الناقصة عن حد الكمال!!..)[٣].

والشعبي حيث قال: (ما كان أحد من هذه الأمة أعلم بما بين اللوحين وبما أُنزل علىٰ محمد من عليّ)[٤].

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ٢: ٦٩، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١١٣.

(٢) فضائل أحمد ٢: ٦٧٥ رقم ١١٥٣ طبعة مؤسسة الرسالة، وراجع: الصواعق لابن حجر ٢: ٥٢٢ طبعة مؤسسة الرسالة، الرياض النضرة ٢: ١٩٥، ذخائر العقبىٰ: ٧٩ طبعة القدس.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٨٢.

(٤) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٤٨، رقم ٤٢.

وكان أبو حنيفة يقول في حق الإمام الصادق عليه السلام: (ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد...)[١].

وكان يقول أيضاً مشيراً إلى فضل الإمام عليه السلام عليه في تعليمه العلم قائلاً: (لولا السنتان لهلك النعمان)[٢].

هذه بعض الشواهد التي نقلها لنا التاريخ، ومن أراد المزيد عليه بمراجعة الكتب التي تعرضت لذالك.

رجوع الآخرين إليهم:

كان الآخرون يرجعون إليهم عليهم السلام ويأخذون برأيهم في أغلب مجالات العلم والمعرفة في الفقه والقضاء وغيرهما، ولقد ذكر ابن الجوزي في كتابه «المنتظم» مشيراً إلى غزارة علم الإمام علي عليه السلام قائلاً:

(كان أبو بكر وعمر يشاورانه ويرجعان إلى رأيه، وكان كلّ الصحابة مفتقراً إلى علمه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن)[٣].

وكان الخليفة الأول إذا عجز عن الإجابة عن بعض المسائل دعا علياً عليه السلام فأجابه عنها، فمثلاً سأله اليهود عن مسائل متعددة فحوّل الجواب إلى علي عليه السلام فأجابهم[٤].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ١٦٦.

(٢) التحفة الاثني عشرية للآلوسي: ٨.

(٣) المنتظم ٥: ٦٨.

(٤) راجع ذخائر العقبى: ٨٠، الإيضاح للفضل ابن شاذان: ١٩٧.

وكذلك رجع الخليفة الثاني إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام في أُمور كثيرة في الفقه والقضاء، وفي أُمور مهمّة عبّر عنها بالهلاك، حيث قال: (لولا علي لهلك عمر)[١].

وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع عمر يقول لعلي عليه السلام وقد سأله عن شيء فأجابه: أعوذ بالله أن أعيش في يوم لست فيه يا أبا الحسن[٢].

(١) ذخائر العقبى ٨١ - ٨٢.

(٢) ذخائر العقبىٰ: ٨٢.

الفصل الثالث

غزارة علوم اهل البيت عليهم السلام

تنوع علوم أهل البيت عليهم السلام
المناظرات والاحتجاجات
الاختبار العلمي للأئمة عليهم السلام
علم الغيب عند أهل البيت عليهم السلام
العلوم في عصر الظهور

(١)

تنوع علوم أهل البيت عليهم السلام

انّ أهـل البيت عليهم السلام هـم النبع الصافي للعلوم والمعارف، وانّ علومهم عليهم السلام لا تتوقف على التكرار والدرس، ولا يزيد يومهم فيها على ما كان بالأمس.

ومن المحقق انّ الدراسات العلمية التي لا تخضع للنزعات الطائفية توكّد السمو العلمي لأهل البيت عليهم السلام، وتصدّرهم في جميع المجالات.

ولإبراز سعة علومهم ومعارفهم عليهم السلام فإنّ من الضروري التصدّي لمثل هذه الأبحاث؛ لتبرز الحقائق ناصعة مُسْفرة، والتي تثبت بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم معاقل العلم وروّاد المعرفة.

وحسبي ـ هنا ـ الإشارة المختصرة إلى تنوع علومهم عليهم السلام، والتعرّض إلى بعض العلوم التي كانوا يحملونها صلوات الله عليهم أجمعين:

التوحيد وعلم الكلام:

التوحيد قاعدة الإسلام وأساس الفهم والتفكير للتشريع والقيم والأخلاق ومنهج التفكير.

وانّ جميع العلوم والمعارف تنتهي إلى هذا المقصد الأسنى والغاية

القصوىٰ، يعني معرفة الله تعالىٰ، الذي هو السبب في سعادة الدارين وغاية الخلق، قال تعالىٰ: ﴿وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليَعْبُدُونِ﴾[1].

وأهل البيت عليهم السلام هم الذين تفاعل الإيمان بالله في أعماق نفوسهم، ودخائل ذاتهم، حتّىٰ صار من أبرز عناصرهم، ومن أظهر مقوماتهم، وقد أثرت عنهم عليهم السلام الكلمات الرائعة التي تعبّر عن التوحيد الخالص، ونُقل عنهم من الأدعية الشريفة، والمناجاة الحكيمة، وشذرات رائعة من فلسفة التوحيد مما يؤكّد علىٰ أنّهم كانوا من الروّاد الأوائل الذين رفعوا مشاعل الهداية والإيمان.

ولقد أغنىٰ الأئمة الأطهار عليهم السلام الفكر الإسلامي بما نشروه بين الناس من قضايا علم التوحيد والكلام، فكانت خطبهم ورسائلهم وكلماتهم تؤكّد علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، وعلىٰ صفات الذات والأفعال، وعلىٰ علم الله وقدرته، وكذلك اصرّوا علىٰ تنزيهه تعالىٰ عن التمثيل والتجسيد والهياكل؛ وبالخصوص في عصر الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام حينما توسعت دائرة الفرق الالحادية والزندقة والغلو، فتصدّىٰ الأئمة عليهم السلام للانحرافات العقائدية والفكرية آنذاك.

ونهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام طافح بما يتعلق بالتوحيد ومعرفة الله تعالىٰ والتأكيد علىٰ أهمية ذلك، قال عليه السلام:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له»[2].

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ١: ١٤.

ولقد أرسى الإمام علي عليه السلام أسس التوحيد، وبنى الحجر الأساس لعلم الكلام، فنرى خطبه في نهج البلاغة أفضل شاهد على ذلك، قال عليه السلام: «الحمدُ للهِ الدّال على وجُودهِ بخَلْقِه، وبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ على أزليّته؛ وباشتباههم على أن لا شَبَهَ لهُ. لا تَسْتَلِمُهُ المشاعِرُ (الحواس)، ولا تَحْجُبُهُ السَّواتِر، لافتراقِ الصّانِعِ والمصْنُوع، والحادِّ والمحدُود، والرَّبِّ والمربوب... ثمّ قال عليه السلام:

مَنْ وَصَفَهُ فقدْ حَدَّهُ، ومَنْ حَدّهُ فَقَدْ عدّهُ، ومَنْ عَدّهُ فَقَدْ أبطَلَ أَزَلَهُ، ومَنْ قال «كيف» فقد استوصَفَهُ، ومَنْ قال: «أَيْنَ» فقد حَيّزَهُ.

عالِمٌ إذْ لا معلومٌ، وربٌ إذْ لا مَرْبوبٌ، وقادِرٌ إذْ لا مَقْدُور»[1].

فهذه اللوحات الفنية الرائعة والنادرة من كلامه عليه السلام تعتبر من صميم البحوث في علم التوحيد والكلام.

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ايضاً:

«الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلّتْ عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عينٌ من لم يره تُنكرهُ، ولا قلبٌ من أثبتَهُ يبصره، سبقَ في العلوِّ فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنوِّ فلا شيء أقربُ منه، فلا استعلاؤه باعَدَهُ عن شيء من خلقِه، ولا قُربُه ساواهم في المكان فيه.

لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرارِ قلب ذي الجحود، تعالى الله عمّا يقول المشبّهون به الجاحدون له علوّاً كبيراً[2]».

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٢: ٣٩، الخطبة ١٥٢.

(٢) نهج البلاغة ١: ٩٩ (شرح محمد عبده)، الخطبة ٤٩.

وانّ كلام الإمام عليه السلام في نهج البلاغة فيما يخصّ التوحيد هو في الواقع الردّ الصحيح أيضاً على ما علق في أذهان بعض المسلمين من غبار أو غفلة، والذين أخذوا مروياتهم عن غير طريق أهل البيت عليهم السلام فابتلوا بكثير من الشبهات في التوحيد وأُصول الدين، فذكروا في كتبهم بما لا يليق بساحة قدس الله تعالى، ورووا أنّه عزّوجلّ يتجلّى لخلقه ويَرَوْنه كما يرون القمر ليلة البدر[١]، وأنّه ينزل إلى السماء الدنيا في كلّ ليلة[٢]، ويضع قدمه في النار فتمتلئ[٣]، وأنه يكشف عن ساقه لكي يعرفه المؤمنون[٤]، إلى غير ذلك[٥]. تعالى الله عنه علوّاً كبيراً.

انّ أهل البيت عليهم السلام علّموا الناس التنزيه الكامل لله سبحانه وتعالى عن المجانسة، والمشاكلة، والتصوير، والتشبيه، والتجسيم، والتحديد، وكلّ ما لا يليق بالله جلّ جلاله.

فانظر الى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أحد خطبه:

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصي نعماءه العادّون، ولا يؤدي حقّه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا ينالُه غوصُ الفطن،

---

(١) صحيح البخاري ٧: ٢٠٥ كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، صحيح مسلم ١: ١١٢، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٤٧، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٨٦، كتاب التفسير باب وتقول هل من مزيد.

(٤) صحيح البخاري ٨: ١٨٢ كتاب التفسير باب يوم يكشف عن ساق.

(٥) قال الحنفي الماتُريدي في كتابه التمهيد لقواعد التوحيد: قال أهل السنة والجماعة: رؤية الله تعالى في دار الآخرة جائزة بالدليل السمعي والعقلي..، انظر التمهيد لقواعد التوحيد: ٧٩ طبعة دار الغرب الإسلامي.

الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقتٌ معدود، ولا أجل ممدود... فمن وصف الله سبحانه فقد قرنَهُ، ومن قرنَهُ فقد ثنّاهُ، ومن ثنّاهُ فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حَدَّهُ، ومن حَدَّهُ فقد عَدَّهُ، ومن قال فِيمَ فقد ضمّنه، ومن قال علامَ فقد أخلىٰ منه، كائنٌ لا عن حَدَثٍ، موجودٌ لا عن عَدَمٍ، مع كلّ شيء لا بمقارنةٍ، وغيرُ كلّ شيء لا بمزايلةٍ، فاعِلٌ لا بمعنىٰ الحركات والآلةِ، بصيرٌ إذْ لا منظور إليه من خلقِهِ...»[1].

فانّ كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام في التوحيد هو الذي ينزّه الله تعالىٰ عن كلّ ما لا يليق بشأنه، وهو المنسجم مع كلام الله سبحانه وتعالىٰ في قرآنه المجيد: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[2] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[3]، وقوله تعالى لموسىٰ عليه السلام لمّا طلب رؤيته ﴿لَنْ تَرانِي﴾[4] مع تصديق العقل والفطرة السليمة.

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الواضع لأُصول علم الكلام وقواعده، ومنه أخذ المتكلّمون مناهج بحوثهم، وأشار إلىٰ هذا الواقع ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة[5].

ولقد تصدّىٰ الأئمة عليهم السلام بحزم للحاقدين الّذين حاولوا افساد عقائد

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٥، الخطبة الأُولىٰ.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) سورة الشورىٰ: ١١.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١: ١٧.

المسلمين، ففندوا مزاعمهم وابطلوا شبههم، ولقد عالجوا قضايا التوحيد على ضوء العقل والفطرة، وأرجعوا الكثير منها إلى الناحية الحسية[١] التي ترجع إلى القضايا البديهية التي لا تقبل الجدل، ولقد أبطلوا ببالغ الحجّة وواضح البرهان كلّ وهم وشبهة أُثيرت حول التوحيد.

وأكدوا على معرفة الباري تعالى واعتبروها الأساس في جميع الأعمال، وربطوا بين المعرفة والعمل.

ورد عن حسين السيقل قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول :

«لا يقبل الله عملاً بلا معرفة، ولا معرفة بلا عمل فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له....» [٢]

ومن الجدير بالذكر: انّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يعالجون المسائل العلمية الصعبة في صيغة كلامية واضحة، بحيث يستوعبها السائل بحسب ثقافته وإدراكه، فتبدوا الإجابة يسيرة الفهم، دقيقة التشخيص، سهلة الإدراك، لا لبس فيها ولا إبهام. ومن هذه المسائل ما سأله أبو هاشم الجعفري من الإمام الجواد عليه السلام في ما يتعلق بالتوحيد، وذلك عن قوله تعالى: **﴿لا تدركُهُ الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبْصَارَ﴾**[٣].

فأجاب الإمام عليه السلام: «يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، لم تدركها

---

(١) راجع توحيد المفضّل للإمام الصادق عليه السلام.

(٢) أُصول الكافي ١: ٣٥ الحديث ٢، باب من عمل بغير علم.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٠٣.

ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟»[١].

ووردت أحاديث ومناظرات وتصريحات أرسىٰ فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام العقيدة الحقّة، وردّوا شبهات المبطلين والزنادقة كالديصاني، وابن أبي العوجاء، وابن المقفع، والملحدين والغلاة والمجسّمة وأمثالهم[٢]..

التفسير وعلوم القرآن الكريم:

لا ريب أنّ القرآن الكريم هو أول مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وأهم مصادر الثقافة الإسلامية التي تعطي للأمّة الإسلامية رسالتها وهويتها، وتسير بها نحو الكمال المنشود.

فمعارف القرآن حقائق هائلة بحيث يصعب حصرها واحصاؤها، وهي من الوفرة إلىٰ الحد الذي لا يقف عليها الإنسان العادي إلّا أهل البيت عليهم السلام.

والقرآن العظيم يقع عند أهل البيت عليهم السلام الموقع الأول في الاعتزاز والتكريم، ويحتل المكانة السامية في قلوبهم، وتتقاطر آياته من شفاههم المباركة، ويسيرون مع حكمه وأمثاله، ويستوحون من عبره ومواعظه، وجعلوه منهاجاً لحياتهم، وخالطت آياته لحمهم ودمهم.

ولا غرابة في ذلك فهم عدل القرآن الكريم، وأحد الثقلين في

---

(١) التوحيد (للصدوق): ٦٩.

(٢) راجع كتاب الاحتجاج للطبرسي، وبالخصوص احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام مع الفرق الضالة والالحادية.

استخلاف النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

فأهل البيت عليهم السلام هم الذين وعوا القرآن والتزموا به، وأول من عرفه ووقف على محتوياته، وهم في طليعة من قيّم هذا الكتاب السماوي، وأشاد بفضله وعظيم منزلته، إذ أثرت عنهم كوكبة من الأخبار[1] التي أدلوا بها تؤكد على أهمية ذلك.

ولقد اعتنى أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم تلاوة، وحفظاً، وتفسيراً، وصيانة له عن أيدي العابثين، وانتحال المبطلين... والشيء المؤكد أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم من غيره ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بالقرآن الكريم حيث أشار عليه السلام إلى أعلميته التي استقاها من المنهل الأساسي والمصدر الأول وهو رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال:

«وكنت أدخل على رسول الله ليلاً ونهاراً، وكنت إذا سألته أجابني وان سكتُ ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلّا قرأتها، وعلمت تفسيرها وتأويلها»[2].

وأخرج ابن سعد وغيره، عن أبي الطفيل، قال: قال علي عليه السلام: «سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفتُ بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم جبل»[3].

ونقل أبو نعيم في الحلية عن عبدالله بن مسعود (وهو تلميذ الإمام

---

(١) راجع أُصول الكافي ٢: ٥٩٦ ـ ٦٣٤، كتاب فضل القرآن.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٤٨، مختصر تاريخ دمشق ١٨: ١٨.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٤٢، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣٢٨، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٨ بحار الأنوار ٨٩: ١٠٣،ح ٨٣، ينابيع المودة ٢: ٤٠٨.

عليعليه السلام):

«إنّ القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف ما منها إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ ابن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن»[١].

وكان تعظيم الأئمةعليهم السلام للقرآن، وعملهم بمحكم آياته، وإقامة حكمهم العادل علىٰ أساسه غنياً عن البيان، وشهرته أوسع مما تنطق، ويكفي علىٰ ذلك أنّ الإمام عليعليه السلام أول من جمع الآيات المباركة كما قالعليه السلام:

«وهو كتاب الله عزّوجلّ كما أنزله علىٰ محمدصلى الله عليه وآله، وقد جمعته من اللوحين»[٢].

وكان أمير المؤمنينعليه السلام قد أسس مدرسة أهل البيتعليهم السلام في التفسير، فكان المسلمون يأخذون عنه هذا العلم ويعتبرون تفسيره للآيات المباركة من الثوابت التي لا تتحول، والذي علّمه إيّاه رسول اللهصلى الله عليه وآله، حتّىٰ عُرف بين الصحابة أجمعين أنّه أعلمهم بالقرآن؛ بحيث أخذ المسلمون علم تفسير القرآن منهعليه السلام ومن تلميذه عبدالله بن عباس، وقد قيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال كنسبة قطرة من المطر إلىٰ البحر المحيط[٣].

وبعد أن نهض بعبئ الإمامة أبناء الإمام عليعليه السلام الأئمة الأطهارعليهم السلام، فكانوا أيضاً هم حملة القرآن، وتراجمته فبينوا آياته المحكمة والمتشابهة،

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ٣٢١، بحار الأنوار ٤٠: ١٥٧.

(٢) أُصول الكافي ٢: ٦٣٢، الحديث ٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٩، بحار الأنوار ٤١: ١٤٢.

والعام والخاص منها، وكذلك مطلقها ومقيدها، وقاموا بتأويل الآيات والوقوف على حقيقتها النازلة من ربّ العالمين، والذي لا يمكن أن يحيط بها إلّا أهل البيت عليهم السلام الراسخون في العلم، والذي نزل في بيتهم الوحي. وبينوا ما اشتمل عليه القرآن من حكم وأمثال، وعبر وعظات، ودلائل ومفاهيم، وآيات يستخرج منها الأحكام[1]، حتى استقطبت مدرستهم عليهم السلام جهابذة الفكر وطلّاب المعرفة، فاظهروا ما في القرآن من كنوز وفتقوا ما ضمت آياته من معارف، وكانوا حقاً عليهم السلام نبعاً ثرياً زلالاً لا تنقطع روافده. وعلى أيّ حال، فإنّ أوّل مدرسة للتفسير بالمأثور كانت في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو أوّل مفسّر للقرآن الكريم وعنه أخذ ابن عباس وغيره من أعلام الصحابة، وكذلك اهتم بالقرآن الكريم اهتماماً بالغاً أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فتناولت الكثير من كلماتهم تفسير القرآن وأسباب نزول آياته وفضل قراءته.

---

(١) هناك العديد من الأحكام التي استنبطها أهل البيت عليهم السلام من القرآن الكريم تشتمل على موضوعات مختلفة، ومن أراد الوقوف على تلك الإفاضات في آيات الأحكام واستنباط فقه القرآن الكريم مما أورده الأئمة عليهم السلام، فعليه التماس ذلك من مظانّه.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، راجع ما رواه زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية المباركة ١٠١ من سورة النساء في القصر في الصلاة عند السفر، الفقيه للصدوق ١: ٤٣٤.

وكذلك انظر ما رواه زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً في أحكام الجواري وملك اليمين واستخراج الحكم الشرعي من قبله عليه السلام بيسر ووضوح من القرآن الكريم من الآية ٢٣ من سورة النساء، وانظر تفسير الميزان ٤: ١٦٨، ٢٦٩.

الفقه وأُصول الفقه:

علم الفقه بالمعنىٰ المعروف فعلاً، هو العلم بأحكام المكلّفين علىٰ ضوء مصادر الشريعة الإسلامية.

ولا شك أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا الذروة العليا في علم الفقه ومعرفة الأحكام الشرعية؛ لأنّهم تربوا في بيتٍ نزل فيه الوحي، وصدرت منه علوم الشريعة فكان لهم الدور القيادي في هذا العلم ونشره، وذلك بعد أن أعدّوا لشيعتهم منهجاً رائعاً ومستقلاً كاملاً من الفقه المتطور الذي يساير الزمن في جميع مراحل التاريخ، وقد أغنوا عليهم السلام به أتباعهم من أن يكونوا عالة علىٰ أيّ مذهب من المذاهب الإسلامية أو الإجتماعية، فقد كان فقههم من أروع وأسمىٰ وأدق ما قنن في علم الفقه والقانون، وهذا مما جعل مذهب أهل البيت عليهم السلام من أبرز المذاهب الإسلامية.

ولكن اقصاء أهل البيت عليهم السلام عن قيادة الأمّة كان المؤثر باقصاء فقههم في التشريع، واستعيض عن ذلك بمرجعية غيرهم، فمني التشريع الإسلامي بنكسة ارتفعت إلىٰ مستوىٰ الكوارث الإنسانية، وأية نكسة أعنف وأشد علىٰ المسلمين من ذلك!

وأمّا الذي كان يهوّن الخطب أن الرواة قد دونوا أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام في الأُصول الأربعمائة، وجمعت في الكتب الأربعة (الكافي والتهذيب والاستبصار والفقيه) والتي هي من أمهات كتب الحديث عند الشيعة، والتي يرجع إليها فقهاء الإمامية في استنباط أحكامهم الشرعية.

وأمّا أُصول الفقه، هو العلم الذي يبحث فيه عن حجية الدليل الفقهي بالاستناد إلىٰ حجية أدلته في استنباط الأحكام الفرعية، أي علم الأُصول يكون معنياً باثبات دليل الحكم الشرعي.

وانّ مصدر علم الأُصول هو أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام القول:

«انّما علينا أن نلقي الأُصول وعليكم أن تفرّعوا»[١] فهذه دعوة إلى إعمال الفكر وتجديد النظر، وهي رفض للجمود ومخالفته.

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«علينا الأُصول وعليكم الفروع»[٢].

فعلم الأُصول أسسه أهل البيت عليهم السلام، وبالذات الإمام الباقر عليه السلام ثمّ تبعه الإمام الصادق عليه السلام في ارساء دعائم هذا العلم وبناء صرحه الشامخ.

يقول السيد حسن الصدر: «إنّ أول من فتق بابه ـ أي علم الأُصول ـ وفتق مسائله هو باقر العلوم الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وبعده ابنه أبو عبدالله الصادق عليه السلام، وقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله، جمعوا من ذلك مسائل رتّبها المتأخرون على ترتيب مباحثه ككتاب (أُصول آل الرسول)، وكتاب (الفصول المهمة في أُصول الأئمّة) وكتاب (الأُصول الأصلية) كلّها بروايات الثقات مسندة متّصلة الإسناد إلى أهل البيت عليهم السلام»[٣].

ومهما يكن من أمر، فإنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام لهم الدور البارز في إرساء قواعد هذا العلم ومعالجة الكثير من قضاياه، وبالأخص في مباحث الأُصول العملية التي يلجأ إليها الفقيه عندما لم يكن عنده الدليل اللفظي، كما في مبحث الاستصحاب، وهو ابقاء ما كان[٤] (كما عرّفه الشيخ الأنصاري).

---

(١) الوسائل ٢٧: ٦١، الحديث ٥١، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي.

(٢) المصدر السابق ٢٧: ٦٢، الحديث ٥٢، الباب نفسه.

(٣) الشيعة وفنون الإسلام: ٩٥.

(٤) فرائد الأُصول للشيخ الأنصاري ٢: ٥٤١ طبعة جامعة المدرسين في قم.

وابقاء ما كان يعني به: «الحكم ببقاء حكم أو موضوع ذي حكم شك في بقائه»[١].

ومصدر هذا الأصل هو الإمام الباقر عليه السلام، لقد روي عن زرارة عنه عليه السلام روايات فيها استبقاء الحكم السابق في الطهارة[٢]، والوضوء[٣]، والصلاة[٤]، وبقاء ما كان على ما كان هو الاستصحاب، ولا ينقض اليقين بالشك، بل ينقض اليقين بيقين مثله.

وأيضاً ما ورد عنهم عليهم السلام في البراءة الشرعية[٥] والعقلية[٦]، وكذلك في بقيّة مباحث الأصول العملية.

الحديث الشريف:

للحديث الشريف أهمية خاصّة في العلوم الإسلامية، فقد بُني معظم الفقه الإسلامي عليه، فإنّه يتعرّض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة، كما يذكر أجزاءها وشرائطها

---

(١) كفاية الأصول للآخوند الخراساني: ٣٨٤ طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) راجع التهذيب للشيخ الطوسي ١: ٤٢١ حديث ١٣٣٥.

(٣) المصدر السابق ١: ٨ حديث ١١.

(٤) الخصال: ٦١٩.

(٥) البراءة الشرعية: يراد بها الوظيفة الشرعية النافية للحكم الشرعي عند الشك فيه، واليأس من تحصيله، راجع الأصول العامة للفقه المقارن: ٤٨١.

(٦) البراءة العقلية: يراد بها الوظيفة المؤمنة من قبل العقل عند عجز المكلّف عن بلوغ حكم الشارع أو وظيفته. انظر المصدر السابق: ٥١٣.

وموانعها وسائر ما يعتبر فيها، ويتعرّض لعمومات الكتاب ومطلقاته فيخصّصها ويقيّدها، هذا بالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك وقواعد الأخلاق.

وقد كان الأئمة عليهم السلام من أعظم الرواة وأهمّهم فضلاً باعتبار انّ أحاديثهم عليهم السلام هي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله. ولقد اعتنى أئمة الحديث بأحاديث أهل البيت عليهم السلام اعتناءً كبيراً باعتبارهم الرائد الأول لنشر العلوم والمعارف الالهية، ولولا أحاديثهم الشريفة وجهودهم المباركة؛ لاندرست معالم الدين الحنيف واندثرت السنة النبوية الشريفة.

وترى الشيعة أنّ من صميم السنّة النبوية قول أئمة الهدى عليهم السلام وفعلهم وتقريرهم، فإنّها امتداد ذاتي للسنة النبوية، وإنّ من يلحظ سيرتهم عليهم السلام يجدها تنبض بروح النبي صلى الله عليه وآله وهديه وسلوكه، فهم أوصياؤه وخلفاؤه، إذ جعلهم الرسول صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين عدلاً للقرآن، فحديثهم حديث الرسول صلى الله عليه وآله، وفعلهم فعله، وتقريرهم تقريره، ولقد دونت أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الموسوعات والكتب القيّمة، التي عنت بجمع أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأصبحت المرجع للفقهاء والفضلاء وطلّاب العلم في شتى المجالات، كلّ هذه المنابع الثريّة تصب في رافد أهل البيت عليهم السلام، بل يرفدها بحرهم الذي لا ينضب، وكفى فخراً.

العرفان:

يتميز عرفان الأئمة عليهم السلام بالتوحيد الخالص، وهذا ديدنهم في نبذ الثنائية والتثليث، تاركين الغلو والسرف في تعريف صفات الخالق أو

المخلوق، كما حدث ذلك للعرفان الإسلامي ـ أحياناً ـ في ادواره الأخيرة.

وكان عرفان الأئمة عليهم السلام بعيداً عن المبالغات والأمور الفارغة، ومبنياً على أساس توحيدي في تنزيه الخالق عن ما لا يليق به، وهو يرتكز على التوكل على الله تعالى وتنفيذ أوامره والابتعاد عن نواهيه دون إهمال الدنيا والابتعاد عنها؛ وذلك لكي لا تضطرب الحياة اليومية، ويتكدر صفوها.

فكانوا عليهم السلام في مدى انجذابهم للحقيقة الإلهية بين الخوف والخشية، وكان عرفانهم عليهم السلام يبتعد عن الفهم التقليدي السائد عند بعض العرفاء، فلا أثر عندهم للشكليات المزيفة، ولا انحراف في مسلكهم.

فكانوا عليهم السلام يعلّمون الناس العرفان الأصيل الذي يطابق تماماً ما صوّره القرآن الكريم، أيّ أنّ الإنسان مخلوق من قبل الله تعالى، وهو يرجع إليه.

حيث حاربوا عليهم السلام مظاهر الضعة والذل والتصعلك التي كانت قد تبدو في مظاهر جملة من المتزهدين الذين يدّعون العرفان، بينما نرى الأئمة عليهم السلام كانوا يلفتون نظر الناس إلى ذلك ويطلبوا منهم الاهتمام بنعم الله تعالى والحث على اظهارها.

روى الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله عزّوجلّ يحبّ الجمال والتجمّل، ويبغض البؤس والتباؤس»[1].

وروى عنه عليه السلام أيضاً:

---

(١) الكافي ٦: ٤٤، الحديث ١٣.

«إني لأكره للرجل أن يكون عليه من الله نعمة فلا يظهرها»[١].

وهذا التوجه من الإمام عليه السلام قد أخرج المتصوفة والقائلين بهذا النحو من العرفان الفارغ عن ملحظ العبودية لله تعالىٰ، إلىٰ العرفان الحقيقي الذي يلحظ ويراقب الباري تعالىٰ، بعيداً عن المظهر الخارجي والشكل الظاهري، بل في نظرهم الشريف العرفان الصحيح هو المبني علىٰ أسس متينة من التوحيد.

العلوم التجريبية

كان لائمّة أهل البيت عليهم السلام الدور الكبير في نشر مختلف العلوم والمعارف وليس علوم الشريعة الغرّاء فحسب، بل ساهموا في إرساء قواعد العلوم التجريبية أيضاً، ومهّدوا السبيل أمام الآخرين، وعبّدوا الطريق للأجيال اللاحقة، فلهم سبقاً علمياً في ذلك، فإنّهم صلوات الله عليهم أفادوا تلاميذهم بمختلف المجالات، فبالإضافة إلىٰ ذلك الحشد الهائل الذي برز من تلاميذهم في علوم الشريعة، كزرارة، ومحمد بن مسلم، وهشام بن الحكم، برز أيضاً لهم تلامذة في العلوم التجريبية كجابر بن حيّان وغيره، الذي تعلّم من الإمام الصادق عليه السلام الكيمياء والفيزياء والطب، وصرّح بأنّ كلّ ما لديه من سيده ومولاه الإمام الصادق عليه السلام.

فهذا التعدد في التخصص، وذلك التنوع في المعارف، يصوّر لنا مدىٰ أهمية أهل البيت عليهم السلام في نشر العلوم والمعارف التي تنفع الناس في دنياهم وآخرتهم..

---

(١) المصدر السابق ٦: ٤٣٩، الحديث ٩.

وسنلمح بايجاز إلىٰ بعض علومهم عليهم السلام في مجال العلوم التجريبية:

علم الكيمياء: من المعروف والمسلّم به أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان له تلامذة أفذاذ أخذوا عنه عليه السلام هذا العلم، ومن جملتهم جابر بن حيّان الكوفي، فكان يأخذ علومه من الإمام عليه السلام بحيث أصبح من أصحاب المؤلفات القيّمة في مختلف العلوم، وليس في علم الكيمياء فقط، بل ألف في الطب، والفلسفة، والصنائع، والمنطق، والمواعظ وغيرها، راجع في ذلك ما ذكره ابن النديم في فهرست المؤلفات فيما يخصّ مؤلفات جابر، حيث قال:

«له فهرست كبير يحتوى على جميع ما ألف في الصنعه وغيرها، وله فهرست صغير يحتوى على ما ألف في الصنعه فقط، ونحن نذكر جملا من كتبه رأيناها وشاهدها الثقات فذكروها لنا، ثمّ عدد كتبه»[1].

وقال الشيخ الطهراني في كتاب الذريعة:

«الرسائل الجعفرية، تنسب إلىٰ الإمام الصادق عليه السلام هي خمسمائة رسالة، جمعها ودوّنها في ألف صفحة تلميذه جابر بن حيّان. وطبعت في استراسبورغ كما في «اكتفاء القنوع»[2].

وجابر يعتبر الإمام الصادق عليه السلام هو صاحب المدد والإلهام له في كلّ هذه العلوم فيقول:

«وحق سيدي ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ لولا أنّ هذه الكتب باسم سيدي لما

---

(١) الفهرست لابن النديم: ٤٣٦، ط. دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق ابراهيم رمضان.

(٢) الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة ١٠: ٢٤٤.

وصلت إلىٰ حرف من ذلك»[١].

وتلمذة جابر علىٰ الإمام الصادق عليه السلام ممّا ليس فيها أيّ شك، وأخذه عنه علم الكيمياء مجمع عليه.

جاء في كتاب «الإمام الصادق عليه السلام ملهم الكيمياء» للاستاذ محمد يحيى الهاشمي، ما لفظه:

«ولدىٰ مطالعتنا للتراث الذي خلّفه لنا جابر عن الكيمياء، نرىٰ إعترافاً صريحاً بأنّ المعلّم لهذه الصنعة هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام»[٢].

وتعود البداية إلىٰ أيام الإمام الباقر عليه السلام، فيما أشار إليه الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي لدىٰ ترجمته الإمام الصادق عليه السلام، فقال:

«تتلمذ عليه جابر بن حيّان، وكان أبوه شيعياً قُتل دفاعاً عن الحقيقة وفي حبّ آل البيت، فاصطنع الإمام الباقر ـ والد الإمام جعفر ـ ذلك الفتىٰ اليتيم، وفقهه في الدين، حتّىٰ إذا ورث الأمانة جعفر (الصادق) أخذ بيد جابر بن حيّان، وتعهده وحثّه علىٰ دراسة علوم الحياة، وزوّده بمعمل، وأمر أن ييسير كتاباته لينتفع بها الناس، وخصص له وقتاً في كلّ يوم يتدارسان فيه علوم الطبيعة والكيمياء والطب»[٣].

ويقول الأستاذ كراوس في دائرة المعارف الإسلامية:

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام لعبد الحليم الجندي: ٢٤٤.

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام للدكتور محمد حسين الصغير: ٣٦٨ حكاه عن كتاب الإمام الصادق عليه السلام ملهم الكيمياء للهاشمي: ٣٥ الطبعة الثانية.

(٣) الإمام جعفر الصادق عليه السلام للدكتور محمد حسين الصغير: ٣٦٨ حكاه عن شخصيات اسلامية لعبدالرحمن الشرقاوي: ٤٠.

«جابر بن حيّان الأزدي الكوفي تلميذ الإمام الشيعي السادس جعفر الصادق..

ويقول جابر: إنّه تلقىٰ علومه من سيده جعفر الصادق، ويردّها جمعياً إلىٰ استاذه هذا الذي يسميه (معدن الحكمة) ويصرّح بأنّه لم يبق له ـ أي جابر ـ إلّا جمعها وترتيبها»[1].

ولقد لازم جابر الإمام الصادق عليه السلام ملازمة التلميذ لأستاذه، واستفاد منه كثيراً، يقول المستشرق الكبير هولميار:

«إنّ جابر هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه، وقد وجد في إمامه سنداً، ومعيناً، وراشداً أميناً، وموجّهاً لا يستغني عنه، وقد سعىٰ جابر أن يحرر الكيمياء بإرشاد أستاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الاسكندرية، فنجح في هذا السبيل إلىٰ حدّ بعيد»[2].

الإمام الصادق عليه السلام وعلم الكيمياء:

إن الإمام الصادق عليه السلام قد درّس مختلف العلوم، وخاض في أنواع المعارف، ولم يقتصر علىٰ علوم الشريعة فحسب، بل درّس في مدرسته العملاقة علم الكمياء وغيره من العلوم قبل اثني عشر قرناً ونصف قرن، واشتهر من تلامذته في هذا العلم هشام بن الحكم المتوفى حوالي سنة ١٩٩ هـ وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وتلامذته، وله نظرية في جسميّة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٦: ٢٣١ طبعة دار المعرفة ـ بيروت، وانظر كتاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٣٦٨.

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام للدكتور محمد حسين الصغير: ٣٧٠، حكاه عن كتاب الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ٣٧ لمحمد يحيىٰ الهاشمي، الطبعة الثانية.

الأعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذ إبراهيم بن يسار النظام المعتزلي هذه النظرية لمّا تلمذ على هشام، وقد أثبتت صحّة هذا الرأي النظريّات العلميّة الحديثة القائلة أنّ الضوء يتألف من جزئيات في منتهى الصغر تجتاز الفراغ والأجسام الشفّافة، وأنّ الرائحة أيضاً من جزئيات متبخّرة من الأجسام تتأثّر بها الغدد الأنفية، وأنّ المذاق جزئيات صغيرة تتأثّر به الحليمات اللسانية.

ومن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الذين اشتهروا ببراعتهم في الكيمياء والعلوم الطبيعيّة جابر بن حيّان.. الذي دوّن وألّف خمسمائة رسالة من تقريرات الإمام عليه السلام في علمي الكيمياء والطب في ألف ورقة، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست، وأطال فيه الكلام.

وقد ذكر له كتباً ورسائل في مختلف العلوم، ولا سيّما في الكيمياء والطب والفلسفة.

وقد اهتم المؤلفون بمنزلة جابر، وعدّوه من مفاخر الإسلام، ولا عجب في ذلك فإنّ من تبلغ مؤلفاته ثلاثة آلاف مؤلّف ما بين كتاب ورسالة في مختلف العلوم، وجلّها في العلوم النظريّة والطبيعيّة التي تحتاج إلى زمن في تجاربها وتطبيقاتها، لجدير بالتقدير والإكبار.

وقد تمكّن جابر من تحقيق وتطبيق طائفة كبيرة من النظريات العلميّة، أهمها تحضير «حامض الكبريتيك» بتقطيره من الشبّة، وسمّاه الزيت الزاج، كما حضّر «حامض النتريك» و«ماء الذهب» و«الصودا الكاوية». وكان جابر أوّل من لاحظ ترسّب «كلورود الفضّة» عند إضافة محلول ملح الطعام إلى محلول «نترات الفضّة»، وينسب إليه تحضير مركّبات أُخرى مثل «كربونات البوتاسيوم» و«كربونات الصوديوم» وغير ذلك، ممّا له أهميّة في صنع المفرقعات والأصباغ والسماد الصناعي والصابون وغيرها. ولم تقف عبقرية

جابر في الكيمياء فحسب، بل انبعث منها إلىٰ ابتكار شيء جديد في الكيمياء، وهو ما سمّاه بعلم الميزان، أي معادلة ما في الأجساد والمعادن من طبائع، وقد جعل لكلّ جسد من الأجساد موازين خاصّة بطبائعه، وكان ذلك بداية لعلم المعادلات في طبائع كلّ جسم[1].

علم الفيزياء:

لا استغراب ولا عجب عندما يضاف مثل هذه العلوم الحديثة إلىٰ علوم أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ من مصادر علومهم عليهم السلام ما ورثوه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي أخذ علومه صلى الله عليه وآله من خالق هذا الكون ومبدعه...

وبما أنّ الفترة الزمنية التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام كان فيها شيء من الحرية لبث مختلف العلوم والمعارف، ومنها ما يتعلق بعلم الفيزياء، لقد أثر عنه عليه السلام مجموعة من النظريات في هذا العلم، نلمح إلىٰ بعضها بإيجاز، منها:

قانون الأجسام الصلبة:

من المسائل المهمّة في علم الفيزياء قانون الأجسام الصلبة، لقد صنّف الإمام الصادق عليه السلام الأجسام إلىٰ أجسام كدرة، وأخرىٰ مصقولة شفّافة، إذ قال عليه السلام: «كلّ جسم صلب جامد يكون كدراً، وكلّ جسم جامد دافع يكون لماعاً وشفافاً..».

وفي الردّ علىٰ سؤال: ما الذي يجذب؟ قال عليه السلام: «إنّ الحرارة هي التي تجذب».

---

(١) انظر «الإمام جعفر الصادق في نظر علماء الغرب: ٣٩ ـ ٤١، وراجع كتاب الإمام الصادق عليه السلام، ملهم الكيمياء لمحمّد بن يحيىٰ الهاشمي: ١٥٦.

وقد أصبحت هذه النظرية في يومنا الحاضر قانوناً علمياً في الكهرباء والفيزياء...

ونعرف في قوانين الفيزياء الحديثة أن كلّ جسم كدر تصدر عنه أمواج وأشعة حرارية، فيكون موصلاً جيداً للحرارة وللأمواج الالكترونية.

الأجسام التي لا تنقل الحرارة منها بسهولة، أي غير الموصلة للحرارة الجاذبة لها أو الناقلة من الأمواج الألكترونية، تعتبر أجساماً عائقة، وتكون شفافة لمّاعة.

والإمام الصادق عليه السلام لم يتحدث عن أمواج كهرطيسية، وإنما تحدّث عن الحرارة، وجاءت أقواله مطابقة لقوانين الفيزياء اليوم القائلة إنّ الأجسام الكدرة كالحديد تنقل الأمواج الكهرطيسية وتنقل الحرارة أو توصلها ببطء، وتحول دون الأمواج الكهرطيسية أجسام عائقة، وتكون لمّاعة شفافة.

وتقوم هذه النظرية عند الإمام الصادق عليه السلام في كدر الأجسام أو صفائها على أساس الجاذبية والقدرة على الشدّ والقبض.

ولما سُئل عليه السلام عن سبب كدر الأجسام أو صفائها؟

قال عليه السلام: «إنّ الجسم القابض للحرارة كدرٌ، والأجسام التي لا تمتص الحرارة شفّافة على اختلاف مراتبها». وهذا نفسه يطابق قوانين الفيزياء الحديثة في تعليل كدر الأجسام أو صفائها[1][2].

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام / للدكتور محمد حسين الصغير: ٣٨٦، حكاه عن كتاب «الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب» لجماعة من كبار المستشرقين: ١٧٧ بتصرف.

(٢) الموجات الكهرطيسية: من المناسب الاشارة الى مجال استخدام هذه الامواج

الزمان والمكان نسبيان:

للإمام الصادق عليه السلام نظريات دقيقة حول الزمان والمكان تتفق إلى حدّ ما مع النظريات العصرية، وأن تعريفهما جاء مصوغاً في قالب سهل، وواضح المعنى..

ففي رأي الإمام الصادق عليه السلام أنّ الزمان غير موجود بذاته، ولكنه يكتسب واقعيته وأثره من شعورنا واحساسنا، كما أنّ الزمان حدّ فاصل بين واقعتين أو حدثين.

← وهى تعتبر أحد طرق القياس غير المباشر. ولتوضيح المطلب نقول:
إنّ بعض الآلات تعطينا قياسات مباشرة، لا حاجة لأي «وسيط» بين الآلة المستخدمة وموضوع القياس، كما في مقياس القبان الذي يستعمل لمراقبة حمولة الشاحنات، والبارومتر او المضغاط الزئبقي لقياس الضغط الجوي، أو الأميير يستعمل لمعرفة قوة التيار الكهربائي، او مقياس المقاومة لمعرفة توتر التيار، وغيرها.
لكن هناك حالات عديدة يستحيل فيها القياس المباشر، إمّا بسبب الحجم الكبير (مثل شعاع الكرة الأرضية)، أو الحجم الصغير (مثل ابعاد الذرة المتناهية الصغر)، وامّا لطول المسافة (كالتي تفصل بين الأرض واحدى النجوم)، أو لتعذر الشيء المراد قياسه (مثل المناجم المعدنية في جوف الأرض)، ففي هذه الحالات ينبغى اللجوء الى طرق القياس غير المباشر باستخدام بعض الآلات المعقدة ذات الموجات الكرطيسية، او الفوق صوتية، او المرايا الدائرة و...(انظر الموسوعة العلمية الملونة ج ٨ ص ١٤٠٤ ـ ١٤٠٦).
واما كيفية الاستخدام فهو يحتاج الى بيان علمى مفصّل، لايمكن التعرض له في هذا البحث.

وهو عليه السلام يرىٰ أنّ الليل والنهار ليسا من أسباب تشخيص الزمان ومعرفته، يضاف إلىٰ ذلك أنّ الليل والنهار ليس لهما طول ثابت، فالليل يقصر في الصيف ويطول في الشتاء، والنهار عكسه، وهما يتعادلان أحياناً.

وفي رأي الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّ للمكان وجوداً تبعياً لا ذاتياً، وهو يتراءىٰ لنا بالطول والعرض والارتفاع، ولكن وجوده التبعي يختلف باختلاف مراحل العمر، ومن ذلك مثلاً أنّ الطفل الذي يعيش في بيت صغير، يرىٰ بخياله وأحلامه أن فضاء البيت ساحة كبرىٰ، ومتىٰ بلغ هذا الطفل العشرين من عمره، رأىٰ هذا الدار مكاناً صغيراً جداً، وأدهشه أنّه كان يراها واسعة رحيبة في طفولته.

فللمكان بناء علىٰ ذلك، وجود تبعي لا حقيقي، وفي هذا اتفقت آراء علماء الفيزياء في القرن العشرين مع رأي الإمام الصادق عليه السلام في القرن السابع الميلادي[1].

نظرية الضوء:

من النظريات التي بهر بها علماء الغرب نظرية الإمام الصادق عليه السلام بالضوء، ففي رأي الإمام عليه السلام أنّ الضوء ينعكس من الأجسام علىٰ صفحة العين البشرية، أمّا الأجسام البعيدة فلا ينعكس منها إلّا جزء صغير من الضوء، ولهذا تتعذر رؤيتها بالوضوح الكافي.

ونتيجة للاتصال الذي تحقق بين أوربا والشرق أثناء الحروب الصليبية، انتقلت هذه النظرية من الشرق إلىٰ أوربا، واستفادوا منها في المعاهد العلمية

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام / للدكتور محمد حسين الصغير: ٣٨٨، حكاه عن كتاب «الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب» لجماعة من كبار المستشرقين: ٣٨٥.

والجامعات الأوربية، وكان من جملة المهتمين بها الدكتور روحر بيكون (ت ١٢٩٤ م) الأستاذ بجامعة أكسفورد.

وجاءت نظرية بيكون في الضوء مطابقة لنظرية الإمام الصادق عليه السلام، فلو استعنّا بما يقرّب ضوء الأجسام البعيدة إلىٰ عيوننا، لأمكننا مشاهدتها، وقد قرّبت إلينا خمسين مرّة عن بعدها الحقيقي...

ولقد فتحت هذه النظرية الطريق أمام الباحثين حتىٰ انتهت بهم إلىٰ صنع المنظار الفلكي، ورصد الأجرام السماوية، وقادتهم إلىٰ انطلاقة عصر النهضة والتجديد...

وللإمام الصادق عليه السلام نظرية أُخرىٰ في الضوء وحركته وسرعته[1]، لا تقلّ أهمية عن نظريته الخاصة بالضوء وانعكاساته.

فما قاله عليه السلام انّ الضوء ينعكس من الأجسام علىٰ العين بسرعة (كلمح البصر) أي أنّ الإمام عليه السلام عرف أن للضوء حركة (كلمح البصر)، ولو أسعفته الوسائل التقنية الحديثة لاستطاع أن يقيس هذه السرعة بدقة شديدة.

فهو عليه السلام إذن قد اكتشف نظرية الضوء، وأنّ للضوء حركة، وأنّ هذه

---

(١) من أكثر الحقائق «يقينيّة» في الفيزياء، أنه لا يمكن أن توجد سرعة هي أكبر من سرعة الضوء وحتىٰ يومنا هذا، لم تتوصل أي تجربة إلىٰ إثبات العكس. ولكن ما هي هذه السرعة؟

لقد اجريت قياسات عديدة ذات دقّة كثيرة، وعلىٰ عدّة أساليب، فأثبتت أنّ الضوء ينتقل في الفراغ بسرعة فائقة مقدارها ٣٠٠٠٠٠كم في الثانية!

ولكن سرعة الضوء في مادة ما أقل منها في الفراغ؛ ففي الماء مثلاً، ينتقل الضوء بسرعة لا تزيد عن ٢٢٥٠٠٠ كم في الثانية. راجع الموسوعة العلمية الملونة باشراف الاستاذ نقولا ناهض ج ١٠ صفحة ١٨١٧.

الحركة سريعة جداً، أفلا يدل هذا كلّه على أنّه كان سابقاً على عصور علمية كثيرة[١].

وهناك نظريات أُخرى للإمام الصادق عليه السلام في الفيزياء الكونية كنظرية نشأة الكون بحركة الأجسام، مؤداها أن لكلّ شيء حركة وإن كان جماداً إلّا أنّ اعيننا لا ترى هذه الحركة.

ونظرية الوجود المضاد: وهي من النظريات الطريفة للإمام الصادق عليه السلام في الفيزياء وأكدتها التجارب العلمية الحديثة. يروى أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن لكلّ كائن موجود وجوداً ذاتياً كائناً مضاداً له، ما عدا الله، ولكن الضدّين لا يتصادمان ولا يجتمعان، ولو تصادما لكانت في ذلك نهاية العالم»[٢].

علم الطب: أثرت عن الأئمة عليهم السلام مجموعة من الآراء الرائعة في علم الطب تدلّ على استيعابهم لهذا العلم، ومعرفتهم الكاملة بأسراره، وقد وضعوا مناهجاً خاصّة للوقاية من الأمراض والسلامة من العلل، قال الإمام علي عليه السلام:

«لا تَجلسْ على الطعام إلّا وأنت جائع، ولا تَقُمْ منهُ إلّا وأنت تَشْتهيه، وجوِّد المضْغَ، واعْرِضْ نفسكَ على الخلاءِ إذا نِمتَ، فإذا استعملتَ هذه

---

(١) راجع الإمام الصادق عليه السلام / للدكتور محمد حسين الصغير: ٣٨٨، حكاه عن كتاب «الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب» لجماعة من كبار المستشرقين: ٣٨٥.

(٢) المصدر السابق.

استغنيت عن الطِّبِّ»[١].

لقد أشار الإمام عليه السلام إلى أنّ الاسراف في الطعام والشراب، هما من أهم الأسباب التي تؤدي إلى بروز الأمراض في الإنسان وانهيار صحته.

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«كُلّ داء من التخمة»[٢].

ومن المؤكّد أنّه لو امتنع الإنسان من الإفراط في تناول الطعام وغيره لما احتاج إلى الطب.

وحذّر الأئمة عليهم السلام من انتشار الأمراض المعدية وأوصوا بعدم الاختلاط بالمصابين، بمثل مرض الجذام، حيث قال الامام الصادق عليه السلام:

«لا يكلّم الرجل مجذوماً إلّا أن يكون بينهما قدر ذراع»[٣].

ولقد جاء في توحيد المفضل، وهو جملة محاضرات وأمالي القاها الإمام الصادق عليه السلام على تلميذه المفضّل بن عمر الجعفي في اثبات التوحيد من المسائل الطبية الجليلة، والتي اكتشف بعضها الأطباء بعد عدّة قرون، كما في الاكتشاف الذي اكتشفه الدكتور (هارفي) الطبيب الشهير المعروف لدى الأطباء بأنّه مكتشف الدورة الدموية، في حين أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان قد أشار إلى ذلك في محاضراته على تلميذه المفضّل ما يدور حول ذلك عند قوله عليه السلام:

«فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فإن

---

(١) الوسائل ٢٤: ٢٤٥ ح ٣٠٤٥١، الباب ٢ من أبواب آداب المائدة.

(٢) المحاسن (للبرقي) ٢: ٤٤٧، بحار الأنوار ٦٣: ٣٣٦ حديث ٢٩.

(٣) الخصال (للصدوق): ٥٢٠ الحديث ٩.

الطعام يصير إلىٰ المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلىٰ الكبد في عروق رقاق واشجة بينهما قد جعلت أن الكبد رقيقة لا تتحمل العنف...»[١].

كيفية وصول الغذاء إلىٰ البدن:

قوله عليه السلام: واشجة[٢] بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل إلىٰ الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذ إلىٰ البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك بمزلة المجاري التي تهيأ للماء حتّىٰ يطرد في الأرض كلّها، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلىٰ مفائض[٣] قد أعدّت لذلك فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرىٰ إلىٰ المرارة، وما كان من جنس السوداء جرىٰ إلىٰ الطحال، وما كان من البلّة[٤] والرطوبة جرىٰ إلىٰ المثانة، فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه موضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول؛ لئلّا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه. فتبارك مَنْ أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه[٥].

وكفىٰ دلالة علىٰ علم الإمام الصادق عليه السلام بالطب ما جاء به في كتاب «توحيد المفضّل» من الإخبار عن الطبائع وفوائد الأدوية، وما جاء فيه معرفة الجوارح التي تكفّل بها علم التشريح.. وهناك العديد من الكلمات والأقوال

---

(١) راجع توحيد المفضل: ٥٦، وانظر طب الإمام الصادق عليه السلام (لمحمد الخليلي): ٩، ٢٨.

(٢) واشجة: أيّ مشتبكة متّصلة. لسان العرب ٢: ٣٩٩ «وشج».

(٣) مفائض: مجاري.

(٤) البِلّة: ابتلال الرطب. لسان العرب ١١: ٦٥ «بلل».

(٥) توحيد المفضّل: ٥٦، بحار الأنوار ٣: ٦٧ - ٦٨.

لأئمّة أهل البيت عليهم السلام فيما ورد في خواص الأشياء وفوائدها، وفي علاج الأمراض والأوجاع وفي الحميّة والوقاية، وهي متفرقة في بطون الكتب، بحيث يسع الباحث أن يجمع كتباً في ذلك.

وهناك بعض الأمور وردت عنهم صلوات الله عليهم فيما يخص الطب والوقاية من الأمراض لم يكشف عنها إلّا العلم الحديث مثل مداواة الحمّى بالماء البارد، فقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّا أهل بيت لا نتداوى إلّا بافاضة الماء البارد يُصبُّ علينا وأكل التفاح»[1].

ومثل الحث على غسل الفاكهة قبل الأكل، قال عليه السلام:

«إنّ لكلّ ثمرة سمّاً فإذا أتيتم بها فأمسوها الماء واغمسوها في الماء»[2].

ولو راجعت كتب الأحاديث، كتاب الأطعمة والأشربة،كما في كتاب الوسائل وغيره من الكتب؛ ستطلع على الشيء الكثير من ذلك.

والرسالة الذهبية المعروفة بـ «طب الإمام الرضا عليه السلام» التي كتبها الإمام عليه السلام إلى المأمون العباسي، فلمّا وصلت إلى المأمون أمر بأن تُكتب بماء الذهب.

فَترى الإمام عليه السلام في هذه الرسالة قد سبق علماء الطب في العصر الإسلامي في العديد من الآراء والاكتشافات التي أصبحت الأساس الرئيسي في التجارب الطبية، بل يمكن القول بأنها النواة الأولى لآراء الأطباء فيما

---

(١) المحاسن ٢: ٥٥١ ح ٨٩٠ ط. دار الكتب الاسلامية، الكافي ٦: ٣٥٦ ح ٩.

(٢) الكافي ٦: ٣٥٠ ح ٤ أبواب الفواكه، الوسائل ٢٥: ١٤٧ ح ٣١٤٧٢، الباب ٨٠ باب استحباب غسل الفاكهة.

بعد. فكان عليه السلام أول من شبّه جسم الإنسان بالمملكة الصغيرة المتكاملة[١]، وتطرقه إلى تشريح أعضاء الجسم الرئيسية، وفسلجة كلّ عضو منها[٢]. وكذلك احتوت الرسالة على ارشاداته عليه السلام في كيفية تناول الغذاء والشراب من حيث الكم والكيف، كل ذلك حفاظاً على صحّة الإنسان، وإلى غير ذلك من النصائح والارشادات الطبية.

ولقد شهد للإمام الحسن العسكري عليه السلام بتضلعه في علم الطب وغيره من العلوم، طبيب البلاط العباسي «بختيشوع» وكان ألمع شخصية في علم الطب في عصره، وذلك عندما احتاج الإمام عليه السلام إلى طبيب فأرسل إليه «بختيشوع» بعض تلامذته وأوصاه قائلاً: «طلب مني ابن الرضا من يفصده، فصر إليه، وهو أعلم في يومنا هذا بمن هو تحت السماء، فاحذر أن لا تعترض عليه فيما يأمرك به»[٣].

لقد اعتنى أهل البيت عليهم السلام عناية تامّة بعلم الطب، ومعرفة خصائص الجسم، وناقشوا الأطباء في مسائل طبيّة كثيرة، وتحدّثوا عن تشريح الجسم، ووظائف الأعظاء، والطبائع، والأدوية، وغيرها.

علم الفلك:

لقد تحدّث أهل البيت عليهم السلام عن السماء والأرض والشمس والقمر والأجرام السماوية والظواهر الكونية المتعددة...ووردت كلمة (الفلك) أو

---

(١) راجع الرسالة الذهبية (طب الإمام الرضا عليه السلام): ١١٠.

(٢) المصدر السابق: ١٤.

(٣) بحار الأنوار ٥٠: ٢٦٠ حديث ٢١.

(الأفلاك) أو ما في معناهما في العديد من كلامهم الشريف.

وانّ ما أثر عن أهل البيت عليهم السلام من الروايات التي تحدثت عن السموات والأرض والأجرام السماوية المختلفة، هي عبارة عن مادة علمية سبقت عصرها.

فلقد لفت أهل البيت عليهم السلام نظر الناس إلى الفضاء الكوني وما يحتوي من أجرام سماوية وظواهر متعددة...واعتبروا ذلك كآيات واضحة الدلالات على توحيد الله وعظمته، فى بيان يحمل أروع ألوان البلاغة والفصاحة، والمفعم بالنظرة العلمية الثاقبة، بحيث لم يسبقهم في ذلك إلاّ القرآن الكريم.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى أحد خطب نهج البلاغة يصف فيها السماء:

«ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً» (١)

ولقد حثّ الإمام علي عليه السلام على النظر إلى الشمس ومخلوقات الله تعالى الأخرى، ودعا بشكل صريح إلى التفكّر في عظمة مخلوقات الخالق الحكيم:

قال عليه أفضل الصلاة والسلام:

«فانظروا إلى الشمس والقمر والنبات والشمس والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار..»(٢)

وقال عليه السلام في خطبة أُخرى:

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ١: ١٨. الثواقب: المنيرة المشرقة. مستطيراً: منتشر الضياء، والمراد به الشمس.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٢: ١١٧.

«وجعل شمسها[١] آية مبصرة لنهارها».[٢]

وذكر الإمام الصادق عليه السلام حركة الشمس الظاهرية وتنقلها في الأبراج عند كلامه مع تلميذه «مفضّل» قائلاً له:

«فكّر (يامفضّل) الآن في تنقل الشمس في البروج الاثنى عشر لإقامة دور السنة، وما في ذلك من التدبير، فهو الدور الذى تصحّ فيه الأزمنة الأربعة من السنة، الشتاء والربيع والصيف والخريف، ويستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار، وتنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشوء والنمو، ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل...».[٣]

ولقد تكلّم الإمام الصادق عليه السلام حول أهمية الشمس ودورها المهم في حياة الناس في حديث تضمن فوائد فلكية جمّة، وذلك في خطابه إلى تلميذه

---

(١) الشمس: واحد من بين ملايين النجوم المنتشرة بين أرجاء الكون، وهي أقرب النجوم إلى الأرض (تبعد بمقدار ٩٣ مليون ميل)، إلاّ انّها ليست أكبر ولا ألمع نجم في السموات.

ويصلنا ضوؤها الذي ينطلق بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية في أكثر من ثماني دقائق بقليل. وتبعد عنا معظم النجوم التي نراها بآلاف السنين الضوئية. والشمس عبارة عن كرة من الغاز المستعر، إذ تبلغ درجة حرارتها عند السطح ٦٠٠٠ سينتجراد، ولكنها في المركز تربو على ١٥ مليون درجة. (موسوعة المعرفة العلمية ج ١ ص ٣٦).

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ١: ١٦٧.

(٣) توحيد (المفضّل):.٨، بحار الأنوار ٥٥: ١٧٦.

«مفضّل» لا يسع المجال لذكرها هنا.[١]

ولقد تحدّث أهل البيت عليهم السلام عن «القمر»[٢] في مناسبات عديدة، ووصفوه بكلمات رائعة جدّاً، تجمع بين العلم والأدب والبلاغة، قال الإمام زين العابدين عليه السلام وهو ينظر إلى القمر:

«أيّها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير، آمنت بمن نوّر بك الظلم وأوضح بك البهم وجعلك آية من آيات ملكه وعلامة من علامات سلطانه، وامتهنك بالزيادة والنقصان، والطلوع والأفول، والإنارة والكسوف، في كل ذلك أنت له مطيع وإلى ارادته سريع، سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك، وألطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث...»[٣]

ولقد تحدّث الإمام الصادق عليه السلام حول النجوم الثوابت والسيارة عند خطابه إلى «مفضّل»، قائلاً:

«فكّر يا مفضل في النجوم، واختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك، ولا تسير إلاّ مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج، وتفترق في مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق، كالنملة التي تدور حول

---

(١) من أراد الإطلاع عليه بمراجعة المصدرين السابقين.

(٢) لا يخفى ما لأهمية «القمر» في ضبط عدد بعض الفرائض (كصوم شهر رمضان المبارك) والأحكام الشرعية الأخرى.

(٣) الصحيفة السجادية (تحقيق الابطحي): ١٩٩، بحار الأنوار ٥٥: ١٧٨. الدائب: السريع. امتهنك: استعملك او استخدمك.

الرحى....»[١]

هذا النص الشريف يحمل الكثير من المسائل العلمية الدقيقة....

وتكلم أهل البيت عليهم السلام حول «الأرض» وأشاروا إلى أنها تجري في فلكها الخاص بها، جرياناً هادئاً لا يشعر بها أهلها، كما جاء ذلك في كلام الإمام علي عليه السلام في احدى خطبه:

«فسكنت (أي الأرض) على حركتها من أن تميد بأهلها، أو تسيخ بحملها، أو تزول عن موضعها، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً»[٢]

فلنكتفي بهذا المقدار من الكلام حول هذا الموضوع، لأنه لو اردنا استقصاء ذلك لطال بنا المقام، وطبيعة البحث لا تسمح لنا بأكثر مما ذكرناه.

علم الحيوان:

من العلوم التي خاضها الأئمة عليهم السلام علم الحيوان تحدّثوا فيه عن الحيوانات وبديع صنعها وتركيبها، والتي تعتبر من الأدلة الحسيّة التي يدركها عامة الناس لإثبات وجود الخالق وعظمته، نذكر بعض النماذج، منها:

النملة: يصف الإمام علي عليه السلام عجيب خلق الله.. ومنها النملة.. ويستدل في ذلك على قدرة الخالق تعالى وعظيم صنعه.. قال عليه السلام:

«ولو فكّروا في عظيم القدرة، وجسيم النّعمة، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والبصائر مدخولة، ألا ينظرون

---

(١) توحيد (المفضّل): ٨٢.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): ١٩٣.

إلىٰ صغير ما خلق، كيف أَحْكَمَ خَلْقَهُ، واتقن تركيبه، وفَلَقَ له السّمع والبصر، وسوّىٰ له العَظْمَ والبشر؟

انظروا إلىٰ النّملة في صِغَرِ جُثَّتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلَحظِ البصر، ولا بمُستَدْرَكِ الفِكَر، كيف دَبَّتْ علىٰ أرضِها، وصُبّتْ علىٰ رزقها، تنقل الحبّة إلىٰ جُحْرِها، وتُعِدُّها في مُستَقَرِّها تجمعُ في حَرّها لبردها، وفي وِرْدِها لِصَدَرِها[١]، مكفولةً برزقها، مرزوقة بوفقها[٢]... ولو فكّرت في مجاري أكْلِها، وفي عُلْوِها وسُفْلِها، وما في الجوف من شَراسيف[٣] بطنها، وما في الرأس من عينها وأُذُنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولَقيتَ من وصفها تعباً، فتعالىٰ الذي أقامها علىٰ قوائمها، وبناها علىٰ دعائمها، لم يَشرِكْهُ في فِطرتِها فاطر، ولم يُعنْهُ علىٰ خلقها قادر...»[٤].

الجراد: لقد تحدّث الإمام عليه السلام في وصف الجراد، قائلاً:

«وإن شِئْتَ قُلتَ في الجرادةِ، إذ خلق لها عينينِ حمْراوَيْنِ، وأسرجَ لها حَدقَتين قَمْراوين[٥]، وجعل لها الفمَ السّوي، وجَعَلَ لها الحسَّ القويَّ، ونابين بهما تَقْرِضُ، ومِنْجلَين[٦] بهما تَقْبِضُ»[٧].

نرىٰ انّ الإمام عليه السلام قد بيّن لنا الجراد بهذا الوصف الرائع، الذي أحاط

---

(١) الصَدَر: ـ محرّكاً ـ الرجوع بعد الورود.

(٢) بوفقها: أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.

(٣) الشراسيف: مَقاط الأضلاع، وهي أطرافها التي تشرف علىٰ البطن.

(٤) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٢٧٠.

(٥) اى مضيئة كالقمر.

(٦) يقصد عليه السلام بالمنجلين: رجليها.

(٧) نهج البلاغة: ٨٥، الخطبة رقم ١٨٥.

بكنه هذا المخلوق وبصفاته وخواصّه.

ولقد تحدّث الإمام الصادق عليه السلام في محاضراته التي ألقاها على تلميذه المفضّل عن عالم الحيوانات، وبيان فصائلها، وأنواعها، وما فيها من الأجهزة والتركيبات التي تنادي كلّها بوجود الله تعالى خالق ما يُرى، وما لا يرى، فلنشير إلى كلامه، قال عليه السلام في وصف ريش الطائر:

الطير: «تأمّل (يا مفضّل) ريش الطير كيف هو؟ فإنّك تراه منسوجاً كنسيج الثوب من سلوك[1] دقاق، قد لف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط، والشعرة إلى الشعرة، ثمّ ترى ذلك النسيج إذا مددته ينفتح قليلاً، ولا ينشق ليداخله الريح، فيقل الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسخ عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر، ولا يعوقه عن الطيران...»[2].

نلاحظ في كلام الإمام عليه السلام الاطلاع الواسع والمعرفة العلمية الدقيقة عن تركيب ريش الطير، الذي لا يمكن لغير أهل الاختصاص في علم الحيوان التكلّم بمثل هذا الكلام.

العنكبوت: قال عليه السلام أيضاً في وصف العنكبوت:

«أما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركاً ومصيدة للذباب، ثمّ يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة، فيعيش بذلك منه، فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود، وهذا يحكى صيد

---

(١) السلوك: جمع سلك وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه.

(٢) راجع توحيد المفضّل: ١١٦.

الأشراك والحبائل، فانظر هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلاّ بالحيلة واستعمال الآلات فيها، فلا تزدري بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة، وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير، فلا يضع ذلك منه كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد»[١].

النحل: قال الإمام الصادق عليه السلام لتلميذه المفضّل بن عمر:

«انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئته البيوت المسدّسة، وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة، فإنّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلاً بنفسه فضلاً عمّا سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل، بل هي للذي طبعه عليها وسخّره فيها لمصلحة الناس»[٢].

هذه نماذج مختصرة، ومن أراد المزيد فعليه مراجعة الكتب التي تعرضت لذلك.

واللازم بالذكر: ورد في الأخبار الكثيرة: انّ الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع الألسن واللغات، ويعرفون منطق الطير وجميع الحيوانات، ويعرفون جميع أحوال الناس عند رؤيتهم. ولمزيد من الاطلاع راجع الاختصاص للشيخ المفيد ومختصر بصائر الدرجات للحلّي.

---

(١) توحيد (المفضّل): ٦٦.

(٢) توحيد المفضّل: ١٢٢، بحار الأنوار ٣: ١٠٨.

من المسائل العلمية عليهم السلام :

ان ما نقرأه عن أحوال الأئمة عليهم السلام يشير إلى أنهم صلوات الله عليهم كانوا يجيبون بصورة فورية عن مختلف الأسئلة وفي جميع الحقول، ومن ضمنها حقول العلم الحديث، في حين أنّ هذه المسائل يحتاج الإجابة عليها إلى تفكير ووقت لا يستهان به. ولم نجد فيما نقرؤه عن أحوالهم أنهم اعتذروا عن الإجابة عن المسائل... وهذا ما يدلل على أنّ معارفهم وعلومهم عليهم السلام عبارة عن النبع الفيّاض الذى ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أخذه من الخالق تبارك وتعالى.

فلنشير إلى مثالين فقط مما نقلته بعض المصادر فى ما أثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الوريث الشرعي لعلوم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله :

سأل شخص الإمام علي عليه السلام عن مقدار قطر الشمس، فأجاب الإمام عليه السلام مرتجلاً: «تسعمائة في تسعمائة ميل». ومن المعلوم أنّ الميل في صدر الإسلام يساوي أربعة آلاف ذراع بذراع اليد، وهو من المرفق إلى رؤوس الأصابع، فلو قسنا ذراع رجل متوسط القامة بالانجات ثم حوّلنا (٤٠٠٠) إلى انجات فياردات فأميال لوجدنا أنّ ما أخبر به الإمام عليه السلام ٨١٠٠٠٠ ميل (أيّ ٩٠٠ × ٩٠٠) وهو ما كان معروفاً في صدر الإسلام، تعادل ٨٦٥٣٨٠ ميلاً على ما هو معروف اليوم من أنّ الميل ١٧٦٠ ياردا، مع العلم أنّ كتب الفلك تنص على أنّ قطر الشمس يساوي (٨٦٥٣٨٠) ميل، وهذا ما يطابق ما أخبر به الإمام علي عليه السلام[1].

والمثال الآخر الذي نشير إليه في تفوقهم العلمي ما ذكروه: جاء إلى

---

(١) راجع التكامل في الإسلام (لأحمد أمين) ٢: ٢٢٤.

الإمام عليعليه السلام ثلاثة أشخاص وكان عندهم ١٧ جملاً مشتركاً بينهم وقالوا له: إنّ نصف هذه الجمال لأحدنا وثلثها لآخر وتسعها لثالثنا، ونريد أن نقسّمها بيننا على أن لا يبقى باق.

فدعا الإمام عليّعليه السلام بجمل وأضافه إلى الجمال، فأصبحت ١٨ جملاً، فأعطى نصف الجمال ـ أي نصف ١٨ جملاً ـ إلى مَنْ له النصف، أيّ أعطاه ٩ جمال. وأعطى ثلث الـ ١٨ إلى مَنْ كان له الثلث، أيّ أعطاه ٦ جمال. وأعطى تسع لـ ١٨ إلى مَنْ كان له التسع، أيّ أعطاه جملين، ثمّ أرجع الجمل الذي أضافه إلى بيته[1].

حقاً، أنّ الإنسان ليزداد تحيراً عندما يرى ما أثر عن أهل البيتعليهم السلام من العلوم، ويقّر لهم بالمرجعية العلمية في مختلف العلوم والمعارف.

وفي خاتمة هذا البحث نقول:

انّ أهل البيتعليهم السلام عندهم كلّ ما يحتاج إليه الناس من العلوم والمعارف، وهذا ما أكّدته لنا كتب التاريخ والسير، حيث كانوا صلوات الله عليهم معدن العلوم والأسرار والأحكام، وكانوا ملاذ المسلمين في النوازل والحوادث والمعضلات.

---

(١) المصدر السابق ٢: ٢١٢ ولمزيد من الاطّلاع راجع هذا المصدر ايضاً تجد المؤلف قد ذكر العديد من المسائل الرياضية والفيزيائية التي حلّها الإمام عليعليه السلام مرتجلاً.

(٢)

المناظرات والاحتجاجات

انّ الاحتجاجات والمناظرات بين الأديان والمذاهب قديمة جدّاً، فقد تسلح بها أرباب الأديان وزعماء المذاهب وأتباعهم، وذلك لإضفاء الأصالة والشرعية على ما يدينون ويعتقدون به.

كما وأنّ هذا الاسلوب من أوثق الأساليب وأكثرها عمقاً في اظهار الحق ودحض الباطل.

ولا يخفى أن الإسلام قد تبنى منطق المحاورة والمناظرة في تبليغ رسالته، ورغّب نبيه الكريم صلى الله عليه وآله إلى ذلك قال تعالى: **﴿ادعُ إلى سَبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظَةِ الحَسَنَةِ * وَجادِلهُم بالتي هي أَحْسَن﴾**[1].

وكان الاحتجاج من الصفات البارزة في دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الله تعالى، ودحض مذاهب الوثنيين؛ وذلك ما أشار إليه القرآن العظيم بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام حينما حاججه أحد فراعنة عصره، وقد حكى لنا ذلك كتاب الله تعالى في سورة البقرة: **﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيم﴾**[2].

وأيضاً قام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في تبليغ رسالته الكريمة مستعيناً بالاحتجاج والمناظرة، ووقف بكل صلابة أمام أهل الشرك؛ حتى انتصر عليهم.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

وكذلك استمر أهل البيت عليهم السلام في نهجه ونهج الأنبياء والرسل عليهم السلام، وساروا على نور رسالتهم فاعتمدوا بصورة موضوعية على الاحتجاج والمناظرة مع خصومهم، وكانت النتيجة دائماً من صالحهم لأنهم عليهم السلام أوسع الناس علماً وأكثرهم استيعاباً وأرفعهم خلقاً.

ولقد حفلت الكتب بنقل احتجاجاتهم ومناظراتهم وهي تحمل طابعاً فكرياً متميزاً، وثروة علمية ثرية، وقد تجلّى فيها الابداع والأصالة وعمق المناهج العلمية التي استدل بها الأئمة عليهم السلام، فقد ناظروا العلماء وأفحموهم، وناظروا علماء الأديان السماوية وألحقوا بهم الهزيمة؛ لأنهم عليهم السلام أعرف بمواضع الضعف والزيف في أناجيلهم وتوراتهم فوضعوها بين أيديهم، فلم يستطيعوا الدفاع عن أديانهم ووقفوا أمام أهل البيت عليهم السلام واجمين لا يستطيعون مقابلة منطقهم الفيّاض، معترفين بعجزهم خاضعين لملكاتهم وقدراتهم العلمية.

نعم، كانت حياة أهل البيت عليهم السلام مليئة بالحوار العلمي، فهم رجال الحوار والذين تمثّلوا آدابه واساليبه الصحيحة بالشكل والمضمون، يستمدون ذلك من القرآن الكريم، فكانت مجالسهم أو المجالس التي حضروها ساحة للمناظرات وعرصة للاحتجاجات.

وكانت المناظرات تختلف باختلاف دوافعها وباختلاف أحداثها التي أدّت إليها، فهناك مناظرات كان الغرض منها احراج الأئمة عليهم السلام واختبارهم علمياً (كما سيأتي التطرّق إلى ذلك)، وأخرى كانت تجري في جوّ علمي صرف هدفه الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الواقع، وثالثة كانت بطلب من الآخرين بعد أن يعجزوا عن الجواب ومجاراة الخصم، وقد جمع بعض المؤلفين هذه المناظرات والاحتجاجات في كتب خاصّة أُلفت لهذا

الغرض، كما في كتاب الاحتجاج للطبرسي.

على أيّ حال، كانت المناظرات والاحتجاجات لأهل البيت عليهم السلام تكشف عن المرجعية العلمية لهم عليهم السلام التي لا ينافسهم عليها أحد، وتُعرب عن قدراتهم العلمية العالية.

وكانت للإمام علي عليه السلام احتجاجات صارمة على الخلفاء ومناظرات معهم، فكانت له مناظرة قائمة على العلم والحق مع الخليفة الأول، والتي تدلُّ بوضوح على أن الإمام أحقّ بالأمر وأولى به من غيره، ولقد كانت المناظرة مشفوعة بأوثق الحقائق، والتي وضعت النقاط على الحروف[١].

ولقد كان للإمام كذلك احتجاجات صارمة أيضاً على المهاجرين الذين وقفوا ضدّه، وحالوا بينه وبين حقّه في الخلافة، وخاطبهم بأسى ولوعة[٢].

وكانت له عليه السلام احتجاجات على المتمردين، كطلحة والزبير[٣] ومعاوية ابن أبي سفيان الذي لم يستجب لنداء الحق، والذي راح في غيه مناجزاً للإمام عليه السلام، ومعلناً التمرّد على حكومته[٤].

ولقد سُجّلت للإمام عليّ عليه السلام الذي هو باب مدينة علم

---

(١) راجع الاحتجاج للطبرسي: ١١٥، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الخليفة الأول لماكان يعتذر إليه من بيعة الناس له ويظهر الانبساط له.

(٢) راجع الإمامة والسياسة ١: ١١ ـ ١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١١ ـ ١٢.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

(٤) راجع العقد الفريد ٢: ٢٣٣، الإمامة والسياسة ١: ٧١، صبح الأعشى ١: ٢٢٩، نهج البلاغة ٢: ٢١.

الرسول صلى الله عليه وآله، والسائر على ضوء رسالته ونهجه، الاحتجاجات والمناظرات الكثيرة مع خصومه، ولم يفتح معهم باب الحرب إلّا بعد أن انسدت معهم نوافذ السلم، وأعلنوا العصيان المسلح عليه، وكان ذلك مكشوفاً في حربه مع أهل الجمل وصفين والنهروان.

نماذج من احتجاجاتهم ومناظراتهم عليهم السلام:

احتجاج الإمام الباقر عليه السلام على عبدالله بن نافع بن الأزرق:

كان للإمام الباقر عليه السلام احتجاج على عبدالله بن نافع بمحضر من كبار أبناء المهاجرين والأنصار في قضيّة التحكيم في أمر الخوارج، وقد أمر الإمام عليه السلام أن يذكر الحاضرون فضائل عليّ عليه السلام فكان عبدالله يعترف بها، لكنّه كان يقول: إنّ علياً أحدث الكفر بعد ذلك، إلى أن ذكروا حديث: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله...» فقال: أبو جعفر عليه السلام: «ما تقول في هذا الحديث؟ فقال: هو حقّ لا شك فيه، ولكن أحدث الكفر بعده، فقال أبو جعفر عليه السلام أخبرني عن الله جلّ ذكره أحبّ عليّ بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان، أم لم يعلم؟ إن قلت: لا، كفرت، فقال: قد علم، قال: فأحبّه على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال: على أن يعمل بطاعته، فقال أبو جعفر عليه السلام: فقم مخصوماً، فقام وهو يقول: حتّى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله يعلم حيث يجعل رسالته»[1].

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع أشخاص مختلفين:

لقد كانت للإمام الصادق عليه السلام احتجاجات ومناظرات علمية كثيرة مع

---

(١) الكافي (الروضة) ٨: ٣٤٩ ـ ٣٥١ الحديث ٥٤٨.

مختلف الأشخاص بمختلف مذاهبهم ونحلهم، فقد سُجّلت احتجاجاته ومناظراته مع أمثال ابن أبي العوجاء، وأبي شاكر الديصاني المعروفين بالزندقة، ومع سفيان الثوري، ومع عمرو بن عبيد في مسائل شتى[1]، وكذلك مع أبي حنيفة، جاء في كنز الفوائد:

«انّ أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق عليه السلام، فلمّا رفع الإمام يده من الطعام، قال: الحمد لله ربّ العالمين، اللهم هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله».

فقال أبو حنيفة: يا أبا عبدالله، أجعلت مع الله شريكاً؟

فقال له: ويلك، فإنّ الله تعالى يقول في كتابه: **﴿وما نَقَمُوا إلّا أنْ أغناهُمُ اللهُ ورسُولُهُ من فَضْلِهِ﴾**[2].

ويقول في موضع آخر: **﴿ولَوْ أنَّهم رَضُوا ما آتاهُمُ اللهُ ورسُولُهُ وقالوا حَسْبُنَا اللهُ سيُؤتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ورسُولُهُ﴾**[3].

فقال أبو حنيفة: والله لكأنّي ما قراتهما قطّ من كتاب الله، ولا سمعتهما إلّا في هذا الوقت...»[4].

مناظرة الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام مع حكّام عصره:

بالرغم من الظروف السياسية الصعبة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام وتعرضه للضغوط الشديدة من قبل حكّام الجور، ولكن مع ذلك زخرت

---

(١) راجع كتاب الاحتجاج (للطبرسي): ٣٣٢ ـ ٣٨٤، وغيره من المصادر.

(٢) سورة التوبة: ٧٤.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) كنز الفوائد (للكراجكي) ٢: ٣٦.

حياته الشريفة بعطاءات علمية جليلة، نهل منها طلّاب العلم والمعرفة، وخاض عليه السلام مناظرات مع شخصيات سياسية وعلمية، منها مناظرته عليه السلام مع المهدي العبّاسي وهارون الرشيد، ومحاورها: قضية فدك، والنسبة إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم عليّ علىٰ العبّاس في الميراث، ونحوها[1].

فمن ذلك نذكر قول الرشيد ـ الخليفة العباسي ـ للإمام الكاظم عليه السلام: «لِم لا تنهون شيعتكم عن قولكم: «يابن رسول الله» وأنتم ولد عليّ، وفاطمة إنّما هي وعاء، والولد ينسب إلىٰ الأب لا إلىٰ الأم؟».

فقال عليه السلام: «بعد الامتناع من الإجابة وإصرار هارون قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ويعقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا ونُوحاً هَدَينا من قَبْلُ ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وسُليمانَ وأيّوبَ ويُوسُفَ ومُوسىٰ وهارون وكذلِكَ نَجْزِي المحسِنينَ وزكريّا ويَحْيىٰ وعيسىٰ**﴾[2] فَمَنْ أبو عيسىٰ؟ فقال: ليس له أب إنما خُلق من كلام الله عزّوجلّ وروح القدس.

فقال الإمام عليه السلام: إنّما ألحق عيسى بذراري الأنبياء من قبل مريم، وألحقنا بذراري الأنبياء من قبل فاطمة عليها السلام لا من قِبل علي عليه السلام.

فقال هارون: أحسنت، أحسنت يا موسىٰ، زدني من مثله. فقال الإمام عليه السلام: اجتمعت الأمّة برّها وفاجرها: أنّ حديث النجراني حين دعاه

---

(١) راجع بحار الأنوار ٤٨: ١٢١ ـ ١٥٨، تاريخ الإمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام باب مناظراته مع خلفاء الجور.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٤ ـ ٨٥.

النبي صلى الله عليه وآله إلى المباهلة لم يكن في الكساء إلّا النبي وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِن بَعْدِ ما جَاءَكَ من العِلْم فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنفُسَنَا وأنفُسَكُم**﴾[1] فكان تأويل (أبناءَنا): الحسن والحسين، و(نساءَنا): فاطمة، و(أنفُسَنا): علي بن أبي طالب.

فقال هارون: أحسنت»[2].

مناظرة الامام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون:

لقد جرت مناظرة مع الامام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون بيّن فيها عليه السلام منزلة آل محمد صلى الله عليه وآله عند الله عزّوجلّ.

لقد أجاب الإمام الرضا عليه السلام بجواب في غاية الروعة يعكس لنا عن فهمه العميق لكتاب الله تعالى، وذلك عندما طلب منه المأمون أن يستدل على مكانة الآل في القرآن العظيم، وكان المجلس يغصّ بالعلماء، فقال الإمام الرضا عليه السلام: «نعم أخبروني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**يس والقرآنِ الحَكِيم إنّك لِمِنَ المُرْسلينَ علىٰ صراطٍ مُستقيم**﴾[3] فَمَنْ عُنِي بقوله يس؟

قالت العلماء: يس محمد صلى الله عليه وآله لم يشك فيه أحد. قال الإمام الرضا عليه السلام: «فإنّ الله عزّوجلّ أعطىٰ محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) راجع بحار الأنوار ٤٨: ١٢٢ ـ ١٢٣، تاريخ الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام، باب مناظراته مع خلفاء الجور، الحديث الأول.

(٣) سورة يس: ١-٤.

وصفه إلّا من عقله، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يُسلّم على أحدٍ إلّا الأنبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلامٌ على نُوحٍ في العَالَمِين﴾[١] وقال: ﴿سلامٌ علىٰ إبراهيمَ﴾[٢] وقال: ﴿سَلامٌ علىٰ مُوسىٰ وهارونَ﴾[٣] ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم، ولا قال: سلام على آل موسى وهارون، وقال عزّ وجلّ: ﴿سلامٌ عـلىٰ إلْ يَـاسِين﴾[٤] يعني آل محمد صلوات الله عليهم».

فقال المأمون: لقد علمت أنّ في معدن النبوة شرح هذا وبيانه[٥].

روى الشيخ الصدوق في كتاب الأمالي بسنده عن الريّان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى الآية: ﴿ثُمّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الّذينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنا﴾[٦] فقالت العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمة كلّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكنّي أقول: أراد الله العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: «إنّه

---

(١) سورة الصافات: ٧٩.

(٢) سورة الصافات: ١٠٩.

(٣) سورة الصافات: ١٢٠.

(٤) سورة الصافات: ١٣٠.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٤ حديث ١، الباب ٢٣.

(٦) سورة فاطر: الآية ٣٢.

لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة ، ولكن جاء في الذكر الحكيم قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُم سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذلكَ هُوَ الفضلُ الكَبِير﴾[1].

ثمّ جمعهم كلّهم في الجنة فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يدخُلُونَها يُحَلَّونَ فيها من أساورَ من ذَهَب﴾[2] فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: مَنْ العترة الطاهرة؟

فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه، فقال جلّ وعزّ: ﴿إنّما يُريد اللهُ ليذهبَ عنكُم الرّجس أهلَ البيت ويُطَهّرَكُم تطهيراً﴾[3].

وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، أيّها الناس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم».

قالت العلماء: أخبرنا ـ يا أبا الحسن ـ عن العترة أهم الآل، أو غير الآل؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقال العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يُؤثَر عنه أنّه.

قال: أمتي آلي. وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد صلى الله عليه وآله أمته.

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم. قال: فتحرم على الأمّة؟ قالوا: لا.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

قال: هذا فرق ما بين الآل والأمّة، ويحكم أين يذهب بكم، أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين دون سائرهم؟..»[1].

والرواية طويلة اقتصرنا على موضع الحاجة.

---

(١) الأمالي (المجلس التاسع والسبعون): ٦١٤ ـ ٦١٥ ح ١.

(٣)

الاختبار العلمي للأئمة عليهم السلام

بعد أن نشطت الحركة العلمية في أواخر عصر الإمام السّجاد عليه السلام، وأخذت تزداد بالنشاط في زمن الصادقين عليهما السلام وكذلك في زمن الرضا والجواد عليهما السلام، فظهرت الندوات والمجالس العلمية بشكل ملحوظ.

وكان حكّام الجور يقومون بتعقيب الأئمة عليهم السلام علمياً، كما كانوا يعقبونهم سياسياً؛ فعسى أن يحققوا شيئاً يدل على العجز العلمي عندهم، وذلك من أجل الحطّ من مكانتهم الإجتماعية عند الناس، ولكن الأمر كان يخرج ـ دائماً ـ بغير النتائج التي خططوا لها، إذ برز الأئمّة عليهم السلام في تحقيق السبق والنصر في جميع المجالس العلمية التي عقدوها لذلك، وبالتالي يتلاشى ما خطط له حكّام الجور. واليك نماذج منها:

المنصور والإمام الصادق عليه السلام:

لقد اعترف أبو حنيفة بمنزلة الإمام الصادق عليه السلام، وما عرفه عنه، وأنّه افقه الناس بعد أن أراد المنصور العباسي أن يوقع بالإمام الصادق عليه السلام ويأخذ عنه بعض نقاط الضعف فيما لو لم يتمكن من الإجابة على أسئلة أبي حنيفة..

فقال أبو حنيفة: بعث المنصور إليّ فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد. فهيأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر المنصور وهو في الحيرة، فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلمّا بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر

المنصور، فسلمت وأومأ فجلست، ثمّ التفت إليه قائلاً: يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة. فقال عليه السلام: «نعم أعرفه». ثمّ التفت المنصور فقال: يا أبا حنيفة الق على أبي عبدالله مسائلك. فجعلت ألقي عليه، فيجيبني فيقول: «أنتم تقولون كذا، وهم يقولون كذا، ونحن نقول كذا» فربما تابعنا وربّما تابعهم وربّما خالفنا، حتّى أتيت على الأربعين مسألة، ما أخل منها مسألة واحدة، ثمّ قال أبو حنيفة: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[1].

الإمام الرضا عليه السلام والمأمون:

كان للإمام الرضا عليه السلام احتجاجات ومناظرات كثيرة مع جميع أهل الملل والنحل ومختلف فِرق المسلمين، وخاصّة في السنين الأخيرة من حياته عليه السلام التي قضاها مع المأمون؛ وذلك لأنّ المأمون كان يغري به من يحاججه ويناظره لعلّه يحطّ من قدر الإمام عليه السلام أمام الناس وخاصّة العلماء، ومن تلك الاحتجاجات ما روي: من أنّ المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له علماء الأديان والفِرق والمتكلّمين لكي يناظروا الإمام الرضا عليه السلام، ففعل ابن سهل ذلك، ولمّا حصل الاجتماع العظيم بحضور الإمام الرضا عليه السلام، التفت المأمون إلى الجاثليق[2] وأخبره أن يحاجج الإمام عليه السلام، ثم دارت محاورة طويلة بين الإمام والجاثليق إلى أن اعترف هذا الأخير بعجزه وهزيمته أمام الإمام الرضا عليه السلام، ثمّ جاء دور كبير علماء اليهود، والمجوس، والصابئة، وخاصّة عمران الصابي، وكانت النتيجة إفحام

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٣١٩، طبعة دار المعارف.

(٢) الجاثليق: مقدّم الأساقفة عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية.
انظر المعجم الوسيط: «جاثليق».

هؤلاء جميعاً. ولم يصب المأمون في ذلك المجلس إلّا الندم مما فعله، لأنّه لم يحصل إلّا عكس ما كان يصبو إليه.

ولقد نقل هذه المحاورة والاحتجاج، الصدوق في كتابي التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ونقلها المجلسي عنهما في البحار[1].

الامام الجواد عليه السلام والمأمون:

إنّ أهل البيت عليهم السلام اعجوبة الدنيا بمواهبهم وعبقرياتهم وكفاءتهم العلمية، وإن انتهزت الحكومات الجائرة والظالمة بعض الفرص لامتحان الأئمة عليهم السلام لكي يثبتوا للناس عجزهم العلمي وبالتالي عجزهم السياسي، فاستغلوا بعض الأمور، كما حصل ذلك في زمن الإمام الجواد عليه السلام الذي تسلّم الزعامة الدينية بعد أبيه الإمام الرضا عليه السلام وكان عمره الشريف سبع سنين وأشهراً، فندبت الحكومة العباسية يحيىٰ بن أكثم الذي هو من كبار العلماء في عصره لامتحان الإمام الجواد عليه السلام وتعجيزه، لتطوي بذلك مسألة أعلمية الإمام التي هي من العناصر الأساسية في الفكر الشيعي، وتقدّم يحيىٰ فسأل الإمام عليه السلام أمام حشد كبير من العلماء والوزراء عن مسألة فقهية[2] تتعلق بصيد المحرم، ففرّع الإمام عليه السلام عدّة فروع، فذهل يحيىٰ

---

(١) راجع التوحيد (للصدوق): ٤٤١ ـ ٤٤٧، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥٦ ـ ١٦١، وبحار الأنوار ١٠: ٢٩٩ ـ ٣١٨، باب مناظرات الإمام الرضا عليه السلام واحتجاجاته ح١، و٤٩: ١٧٣ ـ ١٧٩، باب سائر ما جرى بين الإمام الرضا عليه السلام وبين المأمون ح ١٢.

(٢) سأل يحيىٰ بن أكثم الإمام الجواد عليه السلام ـ بحضور المأمون ـ عن محرم قتل صيداً، فقال له الإمام عليه السلام: قتله في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً ←

وبان عليه العجز واعترف بالقدرات العلمية الكبيرة التي يمتلكها الإمام الجواد عليه السلام بالرغم من صغر سنه.

نعم، انّ سعة علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم فهي مذهلة للفكر، لقد خاضوا صلوات الله عليهم مختلف العلوم والفنون، ولقد أجابوا عن أدق المسائل وأعمقها، ومن الطبيعي أنّه لا تعليل لهذه الظاهرة المحيّرة للعقول سوىٰ القول بإمامتهم، وهو ما تذهب إليه الشيعة الإمامية من أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام منحهم الله العلم وفصل الخطاب..

المتوكل يدعو ابن السكيت لامتحان الإمام الهادي عليه السلام:

طلب المتوكّل العباسي من العالم الكبير يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكّيت أن يسأل الإمام الهادي عليه السلام عن مسألة معقدة؛ لعلّه لا يهتدي لحلّها فيتخذ من ذلك وسيلة للتشهير بالإمام والحطّ من شأنه، ومضىٰ ابن السكيت فأعدّ للإمام مسألة لامتحانه وعُقد في البلاط العباسي مجلس يضمّ كبار العلماء، وكان المتوكل حاضراً في المجلس، فتقدّم ابن السكيت بمسألة إلىٰ الإمام عليه السلام قائلاً:

← أو خطأً؟ حُرّاً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم كبارها؟ مصرّاً علىٰ ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟

فتحير يحيىٰ بن أكثم من هذا التفصيل وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجج حتّىٰ عرف أهل المجلس أمره.

راجع: الارشاد ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٧، وإعلام الورىٰ ٢: ١٠١، وبحار الأنوار ٥٠: ٧٣ ـ ٧٨.

«لِمَ بعث الله موسىٰ بالعصا واليد البيضاء، وبعث عيسىٰ بابراء الأكمه، والأبرص وإحياء الموتىٰ، وبعث محمداً بالقرآن والسيف؟».

انبرىٰ الإمام عليه السلام فأجابه عن الحكمة في ذلك بحيث أخرس السائل، قائلاً:

بعث الله موسىٰ بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب علىٰ أهله السّحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجّة عليهم.

وبعث عيسىٰ بابراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتىٰ بإذن الله في زمان الغالب علىٰ أهله الطّب، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ بإذن الله، فقهرهم وبهرهم.

وبُعث محمد صلى الله عليه وآله بالقرآن والسيف في زمان الغالب علىٰ أهله السيف والشعر، فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وقهر سيفهم واثبت الحجّة عليهم.

وانبرىٰ ابن السكيت بعد هذا الجواب الحاسم الذي أدلىٰ به الإمام عليه السلام فقاله له: فما الحجّة الآن؟

قال عليه السلام: «العقل يعرف به الكاذب علىٰ الله فيكذّب»[1].

فبان العجز علىٰ ابن السكيت، وانبرىٰ ابن أكثم فأخذ يندد به قائلاً:

«ما لابن السكيت ومناظرته؟؟ انّما هو صاحب نحو وشعر ولغة..

نعم، لأهل البيت عليهم السلام هيبة عجيبة منحها الله تعالى إيّاهم، تخضع لها جبابرة الأرض، وتذل لها ملوكها، بحيث اندكت أمامها هيبة الإمرة، وعظمة السلطان، ورهبة البطش. فكانت عندهم صلوات الله عليهم هيبة العلم، وجلالة الإمامة، وعظمة التقوىٰ.

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٤: ٤٠٣.

(٤)

علم الغيب عند أهل البيت عليهم السلام

إن موضوعاً متشعب الأنحاء، متعدد الجهات، كهذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل في البحث، ولكن طبيعة بحثنا في هذا الكتاب قد ابتنى على الاختصار؛ لذا نكتفي بالنظرة السريعة، والوقفة القصيرة.

وعلم الغيب من المواضيع الشائكة التي لا يمكن أداء حقها، ولكن نحن نعتمد في هذا البحث - الموجز - على الآيات القرآنية الكريمة وأقوال الأئمّة الأطهار عليهم السلام وما جاء عنهم عليهم السلام في هذا المجال ونعتمد أيضاً على كلمات علماء الطائفة الكبار.

انّ أحد أنواع علوم الأئمة عليهم السلام، هو علمهم بالغيب.

فعلم الغيب بالنسبة إلى الله تعالى ذاتي وغير محدود، وأما بالنسبة إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام فهو اكتسابي بتعليم من الله عزّوجلّ ومحدود.

والذي يستفاد من كلام الشيخ المفيد في كتابه «أوائل المقالات» في الفصل الذي أورده تحت عنوان: القول في علم الأئمة عليهم السلام بالضمائر والكائنات.....، ما يلي:

«انّ علم الغيب لطف إلهي في حق الأئمة عليهم السلام، وليس له وجوب عقلي، وأنّه لا يمكن نسبة علم الغيب المطلق للأئمة عليهم السلام؛ إذ هي من خصائص الباري تعالى، وكذلك أن وجود علم الغيب أمر لازم لإطاعة

الناس إمامهم»[١].

ولا يخفى ما لعلم الغيب والإخبار به من قبل الأئمة عليهم السلام من فوائد جمّة، وقد يقتضي مقام الإمامة فرض ذلك لكشف الشبه، ودفع الظنون، ودرء الاشكالات، وقد يكون نافعاً ولازماً لتطمين أتباع أهل البيت عليهم السلام، وسلامتهم من الانحراف والابقاء عليهم من الجري والاستجابة للحركات المنحرفة التي ابتعدت عن مسار أهل البيت عليهم السلام آنذاك.

ولكن حاول البعض القاء الشبهات وزرع التشكيكات حول علم الأئمة عليهم السلام بالغيب؛ وذلك لعدم امكانهم من التمييز بين علم الغيب الذاتي الذي اختص به الباري تعالى وبين علم الغيب المكتسب المفاض من قبل الله تعالى على الأنبياء والأئمة عليهم السلام، أي لم يلحظوا تلك النقطة المهمة.

وهناك عدّة شواهد قرآنية تؤيد ما ذكرناه، فمن الآيات التي تصرّح بأنّ علم الغيب ما اختص به الله تعالى، هي:

قوله تعالى: ﴿وعِنْدَهُ مفاتحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلّا هُوَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السمواتِ والأرضِ الغَيْبَ إلّا اللهُ﴾[٣].

وأما الآيات التي جاءت في القرآن الكريم والتي تثبت بأن الله تعالى قد اطلع رسوله وأولياءه على علم الغيب، منها:

قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحداً إلّا مَن

---

(١) أوائل المقالات: ٧٧.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) النمل: ٦٥.

ارْتَضَىٰ من رَسُولٍ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: **﴿ذلك مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ نُوحيهِ إلَيْكَ﴾**[٢].

تحصّل من ذلك: أنّ المنفي هو العلم الذاتي بكل شيء غائب، فليس هذا لأحد إلّا لله وحده إذ هو خالق كل شيء، وأما غيره من أنبياء وأولياء يمكن اطلاعهم علىٰ علم الغيب وذلك بتعليم من الله تعالىٰ.

ولقد أشار إلىٰ ذلك المازندراني في شرحه لأصول الكافي قائلاً: «وأمّا من نفىٰ علم الغيب علىٰ الإنسان أو عن الأئمة والأنبياء فمراده نفي العلم ذاتاً بغير تعليم من الله تعالىٰ، ومن أثبت فمراده علمهم بالتعليم والإلهام»[٣].

علمهم عليهم السلام بالغيب هو افاضة من الله تعالىٰ:

ومما يؤيد ذلك في أنّ المراد بعلم الغيب عندهم عليهم السلام هو افاضة من الله تعالىٰ وليس هو من قبيل علم الغيب المختص بالباري تعالىٰ، الذي يختص به وحده فقط ويعتبر كصفة ذاتية لله تعالىٰ، ما نلاحظه في الردّ الدقيق للإمام علي عليه السلام علىٰ من نسب له علم الغيب، فقال عليه السلام:

«ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعليم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدّده الله بقوله تعالىٰ: **﴿إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾**[٤].

---

(١) الجن: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) آل عمران: ٤٤.

(٣) شرح أصول الكافي ٦: ٣٠.

(٤) لقمان: ٣٤.

وما سوى ذلك، فعلم علّمه الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي»[١].

وقد سُئل الأئمة الأطهار عليهم السلام عن ظاهرة علم الغيب لديهم، فكانت الإجابات متقاربة، يتمم بعضها البعض، كما في رواية عمّار الساباطي، قال سألت: أبا عبدالله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟ قال: «لا، لكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك»[٢].

فهنا الإمام عليه السلام نفى عنهم علم الغيب ذاتياً، ولم ينفه عنهم عرضياً، وأثبته للإمام فيما لو اقتضت الضرورة الدينية لذلك.

وأيضاً ورد عن معمّر بن خلّاد، قال: سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس، فقال له: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال: أبو جعفر عليه السلام: «يبسط (الله) لنا العلم فنعلم، ويقبض عنّا فلا نعلم»[٣].

فالأئمة عليهم السلام كانوا يستنكرون اضافة علم الغيب ذاتياً إليهم عليهم السلام؛ وإنمايؤكدون انّ ذلك يختص بالله تعالى.

وقد استنكر الأئمّة عليهم السلام اضافة علم الغيب إليهم ذاتياً وهو الواقع الصحيح، وحتى لا يكون هناك الغلو والافراط في التقدير و...

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه خرج إلى مجلسه يوماً وهو مغضب، فلمّا

---

(١) نهج البلاغة (تحقيق صبحى صالح): ١٨٦. تضطم من الضم، اي وتنضم عليه جوانحي، والجوانح الاضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر، وانضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها.

(٢) أُصول الكافي ١: ٢٠١ ح ٤، باب نادر في ذكر الغيب.

(٣) أُصول الكافي ١: ٢٠٠ ح ١، الباب المذكور.

أخذ مجلسه قال:

« يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزّ وجلّ»[١].

ومراده عليه السلام العلم الذاتي بالغيب، فنفاه بشدّة.

وجاء عن علي بن يقطين، قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: «علم عالمكم؟ سماعٌ أم إلهام؟ فقال: قد يكون سماعاً، ويكون إلهاماً، ويكونان معاً»[٢].

ولقد أخبر الله تعالىٰ نبيه بجزء من علم الغيب فيما مضىٰ وفيما سيأتي، كما ورد ذلك في القرآن الكريم، كالحديث عن خلق آدم، وسجود الملائكة له إلّا إبليس، والكلام الذي وقع بين قابيل وهابيل، وقصة نوح والطوفان، وقصة إبراهيم عليه السلام، وأصحاب الكهف وقصص الكثير من الأنبياء عليهم السلام والتحدث عنهم غيبياً و.... وأيضاً أخبر القرآن الكريم عن غلبة الروم وغلبها، وعن فتح مكّة، وعن انهزام الجمع، كل ذلك ما كان سيحدث في المستقبل، وحدث بالفعل كلّه.

فالله تعالىٰ وحده يختص بعلمه بالغيب، ولكن يفيض الحق تعالىٰ علىٰ من يشاء من هذا العلم..

وإذا ثبت لنا ذلك، فلا مانع أن يفيض الله تعالى من هذا الغيب علىٰ نبيه محمد صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله، يفيض على الإمام علي عليه السلام، وهو عليه السلام يفيض علىٰ الأئمّة عليهم السلام من بعدهِ لإكمال متطلبات الرسالة..

---

(١) المصدر نفسه ١: ٢٠٠ ح ٣، الباب المذكور.

(٢) الاختصاص (للشيخ المفيد): ٢٨٦.

ونؤكد هذا العلم عند ائمتنا عليهم السلام تعلّم من ذي علم، وليس هو كالعلم الغيبي المختص بالباري تعالى.

خلاصة الكلام: ما تحدّث عنه أئمّة أهل البيت عليهم السلام من أنباء الغيب، ليس من علم الغيب المختص بالله تعالى وحده والذي يعتبر كصفة ذاتية لله عزّوجلّ، بل انّ علمهم بالغيب هو افاضة من الله تعالى عليهم يخصّ به من يشاء من عباده، وشتان بين الاختصاص والإفاضة.

نماذج من علم الغيب:

هناك كوكبة من الروايات أثبتت للأئمّة عليهم السلام علماً بالغيب، ولقد أورد الشيخ المفيد في الإرشاد بعض النماذج من علم الغيب عند أمير المؤمنين عليه السلام في حوادث مختلفة، منها: الإخبار ـ مسبقاً ـ عن الحرب مع الناكثين والقاسطين والمارقين، والإخبار عن كيفية شهادة ميثم التمار، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، وغير ذلك.

وكذلك أورد عدّة نماذج من علم بقيّة الأئمة عليهم السلام بالغيب[1].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة حول إخبار الإمام علي عليه السلام بالمغيبات:

«....وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام إدّعاء الربوبيّة ولا إدّعاء النبوّة، ولكنه يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة، كإخباره عن الضربة التي يُضرب في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين عليه السلام وما قاله في

---

(١) الارشاد ١: ٣١٧ وما بعدها.

كربلاء حيث مرّ بها. وإخباره بملك معاوية والأمر من بعده. وإخباره عن الحجّاج، وعن يوسف بن عمرو، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان. وما قدّمه الى أصحابه من إخباره بقتل من يُقتل منهم وصلب من يُصلب...»[١]

ولقد تحدّث الإمام الكاظم عليه السلام عن إنباءات غيبية بلغة جادة، وبصر قاطع، وأخبر عن وقوعها، فوقعت، وقد تناقلتها الكتب، منها:

كإخباره عن مدىٰ بعض الأعمار، وما تبقّىٰ منها، وما أُزيد عليها، فكان كذلك ما أخبر عليه السلام.

كقوله عليه السلام لعبدالله بن يحيىٰ الكاهلي:

«إعمل خيراً من سنتك هذه، فإنّ أجلك قد دنا». فما لبث إلّا يسيراً حتّىٰ مات[٢].

وكقوله عليه السلام لإسحاق بن عمّار:

«يا إسحاق تموت إلىٰ سنتين، ويشتّت أهلك، وولدك، وعيالك، وأهل بيتك...» فكان كما أخبر عليه السلام[٣].

وكتعظيمه عليه السلام لأجر بيان بن نافع بموت أبيه، وإخباره بأنه قبض في هذه الساعة، فبقي ابن نافع متحيّراً، حتّىٰ أتاه الخبر مطابقاً[٤].

وكإخباره عليه السلام بحضور أجل من وصل عمته بخير وأحسن إليها، فزيد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٤٨ (فصل في ذكر امور غيبية أخبر بها الامام ثمّ تحققت).

(٢) رجال الكشي ٢: ٧٤٥ رقم ٨٤٢ طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٣) أُصول الكافي ١: ٤٠٤ ح ٧، باب مولد أبي الحسن موسى عليه السلام

(٤) بحار الأنوار ٤٨: ٧٢ ح ٩٩.

في أجله عشرين سنة[١].

وأيضاً كأمره الفوري لعثمان بن عيسى، وقد نزل هو ورفاقه في منزل، فأمره أن يخرجوا منه الساعة. فلمّا خرجوا انهارت الدار[٢].

وكالخبر المستفيض بما يتعلّق بدرهم شطيطة وهو درهم أرسلته هذه المرأة المؤمنة حقاً شرعياً للإمام عليه السلام، وقد أخفاه المُرْسَل بيده عن الإمام عليه السلام، إزدراءً بقلّة المبلغ وتواضعه، فطالبه الإمام عليه السلام بذلك الدرهم عينه وأخبره بوزنه وهو درهم ودانقان، في الكيس الذي فيه أربعمائة درهم... ثمّ قال (للمُرْسَل) أخبر شطيطة بأنها ستعيش تسعة عشر يوماً من وصول هدية الإمام لها... وكان الأمر كذلك[٣].

وقد يتطلب الإنباء بشيء من الغيب كشف الشبه، ودفع الظنون، وتنبيه الخصم، وإقامة الحجّة، بما يترتب على ذلك مصلحة دينية عليا، فقد جاء في عدّة مصادر:

إنّ أبا يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني زارا الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في السجن وقال أحدهما للآخر: نحن على أحد الأمرين إمّا أن نساويه أو نشكله[٤]!! فجلسا بين يديه، فجاء رجل موكلاً من قبل السندي بن شاهك فقال: إنّ نوبتي قد انقضت وأنا على الإنصراف فإن كان لك حاجة أمرتني حتّى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة؟

---

(١) المصدر السابق ٤٨: ٣٦ ح ٧.

(٢) قرب الإسناد (للحميري): ٣٣٦ رقم ١٢٣٩ طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٣) بحار الأنوار ٤٨: ٧٤ ح ١٠٠.

(٤) نشكله: أي نشبهه وإن لم نكن مثله.

فقال الإمام عليه السلام: «مالي حاجة».

فلمّا أن خرج قال عليه السلام لأبي يوسف: «ما أعجب هذا يسألني أن أكلّفه حاجة من حوائجي ليرجع وهو ميّت في هذه الليلة!!».

فقاما، وقال أحدهما للآخر إنا جئنا نسأله عن الفرض والسنّة، وهو الآن جاء بشيء كأنه من علم الغيب!!

ثمّ بعثا برجل مع الرجل فقالا له: اذهب حتّى تلزمه، وتنظر في أمره هذه الليلة وتأتينا بخبره من الغد.

فمضى الرجل فنام في مسجد في باب داره فلمّا أصبح سمع الناعية ورأى الناس يدخلون داره!! فقال: ما هذا؟

قالوا: مات فلان في هذه الليلة من غير علّة، فانصرف الرجل إلى أبي يوسف ومحمد وأخبرهما الخبر.

فأتيا أبا الحسن عليه السلام، فقالا: قد علمنا أنّك أدركت العلم في الحلال والحرام، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكّل بك أنه يموت الليلة؟

قال الإمام عليه السلام: من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام!! فلمّا ردّ عليهما بهذا بقيا لا يحيران[1] جواباً[2].

وكذلك علم الإمام الهادي عليه السلام بما يكون من أمر المتوكل: ورد عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري قال: روى المعلّى باسناده عن علي بن محمد النوفلي قال: قال علي بن محمد عليه السلام لما بدا الموسم بالمتوكّل بسّر من رأى

---

(١) فلم يحر جواباً: أي يرجع ولم يرد.

(٢) الخرائج والجرائح (للراوندي) ١: ٣٢٢ ـ ٣٢٣ حديث ١٤، بحار الأنوار ٤٨: ٦٤ ـ ٦٥ حديث ٨٣، كشف الغمة ٢: ٢٤٨، وغيرها.

والحضريّة، قال: يا عليّ إنّ هذا الطاغية يبتلي ببناء مدينة لا تتم ويكون حتفه فيها قبل تمامها على يد فرعون من فراعنة الأتراك[1]. وكان الأمر كذلك.

هذه اشارة عابرة فمن اراد المزيد عليه مراجعة الكتب التى تكفلت بذلك.

ولم يكن استقراء الغيب المجهول، والتحدّث به، إلّا لتثبيت قلوب المؤمنين، وتعميق معرفتهم بمدركات الأئمّة العلمية، واتباع أهل البيت عليهم السلام لا يستكثرون على أئمتهم أيّ إمداد إلهي، حتّى عاد هذا الأمر حقيقة تاريخية واقعة.

ولقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله:

«الا، وإنّا أهل البيت، من علم الله عِلْمُنا، وبحكم الله حُكمُنا، ومن قول صادقٍ سمعنا؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحق، ومن تبعها لَحِق، ومن تأخر عنها غرق»[2].

كيفية تلقي العلوم مختلفة:

البحث حول علم الغيب عند الأئمة عليهم السلام يكون تناوله بالشكل الواضح بعد الفراغ من الاعتقاد بعصمتهم عليهم السلام وفق المنظور الإمامي، وأيضاً لا يمكن الارتقاء بهذا البحث قبل التسليم بأنّ الإمام عليه السلام هو خليفة الرسول صلى الله عليه وآله يتمتع بنفس صفات الرسول صلى الله عليه وآله من غير الوحي.

ولتوضيح المطلب اكثر نقول: إنّ كيفية تلقي العلوم مختلفة، فهناك الطرق المتداولة بين الناس، كما في تلقي العلوم عن طريق الاساتذة والمطالعة،

---

(١) مدينة المعاجز (للسيد هاشم البحراني): ٥٤٢.

(٢) العقد الفريد ٤: ٦٧.

أو بالاستعانة بالسمعيات والمرئيات وما شاكل ذلك. وهناك طرق أُخرىٰ غير هذه الطرق المتداولة التي تعوّد عليها الناس، فهي طرق غيبية مرتبطة بالله تعالىٰ.

والقرآن الكريم ذكر لنا بعض النماذج من ذلك، وذكر لنا بعض القصص التي فيها الأسرار في كيفية تلقي العلوم ومعرفتها، كما في قصة العبد الصالح ـ المذكورة في سورة الكهف ـ الذي أتاه الله تعالىٰ من لدنه علماً، بحيث طلب منه نبي الله موسىٰ عليه السلام أن يتبعه ليتعلّم منه مما علّمه الله تبارك وتعالىٰ، قال عزّ وجلّ في كتابه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1] فهذه الآية المباركة تشير إلىٰ أنّ ذلك العبد كان يحمل علماً غزيراً، علّمه الله تبارك وتعالىٰ، ولم يتعرّض القرآن الكريم إلىٰ كيفية تلقي هذا العلم، أو كيفية استيعابه، بحيث أن النبي موسىٰ عليه السلام ـ وهو كليم الله ـ كان لا يعرف ذلك العلم مع ما هو عليه من المقام والمنزلة عند الله تعالىٰ.

والمثل الآخر المذكور في القرآن الكريم، قصة الذي أتاه الله علماً من الكتاب في حكومة سليمان عليه السلام، حيث جاء بعرش بلقيس إلىٰ سليمان عليه السلام من سبأ قبل أن يرتد إلىٰ سليمان عليه السلام طرفه، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[2].

فهذا العلم كيف تلقاه؟ ومن أين تلقاه؟ وكيف استوعبه؟ فهذه وأمثالها من الأمور التي لا يعلمها إلّا الله تعالىٰ، وهي مجهولة لنا، ولكن الذي يجب أن

---

(١) سورة الكهف: ٦٥ و٦٦.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

نصدّق به هو أنّ هذه الأمور قد حصلت فعلاً، لأنّ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد أخبرنا بذلك، وهو كلام الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[1]. وهذا مما لا يرقى إليه الشك.

وكيفية تلقي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ـ الذي هو أفضل الخلق على الأطلاق ـ العلوم والمعارف لا يختلف أمره عن هذا الأمر الذي ذكره لنا القرآن الكريم، وهو بدوره صلوات الله عليه علّم علمه وصيّه وخليفته الإمام علي عليه السلام، الذي كان له مع رسول الله صلى الله عليه وآله جلسات خاصة لتلقي العلوم والمعارف، والذي اشار الى ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله « . . . ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به»[2]

زبدة الكلام: انّ العلوم التي تحصل للناس على نوعين:

الأوّل: العلوم التي تحصل بالتعلّم من الغير عن طريق الاساتذة والمطالعة والتجارب وغيرها، وهذا العلم يسمّى بالعلم الاكتسابي.

الثاني: العلوم التي تحصل لبعض الأفراد من الله تعالى عن طريق الالقاء أو الالهام أو القذف في القلوب وما شابه ذلك، ويسمّى هذا العلم بالعلم اللّدُني.

وإلى هذا النوع الثاني جاءت الإشارة إليه في القرآن الكريم في آيات متعددة.

بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً، جاء في قصة داود عليه السلام أيضاً ﴿وعَلَّمْنَاه صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُم﴾[3]، ﴿ولقد آتَيْنَا دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ عِلْمَاً﴾[4].

---

(١) النساء: ١٢٢.

(٢) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٣٠٠، خطبة يصف فيها الوحي .

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) سورة النمل: الآية ١٥.

وفي قصة سُليمان عليه السلام ﴿عُلِّمنا مَنْطِقَ الطَّير﴾[١]

وفي قصة يوسف عليه السلام ﴿ويُعلِّمُكَ من تَأويلِ الأحَاديث﴾[٢] ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ من تَأويلِ الأحَاديث﴾[٣].

﴿ولُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وعِلْماً﴾[٤].

إلى غيرها من الآيات المباركة التي تشير إلى العلوم التي تلّقاها الأنبياء عليهم السلام وغيرهم من العباد المخلصين، ليس عن طريق الدراسة ولا المطالعة ولا غيرها من الوسائل المتعارفة، بل من الله تبارك وتعالى.

وأما كيفية تحقق ذلك، فهو خارج عن نطاق عقولنا، والإحاطة بهذه الطرق وأنواعها وأقسامها ليس يعنينا ويخصنا.

فلا ينحصر العلم المراد تحصيله بمساحة العالم المشهود، كذا لا ينحصر بما هو خاضع للكسب والتحصيل عبر الأدلة المحسوسة، بل تتسع دائرته لتشمل عالماً آخر، هو عالم الغيب.

والجدير بالذكر أنّ ظاهرة علم الغيب جاءت عند غير الإمامية[٥] في الأولياء والصالحين وذكروا ذلك بعدّة اصطلاحات منها: المكاشفة والكرامة والفراسة وغيرها.

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٦.

(٣) سورة يوسف: الآية ٢١.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.

(٥) راجع: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني، وجامع الكرامات ليوسف النبهاني. وانظر نظرات في التصوف والكرامات لمحمد جواد مغنية.

(٥)

العلوم في عصر الظهور

الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف هو الروح القدسية، والنفس المطمئنة الطاهرة، التي تزكو بزكاتها النفوس، والقلب الذي تصفو بصفائه القلوب، وهو الإنسانية المشعة بنورها في جميع مناحيها، الرشيدة من كلّ جهاتها، هو ذلك الإنسان الكامل الذي يستحق أن يضع الله تعالىٰ بيده زمام البشر، وأن ينيط به سبب هدايتهم، ويجعله منار رشدهم.

فعلوم الإمام المهدي عليه السلام هبة فوق الهبات تُمد بها عبقرية فوق العبقريات، هذه الإمامة في افقها الرحب..

وسوف تنفتح جميع العلوم والمعارف في عصره وتنتشر علىٰ يده عليه السلام ... ومن ثمّ ستسعد جميع البشرية بذلك، وستنطوي صفحة الجهل والظلم.

نعم، العلم حين تحتضنه هذه النفوس المطمئنة التي تجسّد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وذريته الطاهرة، وتتولىٰ تسييره هذه الضمائر الزكية، فلا يكون أداة خرق وطيش ونزعة أثيمة وهوىٰ مستبد، واستعباد بغير حق، واستيلاء بدون عدل واخافة آمن، وترويع مطمئن، فلا ينتج إلّا ما تنعم البشرية به، ولا تفكّر إلّا في عمارة هذه الأرض.

ومما لا شك فيه أنّ الإمام المهدي عليه السلام من أوسع الناس علماً ومن أكثرهم احاطة بالعلوم والمعارف، وقد صرّح بذلك آباؤه الكرام عليهم السلام، وأشاروا إلىٰ منزلته العلمية الرفيعة قبل أن يُخلق، ومنها:

ما رواه الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام: بأيّ شيء يُعرف المهديّ؟ قال عليه السلام: «بمعرفة الحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه، ولا يحتاجُ إلىٰ أحد»(١).

وقال الإمام علي عليه السلام في وصفه: «هو أوسعكم كهفاً، وأكثركمْ علماً، وأوصلكم رَحِماً»(٢).

وفي عصر ظهور الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف ستظهر علوم ومعارف كثيرة علىٰ يده، وتزدهر بذلك الحياة البشرية، وستتطور العلوم في زمانه عليه السلام ما يستوجب الدهشة ويثير العجب، وأكّدت بعض الروايات ذلك، منها:

عن أبان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتّىٰ اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس وضّم إليها الحرفين؛ حتّىٰ يبثّها سبعة وعشرين حرفاً»(٣).

وفي رواية أُخرىٰ تشير إلىٰ تسخير ما في الكون للإمام المنتظر عجّل الله فرجه الشريف:

عن بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، قال: ابتدأني الباقر عليه السلام فقال: «أما انّ ذا القرنين قد خيّر السحابين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم

---

(١) عقد الدرر: ٦٩.

(٢) الغيبة (للنعماني): ٢١٤.

(٣) الخرائج والجرائح (لقطب الدين الراوندي) ٢: ٨٤١، وبحار الأنوار ٥٢: ٣٣٦ الحديث ٧٣.

الصعب، قلت وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع»[١].

ولا عجب من ذلك، إن الله تعالى وضع القوانين الكونية وفقاً لحكمة لا تحيد ولا تضعف، واطلق حكمها في الأشياء بارادته وعلمه، ولن يبطل الله قوانينه، ولن يخلف حكمته ما لم تعارضها حكمة خاصّة هي أجدر منها بأن تراعى وأحرى بأن تطبق... ألا وهي نصرة الدين الحنيف.

وجاء عن كمال الدين بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢) قوله: «الجفر والجامعة كتابان جليلان أحدهما ذكرهما الإمام علي عليه السلام وهو يخطب بالكوفة على المنبر.... ثمّ قال: وقد لا يقف على حقيقة هذا الكتاب إلّا الإمام المهدي المنتظر عند خروجه في آخر الزمان»[٢].

ولقد قام الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام بتبليغ معظم ما تحتاجه الأُمّة من معارف القرآن الكريم وسنة جدّهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والتي تمثّل بمجموعها الإسلام النقي والدين القيّم الذي أمر الله تعالى باتباعه والعمل على وفقه... وسيقوم الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أيضاً بإكمال مسيرة آبائه الطاهرين في نشر العلوم الإلهية وتعليم الناس المعارف القرآنية كما أراده الله تعالى.

ورد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إذا قام قائم آل محمد عليهم السلام

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ٤٢٩، ط. الاعلمي ـ طهران.

(٢) راجع تدوين السنة للسيد محمد رضا الجلالي: ٧٢.

ضرب فساطيط ويعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله جلّ جلاله...»[١].

اللّهم عجّل فرجه الشريف حتى ينشر علومه ومعارفه، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، واجعلنا من أنصاره وأعوانه ومن المستشهدين بين يديه.

(١) روضة الواعظين: ٢٦٥، بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٩، الحديث ٨٥.

الفصل الرابع

دورهم عليهم السلام العلمي ومصادر علومهم

دورهم عليهم السلام العلمى فى تثبيت الرسالة

عطاؤهم عليهم السلام العلمى وملامح عصرهم

مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام

(١)

الدور العلمي لأهل البيت عليهم السلام في تثبيت الرسالة

انّ لأهل البيت عليهم السلام الدور الكبير في تثبيت رسالة جدّهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولهم الدور البارز والرائد في نشر العلوم والمعارف في مختلف المجالات، وبالأخصّ ما يتعلّق بأمور الدين ورسالة التوحيد، فكانت مدرستهم العملاقة هي تعبيراً عن جهودهم المضنية في تثقيف الناس وتعليمهم، وتربية الكثير من طلّاب العلم وروّاد المعرفة.

وكان الدور المشرق الذي قام به الأئمة عليهم السلام في نشر العلم والمعرفة من أعظم الخدمات التي قُدّمت للعالم الإسلامي، ولولاهم لخسر المسلمون أعظم ثروة دينية ولتعرضت رسالة الدين الحنيف إلى الخطر والتحريف...

مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المؤسس الأول لمدرسة أهل البيت عليهم السلام العلمية، هو الإمام عليّ عليه السلام الرائد الأول للعلم والمعرفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، والباعث الحقيقي لكل حركة فكرية بنّاءة في دنيا الإسلام، وقد جهد عليه السلام على نشر العلوم، وتعليم المسلمين.. وقد اتخذ الإمام عليه السلام من جامع الكوفة مدرسة له يلقي فيه خطبه الذهبية التي هي من ثروات الفكر الإسلامي، وقد حفلت بعلم

التوحيد والعقائد والاقتصاد والسياسة والإدارة و...

وكان للأئمة عليهم السلام الدور القيادي في صنع الحضارة العلمية، ونشر أنواع العلوم والمعارف الإلهية، وتأسيس مدرستهم الضاربة بأطنابها في شرق الدنيا وغربها، وما أصّلوه من معالم علمية صنعت الفقهاء، وأبدعت الرواة والمحدّثين، وربّت المجتهدين.

وبالرغم من المناخ السياسي الساخن الذي عاشه أهل البيت عليهم السلام وابعادهم عن قيادة الأمّة مع خلق زعامات علمية كاذبة ليس لها نصيب من العلم والمعرفة، والتي لعبت هذه الظاهرة دوراً خطيراً في تأريخ الإسلام؛ حتّى أصبحت دائرة الفقه منحصرة بعلماء الملوك والحكّام، فنشأ جيل بين الناس لا يعرفون لأهل البيت رأياً، ولا لأنمتهم فقهاً، إلّا أنّ البصيرة الثاقبة لأهل البيت عليهم السلام استطاعت الحدّ من ذلك الضباب، وألقت بأشعتها على الأفق لتخلق جيلاً من الفقهاء والعلماء والسائرين بركب العترة الطاهرة عليهم السلام، فبرز من تلامذتهم كوكبة صالحة قاموا بنشر العلوم والمعارف التي استقوها من أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ وبذلك قامت مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال أحاديثهم وعلومهم عليهم السلام.

تلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام

انّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام امتازت بكثرة تلامذتها، بحيث أصبح معظمهم من الأعلام والأساتيذ الذين طبقت شهرتهم الدنيا، فكانوا سراجها وضياءها.. ويمكن للباحث مراجعة كتب الرجال والتراجم للوقوف على معرفة أصحاب أهل البيت عليهم السلام وتلاميذهم الذين تتلمذوا عندهم ونقلوا معارفهم، وذلك حسب ما سمحت به الظروف السياسية التي كانت محيطة

بأهل البيت عليهم السلام، والتي كانت أفضل تلك الظروف ـ نسبياً ـ في زمن الإمام الصادق عليه السلام بحيث بلغ عدد تلاميذه عليه السلام ٤٠٠٠ تلميذ.

وعند مراجعة كتاب السيد حسن الصدر المتوفى عام ١٣٥٤ هـ تحت عنوان «الشيعة وفنون الإسلام» نقف على تقدّم تلامذة مدرسة أئمّة أهل البيت عليهم السلام في التصنيف والتأليف في مختلف العلوم، كعلوم القرآن والحديث والكلام والفقه والأُصول واللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها.

ونلاحظ تلامذة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: مع شدة الضغوط السياسية على الإمام الكاظم عليه السلام وعلى أصحابه، اعتنى تلامذته بما يصدر عنه عليه السلام من معارف وعلوم، فروي أنّه: «كان جماعة من خاصّة أبي الحسن الكاظم عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك»[1].

وقد ذكر الشيخ الطوسي في رجاله أسماء مائتين وسبعين من أصحابه عليه السلام، منهم: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وابن أبي عمير، وعلي بن يقطين، ويونس بن عبدالرحمن، وغيرهم.

كان بعض هؤلاء من أهل المحاورة والمناظرة في مختلف العلوم والفنون.

ومن الأُمور التي يجب أن تذكر ـ هنا ـ أن الأئمّة عليهم السلام كانوا يمتازون بالمنهجية في وضع تلامذتهم في الموقع المناسب، فكانوا عليهم السلام ينتقون ويختارون لكلّ فن رجاله وأبطاله، يراعى في ذلك القابليات والامتيازات

---

(١) بحار الأنوار ٤٧: ١٥٣.

الأُخرىٰ، والتخصص الدقيق، فأصحاب القرآن لعلوم القرآن، وأصحاب الحديث للحديث، ورجال الفقه للفقه، والمتكلّمون للكلام و...

إنّ هذا التخطيط في توزيع الواجبات العلمية علىٰ أربابها من ذوي التخصص، إجراء علمي عظيم، وهذا من أهم أسرار نجاح مدرسة أهل البيت عليهم السلام في رعاية المناخ النفسي لتربية التلاميذ.

وكان هذا المنحىٰ من أهم الظواهر الميدانية التي اتسعت لانتشار مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ولقد أكد الأئمّة عليهم السلام ـ بادئ ذي بدء ـ علىٰ شيعتهم بالاتجاه نحو العلم، وحثّهم عليه، ووضعوا لهم المناهج التثقيفية الخاصّة، كما تقدّم ذكره في البحث.

اهتمامهم عليهم السلام بتلامذتهم:

كانت هناك عناية خاصّة من قبل الأئمة عليهم السلام بتلامذتهم، وهذا لم يكن وليد الصدفة أو نتيجة ظرف معيّن، بل هو أمر مقصود إلىٰ ذاته؛ لأنّ هؤلاء التلاميذ هم الذين سيقومون بنشر علوم أهل البيت عليهم السلام فيما بعد، وبالتالي يكون دورهم استمراراً لأهداف الأئمّة الأطهار عليهم السلام في تثبيت رسالة الإسلام والحفاظ علىٰ التراث العلمي القيّم.

فقد أوصىٰ الإمام الباقر عليه السلام ولده الإمام الصادق عليه السلام بتلامذته، بما يرويه الإمام الصادق عليه السلام نفسه:

قال: «لما حضرت أبي الوفاة، قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، قلت:

جعلت فداك، والله لأدعنّهم والرجل منهم في المصر فلا يسأل أحدا»[١].

تدوين علوم أهل البيت عليهم السلام:

للأئمة الأطهار عليهم السلام الأثر البارز في تدوين تراث علوم أهل البيت عليهم السلام وتصنيفه، ابقاءاً عليه من التلف والضياع، وحذراً من الدّس والتحريف والانتحال. ولا يخفى على كل متتبع وباحث في مجال العلوم وتدوينها، أنّ الشيعة الإمامية تصدّوا لتدوين العلم في العصر الأول، ولعلّ السر في ذلك ما وقع بين الصحابة من اختلاف في إباحة كتابة العلم وعدمها، ولقد ذكر العسقلاني في مقدمة فتح الباري أنّ بعض الخلفاء وجماعة آخرون منعوا من تدوين الحديث، خشية أن يختلط الحديث في الكتاب![٢]

وعن السيوطي في تدريب الراوي أنّه كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف في كتابة العلم، فكرهها طائفة منهم، وأباحها طائفة وفعلوها منهم: علي وابنه الحسن[٣].

نعم، هذه منقبة للإمام علي عليه السلام وأولاده الكرام لأنّه لولا كتابة العلم لضاع العلم واندثر..

وأول شيء قام بتدوينه الإمام علي عليه السلام كتاب الله عزّوجلّ، فإنّه عليه السلام سارع إلى هذا العمل بعد فراغه من تجهيز النبي صلى الله عليه وآله، فجمع القرآن الكريم

---

(١) أُصول الكافي ١: ٢٤٤ ح ٣، باب الاشارة والنص على أبي جعفر الصادق عليه السلام.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١: ٤.

(٣) تدريب الراوي ٢: ٦٥، النوع الخامس والعشرون (كتابة الحديث وضبطه)، وانظر اعيان الشيعة ١:٨٨

مرتباً حسب النزول، وأشار إلى عامّه وخاصّه، ومطلقه ومقيده، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه و...

وقال ابن سيرين: «لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم»[١].

قال العلّامة ابن شهرآشوب في معالم العلماء: «الصحيح انّ أول من صنف فيه (الإسلام) أمير المؤمنين عليه السلام جمع كتاب الله جلّ جلاله، ثمّ سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثمّ أبو ذر رحمه الله، ثمّ الأصبغ بن نباتة، ثمّ عبيدالله بن أبي رافع ثم الصحيفة الكاملة عن الإمام زين العابدين عليه السلام. وقال الشيخ المفيد: صنف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبي محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه أربع مائة كتاب تسمّى الأُصول وهذا معنى قولهم: أصل»[٢].

ثم جاء بعض الأشخاص الموالين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام فأبدوا الاهتمام البالغ بعلوم اهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، وبادروا إلى جمع أحاديثهم وتدوين كلماتهم، ومارسوا التأليف والتصنيف بتوجيه من أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم.

وقد نشطت حركة التدوين والتأليف في حياة الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، فكانت هناك الآلاف من الطلاب والمئات من المؤلفين في مجال الفقه والحديث والتفسير وغيرها، ولقد أكمل بقيّة الأئمة عليهم السلام المسيرة بعد الإمام الصادق عليه السلام في نشر الأحكام وأظهروا الكثير من العلم تبعاً لآبائهم عليهم السلام، فبرع تلامذتهم في نقل رواياتهم عليهم السلام وفتاواهم وتحويل

---

(١) معالم العلماء: ٢، وراجع تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ٣١٦.

(٢) معالم العلماء: ٣.

توجيهاتهم إلىٰ مصنفات[١] مدونة في مختلف الاختصاصات، ولا سيّما في مجال علوم الدين.

ومن اللازم بالذكر: لقد استقلّت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في علم الفقه والتفسير والحديث وغيرها استقلالاً تاماً، ولم تتأثر اطلاقاً بالأسباب الخارجية، ولم تتأقلم سياسياً أو قومياً وانّما هو الدين الخالص الحاكي لقانون السماء...

وباختصار، إنّ الدور المشرق لأهل البيت عليهم السلام في نشر العلوم والمعارف، واهتمامهم الكبير بتربية التلاميذ التربية الصالحة المشفوعة بالعلم والمعرفة، له الأثر الكبير في تثبيت رسالة الدين الحنيف.

---

(١) راجع كتاب «الفهرست» للشيخ الطوسي وغيره للوقوف علىٰ كتب ومصنفات تلامذة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولقد ضبط الشيخ الحر العاملي في آخر الفائدة الرابعة من الوسائل من الكتب المصنفة خلال حياة الأئمة الأثني عشر عليهم السلام ستة آلاف وستمائة كتاب. راجع الوسائل ٢: ٤٩.

(٢)

عطاؤهم عليهم السلام العلمي وملامح عصرهم

إنّ الحديث عن عصر الأئمة عليهم السلام الذي عاشوه، يُعدّ من البحوث المنهجية ـ حسب الدراسات الحديثة ـ التي لا غنىٰ للباحث عنها؛ لأنّ دراسة العصر لها أشد التأثير في الكشف عن سلوك الشخصيات التي يبحث عنها، والوقوف علىٰ مكوناتها الفكرية والثقافية والإجتماعية، فلم تكن هذه الدراسة مما لا صلة لها بالموضوع، بل هي داخلة في صميمه، وجزء منه.

فحديثنا ـ الموجز ـ هذا، عن علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم يتطلّب منّا القاء نظرة ـ ولو سريعة ـ علىٰ المناخ الذي عاشوه والجو الذي عاصروه... فبعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ حضيرة القدس، كان أقبح ألوان الخطوب السود هي إبعاد العترة الطاهرة عن قيادة الأمّة وغصب حقّهم في الخلافة، في حين أنّ الأمّة لم تكن بأيّ حال في غنىٰ عن ثروات أهل البيت عليهم السلام الفكرية والعلمية المستمدة من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

إذ من المأسوف عليه لم يكن الطريق أمام الأئمة عليهم السلام معبداً لنشر علومهم ومعارفهم، فقد كانت مليئة بالعقبات والصدمات، وكانت مسيرتهم تواجه محنة إثر محنة، وشدّة تلو شدّة، فتأطرت حياتهم بسلسلة من

المآسي والأحداث ابتداءً من أول يوم عقد فيه مؤتمر السقيفة الذي كانت مآسيه ان أقصي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك العملاق العظيم الذى علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله ابواباً من العلم، وفتح له آفاقاً من المعرفة، ولقد استقبل الإمام تلك الأحداث وهو ثبت الجنان، صلب العقيدة لم تذهب الآلام بصبره، ولم تلن الوقائع حياته، بل ازداد شموخاً ومنعة، وأخذ يمارس نشاطه الثقافي في توجيه الناس وحماية الرسالة الإلهية من سطوة الجاهلية الرعناء التي لا تحمل أيّ طابع من التوازن، ولا بصيص من الوعي والفكر، فكان الإمام عليه السلام القوّة الضاربة التي حمت الإسلام من ذئاب الجاهلية ومردة أهل الكتاب.

ومن المؤكّد أنّه لو تُنيت الوسادة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وتسلّم قيادة الحكم لفاض على الأمّة بعلومه ومعارفه أكثر وأكثر؛ لأنّه عليه السلام يملك طاقات هائلة من العلم لم يملكها غيره.

وقد أعلن الإمام علي عليه السلام أنّه لو تسلّم القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله لافتى جميع الملل والأديان بما في كتبهم، قال عليه السلام:

«وأما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوارتهم حتّى تنطق التوراةُ وتقول: صدق عليٌّ ما كذب، لقد افتاكم بما أنزل الله فيّ. وأفتيت أهل الإنجيل بانجيلهم حتّى ينطق الانجيل فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد افتاكم بما انزل الله فيّ. وافتيتُ أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآنُ فيقول: صدق عليٌّ ما كذب، لقد افتاكم بما أنزل الله في...»[1].

فهذا الحديث يدلّ على مدى سعة علم الإمام عليه السلام وكفاءته العالية في

---

(١) التوحيد للصدوق: ٣٠٥، باب ٤٣، الحديث الأول.

العلوم والمعارف، إلّا أنّ الوضع السياسي لم يسمح له بنشر ما يحمله من علم ومعرفة، وكذلك طبيعة المجتمع آنذاك.

ومن المسلّم به انّ الله تعالىٰ أفاض علىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام الكثير من العلوم والفنون، وهم صلوات الله عليهم لا يبخلون عن تعليم الناس، وانارت الطريق لهم في حدود الامكان، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف السياسية، والاجتماعية، والقابليات المختلفة لدىٰ الناس..

ولهذا نرىٰ أهل البيت عليهم السلام كانوا يعلّمون خواص أصحابهم بعض العلوم، مع التأكيد علىٰ الكتمان، رعاية للمصلحة العامة.

ولكن المجتمع الذي كان يعيش به أهل البيت عليهم السلام لم يصل إلىٰ ذلك المستوىٰ الذي يستطيع الاستفادة من علومهم عليهم السلام، والاستضاءة بنورهم بالشكل المطلوب.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلىٰ صدره المبارك، ويقول: «إنّ ههنا لعلماً جمّاً لو أصبت له حَمَلَةً...»[1].

وقال الامام عليه السلام علىٰ المنبر: «سَلُوني قبل أن تفقدوني».

ولكن لم يسأله أحد تلك الأسئلة الناضجة التي فيها الخير والفائدة للمجتمع، بل يقوم له شخص من حضّار المجلس ويقول: أخبرني كم شعرة في رأسي ولحيتي؟![2].

نعم، هذا المجتمع الذي عاصره أهل البيت عليهم السلام!! وهذه هي ثقافتهم!!

شخصية الإمام عليه السلام الجذّابة:

انّ شخصية الإمام علي عليه السلام شخصية جذابة من جميع النواحي، قد

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبدة) ٤: ٣٧ خطبة ١٤٧ ط. دار الذخائر- قم.

(٢) خصائص الأئمة (للشريف الرضي): ٦٢. ط. مجمع البحوث الاسلامية - مشهد.

حيّرت العقول وعجز اهل العلم عن وصفها.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في مقدمته لشرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«وما أقول في رجل تعزىٰ إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة وتتجاذبه كلّ طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وسابق مضمارها.

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات. ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهىٰ، ومنه ابتدأ.

ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه وكلّ فقيه في الإسلام عيال عليه ومستفيد من فقهه.

ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أُخذ ومنه فرّع، وإذا رجعت إلىٰ كتب التفسير علمت صحّت ذلك...

ومن العلوم علم النحو، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملىٰ علىٰ أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأُصوله.. وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأنّ افق البشرية لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط»[1].

قال الفخري الرازي (من علماء السنة): من اقتدىٰ في دينه بعليّ بن أبي طالب، فقد اهتدىٰ؛ والدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهم أدِرِ الحقَّ مع علي حيث دار»[2].

وقال أيضاً: «ومن اتخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ في

---

(١) نهج البلاغة ١: ٢٠، (مقدمة ابن أبي الحديد)، ط. دار احياء الكتب العربية.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١: ٢٠٧.

دينه ونفسه»[١].

وقال ابن الجوزي(من علماء السنة): «فضائل علي أشهر من الشمس والقمر، وأكثر من الحصى والمدر»[٢].

وروى الشيخ المفيد في كتاب «الفصول المختارة»، وحكاه عنه العلّامة المجلسي في بحاره، وذلك حين سأل المأمون الإمام الرضا عليه السلام عن أكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن قال عليه السلام: «فضيلته في المباهلة»[٣]

والشيخ المقري محمد الجزري الشافعي صاحب كتاب «أسنى المطالب في مناقب سيدنا عليّ بن أبي طالب» يقول:

«فانتهت إلى أمير المؤمنين علي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ جميع الفضائل من أنواع العلوم وجميع المحاسن، وكرم الشمائل من القرآن والحديث والفقه والقضاء والشجاعة والولاية والكرم والزهد والورع ومن الخلق والعقل والتقوى وإصابة الرأي، فلذلك أجمعت القلوب السليمة على محبته، والفِطَر المستقيمة على سلوك طريقته»[٤].

الإمام علي عليه السلام أعلم الصحابة:

انّ كتب التاريخ والسير تشهد أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أعلم الصحابة على الإطلاق، وكان الصحابة وغيرهم يرجعون إليه في معضلات

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تذكرة خواص الأمة: ١٣.

(٣) الفصول المختارة ١: ١٦ ـ ١٧، بحار الأنوار ٣٥: ٢٥٧.

(٤) أسنى المطالب: ١٧٣.

المسائل، ولم ينقل لنا التاريخ أنّه عليه السلام رجع إلى واحد منهم قط.

فهذا الخليفة الأول يقول: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن. وهذا الخليفة الثاني يقول: لولا علي لهلك عمر[١].

وهذا ابن عباس يقول: ما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في علم عليّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر[٢].

وقال أيضاً كان علمه عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله علّمَهُ الله من فوق عرشه، فعِلمُ النبيّ صلى الله عليه وآله من الله، وعلم عليّ عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله، وعلمي من علم علي عليه السلام، وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ـ كلّهم ـ في علم علي عليه السلام كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر[٣].

والإمام علي عليه السلام نفسه يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار، في سهل أم في جبل»[٤].

وقال ابن المسيب ما كان أحد يقول سلوني غير عليّ، وقال ابن عباس أُعطي عليّ تسعة أعشار العلم ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي، قال وإذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل إلى غيره وسؤال كبار الصحابة له ورجوعهم اليه مشهور..»[٥].

---

(١) الاستيعاب ٣: ٣٩، مناقب الخوارزمي: ٤٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٠:١٤٧، ينابيع المودة ١: ٣١٥.

(٣) أمالي المفيد: ٢٦٣ ط. دار المفيد ـ بيروت، بحار الأنوار ٣٢: ٣٥٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (لابن عبد البر) ١: ١١٤، فتح الباري ١٩: ١٩٠، ونحوه في نهج البلاغة (شرح محمد عبدة) ٢: ١٣٠ ط. دار الذخائر.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (للنووي) ١: ٣٤٦.

لقد أجمعت صحاح أهل السنة وكتبهم على أعلمية الإمام علي عليه السلام وأفضليته وتقدّمه في العلم والتقوى على جميع الصحابة، راجع في ذلك على سبيل المثال ما جاء في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (المتوفى ٤٦٣ هـ) في المجلّد الثالث[١] من أقوال الصحابة أنفسهم..

وحديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[٢] الوارد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله،

---

(١) الاستيعاب ٣: ١١٠٢،وما بعدها في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام برقم ١٨٥٥، ط. دار الجبل ـ بيروت.

(٢) لقد ألّف مجموعة من العلماء والمحققين الكتب القيّمة والنافعة جدّاً حول هذا الحديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، وذكروا مصادره واشبعوا الكلام حوله، منها ما ألفه العلّامة المحقق السيد حامد حسين اللكهنودي المتوفى سنة ١٣٠٦، فقد خصّص مجلدين كبيرين من موسوعتة القيّمة «عبقات الأنوار» بهذا الحديث، أحدهما في جمع طرق الحديث ومصادره، والآخر في اثبات صحته ودلالته وتفنيد الشكوك والشبه والردّ عليها.

وكذلك ألّف فيه العلّامة المحدّث أحمد بن محمد بن الصديق المغربي المتوفّى سنة ١٣٨٠ هـ كتاباً سمّاه «فتح الملك العلي بصحة حديث أنا مدينة العلم وبابها علي» وأثبت صحّة الحديث واشبع البحث فيه.

وايضاً فصّل البحث العلّامة الأميني في كتابه النفيس «الغدير» في الجزء السادس حول هذا الحديث وذكر ما ذكره جمع من الحفاظ وأئمه الحديث عبر القرون الماضية، وعدّ منهم أكثر من مائة وأربعين شخصاً..

وكذلك تصدّى السيد علي الميلاني للبحث حول هذا الحديث وقدّم فيه دراسة قيّمة شاملة، وحصل على مصادر وطرق لم تكن في متناول من سبقه، وتضمن البحث ثلاثة أجزاء من موسوعتة النافعة «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار».

وهو من الأحاديث المتفق عليها من الفريقين وحده كاف على تحديد مكانة الإمام علي عليه السلام العلمية، وهو الذي ينبغي اتباعه بعد الرسول صلى الله عليه وآله، لأنّ العالم أولىٰ بالاتباع، وأولىٰ بالاقتداء به من غيره الذي ليس له النصيب الكافي من العلم..

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿أفمن يَهْدِي إلىٰ الحقّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أمّن لا يَهدّي إلّا أنْ يُهْدَىٰ فما لَكُم كيفَ تَحْكُمُون﴾[٢].

وهناك أحاديث أُخرىٰ تثبت أعلمية الإمام علي عليه السلام، نظير ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في مناسبة أُخرىٰ، عندما قال له: «أنت يا عليّ تبيّن لأُمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[٣].

وكان الأصحاب يرجعون إليه في القضايا والمشكلات ولا يرجع هو إلىٰ أحد منهم في شيء، وأنّ أول من اعترف له بالأعلمية نبيّ الاسلام صلى الله عليه وآله.

بقوله لفاطمة عليها السلام: «أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين اسلاماً وأعلمهم (أو أكثرهم) علما»[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه وإلىٰ نوح في تقواه وإلىٰ إبراهيم في حلمه وإلىٰ موسىٰ في بطشه وإلىٰ عيسىٰ في عبادته فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب[٥]».

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

(٣) كنز العمال ١١: ٦١٥، ح ٣٢٩٨٣، تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٨٨.

(٤) كنز العمال ١١: ٦٠٥ ح ٣٢٩٢٥، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤١٦ ح ١٠٢٤.

(٥) اكمال الدين واتمام النعمة: ٢٥، البداية والنهاية ٧: ٣٩٢، ط. دار احياء التراث ـ بيروت.

وعن سلمان الفارسي قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله مَنْ وصيك من أمتك؟ فإنه لم يبعث نبي إلّا وكان له وصي من أمته؟ إلىٰ أن تقول الرواية: فقال صلى الله عليه وآله: «يا سلمان سألتني عن وصيي من أمتي؟ فهل تدري من كان وصي موسىٰ من أمته؟

فقلت: كان وصيه يوشع بن نون فتاه.

فقال صلى الله عليه وآله: فهل تدري لِمَ كان أوصىٰ إليه؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وآله: أوصىٰ إليه لأنه كان أعلم أمته بعده، ووصيي هو أعلم أمتي بعدي عليّ بن أبي طالب»[1].

وفي رواية عبدالله بن بكير الهجري عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «انّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان هبة الله لمحمد صلى الله عليه وآله ورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين»[2].

فبعد كلّ هذه الأدلة التي هي كالشمس الطالعة في وسط النهار، فكيف يتقدّم عليه غيره من لا يعرف الكثير من المسائل والأحكام!!

وقد ذكر محمد بن عمر الرازي المعروف بابن الخطيب، وهو من كبار علماء الأشعرية صاحب التصانيف الكثيرة، في كتابه «الأربعين»[3]، في الفصل الخامس من المسألة التاسعة والثلاثين في بيان أفضل الصحابة بعد رسول

---

(١) الأمالي (للشيخ الصدوق): ٦٣ ح ٢٥ المجالس الرابع، طبعة مؤسسة البعثة، بحار الأنوار ٣٨: ١٨ ح ٣٤، رسائل الشريف المرتضىٰ ٤: ٩٣.

(٢) بصائر الدرجات (للصفار): ١٤١، ط. الاحمدى طهران.

(٣) وهو الكتاب الذي صنفه إلىٰ ولده وجعله دستوراً له.

الله ﷺ، وأورد عشرين حجّة في أنّ علي بن أبي طالب هو أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ وقال في الحجّة الثالثة منها ما لفظه: «إنّ علياً كان أعلم الصحابة، والأعلم أفضل»[١].

قال المنّاوي في فيض القدير حول قول الرسول الأعظم ﷺ: «علي عيبة علمي» أي مظنّة استفصاحي وخاصتي، وموضع سرّي، ومعدن نفائسي، والعيبة ما يحرز الرجل فيه نفائسه. قال ابن دريد (من علماء اللغة): وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في إرادة اختصاصه بأموره الباطنة التي لا يطلع عليها أحد غيره، وذلك غاية في مدح عليّ، وقد كانت ضمائر أعدائه منطوية على اعتقاد تعظيمه[٢].

أخرج الحافظ الحسكاني بسنده عن عمر بن الخطّاب قال: علي عليه السلام أعلم الناس بما أنزل على محمد ﷺ[٣].

وقال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي ت ٦٥٨، مفتي العراقيين ومحدّث الشام، صاحب كتاب «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»:

«كان (علي بن أبي طالب عليه السلام) أعلم الصحابة، ويدلّ على أنه كان أعلم الصحابة... انّ علياً كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم، وكان النبي ﷺ أفضل الفضلاء، وخاتم الأنبياء، وكان عليّ عليه السلام في غاية

---

(١) كتاب «الأربعين»: ٤٦٥ مسألة ٣٩، طبعة حيدرآباد سنة ١٣٥٣. وراجع الطرائف لابن طاووس ١: ٢٣٩.

(٢) فيض القدير ٤: ٣٥٦، وراجع جمهرة اللغة ١: ٣٦٩.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٣٩ ح ٢٩، وفي نسخة أُخرىٰ عن ابن عمر.

الحرص على طلب العلم، وكان النبي صلى الله عليه وآله في غاية الحرص على تربيته وإرشاده إلى اكتساب الفضائل[١]..»

وقال أيضاً: «كقوله صلى الله عليه وآله «أقضاكم عليّ» والقاضي محتاج إلى جميع أنواع العلوم، فلمّا رجّحه على الكلّ في القضاء لزم ترجيحه على جميعهم (الصحابة) في جميع العلوم»[٢].

وقال أيضاً: «قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل عليّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارته، ومدّة فهمه، ووفور حكمته، وحسن قضاياه، وصحة فتاواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة يشاورنه في الأحكام، ويأخذون بقوله في النقض والابرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله ورجاحة عقله، وصحة حكمه»[٣].

جاء في كتاب فضل أهل البيت عليهم السلام لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة (٨٤٥ هـ) في الدليل على عصمة علي بن أبي طالب عليه السلام ما لفظه: «أما دليل العصمة في علي رضي الله عنه فلما ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما أرسله إلى اليمن قاضياً قال: يا رسول الله: كيف تبعثني قاضياً ولا علم لي بالقضاء؟ قال: اذهب فإنّ الله يهدي قلبك، ويسدد لسانك، ثمّ ضرب صدره وقال: اللهم اهد قلبه وسدد لسانه.

قالوا: قد دعا له بهداية القلب وسداد اللسان، وأخبره بأن سيكونان له، ودعاؤه صلى الله عليه وآله مستجاب، وخبره حق وصدق. ونحن لا نعني بالعصمة إلّا هداية

---

(١) كفاية الطالب: ٦٥، ١٠٢، ١٠٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

القلب للحق، ونطق اللسان بالصدق...»[١].

روى الحافظ الكنجي الشافعي بسنده إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً، فكنت إذا سألته أجابني وإن سكتُّ ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلّا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علمني إياه فما نسيته من حرام وحلال وأمر ونهي وطاعة ومعصية، وقد وضع يده على صدري وقال: اللهم املأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ثمّ قال لي اخبرني ربّي عزّ وجلّ أنّه قد استجاب لي فيك»[٢].

قال السيد الحميري:

علي أمير المؤمنين أخو الهدى
وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا
أسر إليه أحمد العلم جملة
وكان له دون البرية واعيا
ودونه في مجلس منه واحد
بألف حديث كلها كان هادياً
وكل حديث من اولئك فاتح
له ألف باب فاحتواها كما هيا[٣]

---

(١) فضل أهل البيت (للمقريزي): ٣٧.

(٢) كفاية الطالب: ١٩٩، الباب الثامن والأربعون في تخصيص علي عليه السلام بتسعة اعشار العلم. وانظر أيضاً: حلية الأولياء ١: ٦٥، الرياض النضرة ٢: ١٩٤، كنز العمال ١: ٢٨٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١: ٣١٦.

الإمام الحسن عليه السلام: جاء بعد الإمام عليّ عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام، هو ثاني أئمة أهل البيت عليهم السلام وأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

كنيته: أبو محمد، ولقبه: المجتبىٰ، والسيد، والسبط، والزكي.

بلغت مدّة امامته ما يقرب من عشر سنين، وهي المدّة التي عاشها بعد أبيه عليه السلام.

كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روي أنّه لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليه السلام.

قال فيه وفي أخيه الحسين عليهما السلام جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا»(١).

وقال أيضا صلى الله عليه وآله:

«اللهمّ إنّي أُحِبُّهما فَأَحِبَّهُما وأَحبب من يُحبّهما»(٢).

ولقد ألف محمد بن أحمد الدولابي (ت ٣٢٠ هـ) مسنداً للإمام الحسن عليه السلام وقد دوّن فيه ما يرويه عن جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولقد أدرجه في كتابه «الذرية الطاهرة»(٣)

روىٰ الدولابي بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين فقال: «من أحبّني وأحب هذين وأباهما وأمّهما كان معي

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٣٠٦، باب مناقب الحسن والحسين، سنن الترمذي ٥: ٦٥٧ حديث ٣٧٧٠، باب مناقب الحسن والحسين، الارشاد ٢: ٢٨.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦٥٧ ح ٣٧٦٩، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٢ ح ٢٦٥٢.

(٣) راجع الذرية الطاهرة: ١٠٧.

في درجتي يوم القيامة»[١].

وكان الحسنان عليهما السلام من ينابيع العلم وروّاد المعرفة في الإسلام، وقد ورد في الحديث عن ابن عمر فيما يخصّ غزارة علمهما صلوات الله عليهما أنهما «يُغَرّ ان العلم غَرّاً»[٢].

وكان الإمام الحسن عليه السلام من مراجع الفتيا، وكانت الصحابة تزدحم عليه للسؤال منه والأخذ من علومه.

قال ابن الصباغ المالكي في علم الإمام الحسن عليه السلام: «إنّه (الإمام الحسن عليه السلام) كان يجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين..»[٣].

قال ابن حجر في خصائص وكرامات الإمام الحسن عليه السلام: «كان ـ رضي الله عنه ـ سيّداً كريماً زاهداً، ذا سكينة ووقار وحشمة، جواداً ممدوحاً»[٤].

وأخرج أبو نُعيم في «حلية الأولياء» أنّه قال: «إني لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمشِ إلىٰ بيته، فمشىٰ عشرين حِجّة»[٥].

ولكن كان الحسنان عليهما السلام في حرج وضيق من دولة بني أُمية، حيث جرت المآسي والأحداث المؤلمة علىٰ الإمام الحسن عليه السلام الذي عاصر

---

(١) الذريعة الطاهرة: ١٦٧ رقم ٢٢٥، ورواه أحمد بن حنبل باسناده عن نضر بن علي الأزدي في المسند ج ١ صفحة ٧٧، وذكره في كتاب «الفضائل» أيضاً، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ٤٣: ٣٠٦.

(٢) النهاية لابن الأثير ٣: ٣٥٧.

(٣) الفصول المهمة: ١٤٧.

(٤) الصواعق المحرقة ٢: ٤٠٩.

(٥) حلية الأولياء ٢: ٣٧، وانظر: أسد الغابة ٢: ١٣، البداية والنهاية ٨: ٤٢.

بداية الحكم الأموي الذي شنّ حملة شعواء على أهل البيت عليهم السلام، فبدأت تناقضات العصر الإجتماعي وتقلبات المناخ السياسي بفرز الآثار السلبية في الحدّ من الاستفادة العلمية من علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، ولكن مع ذلك مارس الحسنان عليهما السلام نشاطهما الثقافي والعلمي، واشتغلا بهداية الناس وارشادهم ونشر علوم الدين، وإقامة الحجج على التوحيد وأُصول الدين...

ولقد كان الامام الحسن عليه السلام مرجع الأمّة الاسلامية في زمانه يأخذ منه المسلمون أحكامهم الدينية، الى أن استشهد مسموماً صلوات الله عليه.

الامام الحسين عليه السلام:

بعد أن استشهد الإمام الحسن عليه السلام جاء دور أخيه سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام الذي مدّ الساحة الاسلامية بمختلف العلوم والمعارف.

لقد سار الإمام الحسين عليه السلام على نهج أخيه وأبيه وجدّه في نشر العلوم التي كان يحملها؛ لأجل توجيه الناس وارشادهم إلى طريق الصواب.

ورد عن يعلى بن مُرّة قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[1].

وذكر المؤرخون أنّ الناس كانوا يجتمعون إليه ويحتفون به، يأخذون منه العلم، ويسمعون الحديث.

---

(١) مسند أحمد٤: ١٧٢، سنن ابن ماجة١: ٥١ ح ١٤٤،سنن الترمذي ٥: ٦٥٨ ح ٣٣٧٧٥، مستدرك الحاكم النيسابوري٣: ١٧٧.

وسُئل معاوية مرّة عن مكان الحسين عليه السلام؟

فقال للسائل: إذا دخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبدالله[١].

وعن ربيع بن سعد عن أبي سابط، قال: دخل حسين بن علي المسجد فقال جابر بن عبدالله: من أحبَّ أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى هذا؛ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وقال ابن عباس حبر الأُمّة: الحسين من بيت النبوة وهم ورثة العلم[٣].

وكفاه عليه السلام من خدمة لدين جدّه أنّه فداه بنفسه وأهله وأولاده وعياله؛ لئلا يخمد نور أهل البيت عليهم السلام أو تطفئ شمعتهم التي تنير الطريق لجميع أجيال البشرية.

وبعد فاجعة الطف الأليمة التي اشعلت النار في قلوب محبي أهل البيت عليهم السلام وخلّدت الأحزان العميقة في نفوسهم، تتابعت الثورات الدموية يزحم بعضها بعضاً، وتوالت الأحداث مروّعة يُسقى آخرها بكأس أولها.

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام:

وجاء بعد الإمام الحسين عليه السلام ولده الإمام السّجاد عليّ بن الحسين عليه السلام التى انتهت مقاليد زعامة الأمة الإسلامية إليه عليه السلام بعد حادثة

---

(١) تاريخ دمشق (لابن عساكر) ١٤: ١٧٩.

(٢) ذخائر العقبى: ١٣٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٢ ـ ٢٨٢، البداية والنهاية ٨: ٢٢٥ طبعة مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

(٣) تاريخ دمشق (لابن عساكر) ١٤: ١٨٣.

الطف المأساوية، وانتقلت الإمامة إليه صلوات الله عليه بعد أن شهد كيفية شهادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في عملية فدائية مروّعة...

والإمام علي بن الحسين عليهما السلام الذي من أشهر القابه: السّجاد، وزين العابدين، هو رابع أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

حضر واقعة كربلاء الأليمة، وكان آنذاك مريضاً، وواكب ركب السبايا بعد الفاجعة إلى الكوفة، ومنها إلى الشام.

ولقد عاش عليه السلام بعد والده ما يقارب من ثلاثة وثلاثين سنة عمل خلالها ما يحفظ وجود الإسلام، مستثمراً ظروف ما بعد واقعة عاشوراء، ركز فيها على تحقيق الأهداف التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

وكانت امامته تقرب من ٣٥ سنة، من سنة ٦١ إلى ٩٥ عاصر فيها خمسة[1] من ملوك بني أميّة، وامتاز عصره عليه السلام بالضغط على اتباع أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته تحت كلّ مدر وحجر، وأمعن الطغاة في التقتيل والتشريد والنفي امعاناً فاحشاً، فعمد الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المناخ الملتهب إلى التثقيف الجماعي والفردي بعد أن اغرورق الغالبية في سكرة اللاوعي، فأعاد الثقة إلى نفوس المسلمين بعد الهزيمة، وعكف على بث العلوم والمعارف باسلوبه الخاص، والتزم اسلوباً جديداً في نشر علوم جدّه صلى الله عليه وآله بما يتناسب مع الجو القائم في تلك الفترة، فنشر ما أراد نشره عن طريق الدعاء والمناجاة والحديث والرواية والتفسير و...

فكثرت تلاميذه عليه السلام، وذاع صيته، وتعدد الآخذون عنه في أنواع

---

(١) وهم: يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك.

العلوم، وروىٰ عنه فقهاء الإسلام من العلوم ما لا يحصىٰ كثرة، وحفظ الناس عنه المواعظ والأدعية، وفضائل القرآن، والحلال والحرام وغيره ما هو مشهور بين العلماء، وقلّما يوجد كتاب زهد وموعظة لم ينقل فيه عنه عليه السلام.

وقال الشيخ المفيد: «وقد روىٰ عنه فقهاء الإسلام العامّة من العلوم ما لا يحصىٰ كثرة، وحفظ عنه المواعظ والأدعية... والمغازي والأيام...»[1].

ومن كرامات الإمام السجاد عليه السلام: انّه روىٰ أحمد بن علي الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن ثابت البناني في حديث: انّ جماعة من عبّاد البصرة استسقوا للناس بمكّة فمنعوا الإجابة فاقبل فتىً فقال: ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبّه الله لأجابة؛ ثمّ أتىٰ الكعبة فخّر ساجداً، فسمعته يقول في سجوده: سيدي بحبّك لي إلّا سقيتهم الغيث فما استتم الكلام حتّىٰ أتاهم كأفواه القرب؛ فقلت: يا أهل مكّة من هذا الفتىٰ؟ قالوا: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

استشهد عليه السلام في المدينة مسموماً سنة ٩٥ هـ

الامام الباقر عليه السلام:

ثم جاء بعد الإمام السجاد عليه السلام ولده محمد، الملّقب بالباقر عليه السلام، وهو خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام لُقب بذلك لأنه بقر العلم وعرف أصله

---

(١) الإرشاد ٢: ١٥٣.

(٢) الاحتجاج: ٣١٦، احتجاجات الإمام السّجاد عليه السلام، إثباة الهداة ٣: ١٤، فصل ٨ حديث ٢٢

واستنبط فرعه وتوسع فيه. قال محمد بن المكرّم: «التبقّر التوسّع في العلم والمال، وكان يُقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي: الباقر رضوان الله عليهم؛ لأنّه بقر العلم أيّ شقّه ودخل فيه مدخلاً عظيماً»[١].

ولقد عرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله بـ «باقر العلوم»، وذلك قد روى جابر بن عبدالله الأنصاري في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يُقال له: محمد يبقر علم النبيين بقراً، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام»[٢].

وقال عنه ابن خلكان «... كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً، وإنّما قيل له الباقر لأنّه تبقّر في العلم، أي توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يـا بـاقر العلم لأهـل التـقى ... وخير من لبى على الأجبّل»[٣]

والذي كان عليه السلام عصره من أدق العصور الإسلامية وأكثرها حساسية فقد نشأت فيه الكثير من الفرق الإسلامية، التي كانت من أخطر الظواهر الفكرية والإجتماعية في ذلك العصر، كما تصارعت فيه الأحزاب السياسية على أشد ما يكون من تصارع...

فبدأ الإمام الباقر عليه السلام بنشاطه الفكري والعقائدي، وجهد عليه السلام على نشر الفقه الإسلامي بالخصوص، متبنياً نشره بصورة ايجابية في وقت كان المجتمع الإسلامي غارقاً في الأحداث والاضطرابات السياسية، حيث أهملت الحكومات في تلك الفترة الشؤون الدينية اهمالاً تاماً.

---

(١) راجع لسان العرب مادة «بَقَرَ».

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٤: ١٩٧، بحار الأنوار ٤٦: ٢٢٢ ح ٦.

(٣) وفيات الأعيان ٤: ١٧٤، الارشاد ٢: ١٥٧.

ولقد كثر تلاميذ الإمام الباقر عليه السلام، وقصده العلماء من مختلف الأقطار لِمَا وجدوا عنده من علوم ومعارف[١].

قال عنه ابن حجر: «أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوّية والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه: هو باقرُ العلم، وجامعه، وشاهد عَلَمِه...»[٢].

وهكذا استمر الامام الباقر عليه السلام في عطاءه العلمي الى أن استشهد صلوات الله عليه سنة ١١٤هـ

الامام الصادق عليه السلام:

ثمّ جاء بعد الإمام الباقر عليه السلام دور ولده الإمام الصادق عليه السلام وهو سادس أئمة اهل البيت عليهم السلام الذي استمر في نشاط والده لإرساء دعائم منهج أهل البيت عليهم السلام، ونشر ثقافتهم، ورسم خطوطهم التفصيلية والتي استمرت ثلاثة عقود ونصف وهي تعتبر الفترة الذهبية في حياة أهل البيت عليهم السلام. وقد تميزت الحقبة الزمنية التي نشط فيها الإمام الصادق عليه السلام بأنّها كانت تعاصر نهايات الدولة الأموية وبدايات الدولة العباسية، وهي فترة ضعف الدولتين سياسياً.

ومن هنا نعرف السّر في عظمة التراث الذي خلّفه الإمام الصادق عليه السلام، ومدى سعته وأهميته، هذا بالإضافة إلى كثرة تلاميذه ممن

---

(١) انظر اعيان الشيعة ١: ٩٩.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٥٨٥.

حملوا تراثه العلمي والمعرفي بحيث كانوا أكثر من أربعة آلاف.

قال الشيخ المفيد في الإرشاد:

«فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه (الإمام الصادق عليه السلام) من الثقات على اختلافهم من الآراء فكانوا أربعة آلاف رجل»[١].

وقال المحقّق الحلّي في كتابه «المعتبر»:

«انتشر عن جعفر بن محمد عليه السلام من العلوم الجمة ما بهر به العقول، وروى عنه ما يقارب أربعة آلاف رجل، وبرز بتعليمه من الفقهاء الأفاضل جم غفير كزرارة ابن أعين وأخويه و...»[٢].

قال مالك بن أنس ـ رئيس مذهب المالكية ـ وهو معاصراً للإمام الصادق عليه السلام ومن تلامذته:

«اختلفتُ إلى جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدّث عن رسول الله إلّا على طهارة، ولا يتكلّم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العبّاد والزهّاد الذين يخشون الله»[٣].

وقال ابن خلكّان (ت ٦٨١ هـ): فكان من سادات أهل البيت، لُـقّب بالصادق؛ لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر[٤].

---

(١) الإرشاد ٢: ١٧٩.

(٢) المعتبر: ١: ٢٤

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٣١٨، طبعة دار التعارف.

(٤) وفيات الأعيان ١: ٣٢٧.

وقال الشهرستاني: جعفر بن محمد الصادق هو ذو علم غزير وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات...[١].

قال ابن حبّان: جعفر بن محمد... كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً، روىٰ عنه الثوري ومالك وشعبة والناس[٢].

نعم، لقد تمكن الإمام الصادق عليه السلام من نشر علومه بشيء من الحرية، فروىٰ عنه العلماء كثيراً، وألّفوا الكتب الجمة من مروياتهم عنه.

وقال ابن حجر: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروىٰ عنه الأئمة الأكابر كيحيىٰ بن سعيد، وابن جريج، وأبي حنيفة و...»[٣].

ولقد استمر الإمام الصادق عليه السلام في خدمة الدين الحنيف، ورفد الساحة الإسلامية بعطاءه العلمي الغزير الى أن استشهد صلوات الله عليه سنة ١٤٨هـ

الإمام الكاظم عليه السلام:

بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، تسلّم الإمام الكاظم عليه السلام مهام التصدي الشرعي لزعامة الأمة الإسلامية، وهو سابع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وباشر العمل بعد والده في تنمية نشاط المدرسة العلمية، هذا بالاضافة إلىٰ تنمية الجوانب الأخرىٰ كالأخلاقية، والسياسية، و...

لقّب عليه السلام بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده، كما في تهذيب الكمال

---

(١) الملل والنحل ١: ١٦٥.

(٢) الثقات لابن حبان ٦: ١٣١، طبعة حيدرآباد.

(٣) الصواعق المحرقة ٢: ٥٨٦.

وتاريخ بغداد[١].

وقال الحافظ ابن حجر المكّي في حقه: كان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم[٢].

وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج[٣].

وكانت أيامه أيام شدة وضيق وبلاء ولاسيّما في عهد هارون الملقب بالرشيد؛ لذا كانت الرواية عنه أقل من أبيه الإمام الصادق عليه السلام، ومع ذلك فقد روى عنه الرواة فأكثروا، ورُوي عنه من علوم الدين الشيء الكثير، وكان أفقه أهل زمانه وأجلّهم، وألّف أصحابه من علومه عليه السلام المؤلفات الكثيرة، وكان يعرف بين الرواة بـ«العالِم»[٤].

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: كان موسىٰ بن جعفر يُدعىٰ العبد الصالح من عبادته واجتهاده، روي أنّه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فسجد سجدة في أول الليل، وسُمع وهو يقول في سجوده: «عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوىٰ، ويا أهل المغفرة»، فجعل يرددها حتّىٰ أصبح، وكان سخيّاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرّه فيها ألف دينار، وكان يَصُرّ الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثمّ يقسّمها بالمدينة. وكان مثل صرر موسىٰ بن جعفر إذا جاءت

---

(١) تهذيب الكمال ٢٩: ٤٤، تاريخ بغداد ١٣: ٢٧، رقم ٦٩٨٧.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٥٩٠ طبعة مؤسسة الرسالة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر أعيان الشيعة للعاملي ١: ١٠٠.

الإنسان الصرة فقد استغنى[١]

قال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه حسب ما قدّمناه، وأحفظهم لكتاب الله، وأحسنهم صوتاً بالقرآن، وكان إذا قرأ يحدر ويبكي، ويبكي السامعون لتلاوته، وكان الناس يسمّونه زين المتهجّدين، سمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ، وصبر عليه من فعل الظالمين به، حتّى مضى قتيلاً في حبسهم ووثائقهم[٢].

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يملك طاقات هائلة من العلوم والمعارف وقد احتف به العلماء والرواة يأخذون من علومه، ويبادرون إلى تسجيل ما يملي به عليهم من غرر الحكم والأدب. وقد تخرّج من مدرسته كبار العلماء والفقهاء في عصره، وقد لعب بعضهم الدور الكبير في تنشيط الحياة العلمية في ذلك العصر، كما برز منهم في ميدان الجدل والمناظرة مع العلماء المنكرين للإمامة، وقد سجّلوا في ذلك أروع المناظرات، وكان في طليعة تلامذة الإمام الكاظم عليه السلام وأصحابه هشام بن الحكم، الذي تصدّى لهذه المهمة.

ومن مميزات عصر الإمام الكاظم عليه السلام انّه انتشرت فيه التيارات والمذاهب الفلسفية والعقائدية والاجتهادات الفقهية ومدارس التفسير، وتوسعت فيه دائرة الفرق الالحادية والفرق المنحرفة والضالة.. فأخذ الإمام الكاظم عليه السلام يواجه هذه الأفكار الالحادية والفرق الضالة بالمناظرات العلمية والأجوبة السديدة. وفي هذه الأجواء تصدّى الإمام عليه السلام للانحرافات العقائدية والفكرية، حيث اغنى الأمة الإسلامية بالروايات الصحيحة

---

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٢٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

والحديث والفقه والتفسير...

ولكن بعد أن حسّ حكّام زمانه بسطوته العلمية أوجسوا منه خيفة؛ لأنّها ستلفت أنظار الناس له ولهذا عمدوا إلى التضييق عليه عليه السلام وسجنه، فحدث ذلك فعلاً إلى أن استشهد سلام الله عليه في سجن الطاغية هارون وذلك سنة ١٨٣هـ

الامام الرضا عليه السلام:

وبعد ذلك خلّف الإمام الكاظم عليه السلام ولده الإمام الرضا عليه السلام، وهو الثامن من أئمة اهل البيت عليهم السلام، فكان كأبيه في خصائصه. وكان أعلم أهل زمانه في ذلك الزمان الذي ازداد فيه عدد العلماء والفقهاء والفلاسفة، ونشطت فيه المناظرات العلمية والتأليف والتدوين، وكان الإمام عليه السلام يبث علومه بين الأمة الإسلامية، ويتحدى العلماء ويناظرهم ويفحمهم، وكانت له ردود على الزنادقة والغلاة من خلال تحجيم أفكارهم ودحض شبهاتهم.

ذكروا أنّه عليه السلام كان يجلس في المسجد النبوي ويفتي الناس وهو ابن نيف وعشرين سنة[1].

ومن كرامات الإمام الرضا عليه السلام:

احتبس المطر أيام كان الإمام الرضا عليه السلام في خراسان بعد ولاية عهده للمأمون، فجعل بعض حاشية المأمون والمعتصّبين على الإمام الرضا عليه السلام يقولون: انظروا لمّا جاءنا علي بن موسى وصار وليّ عهدنا فحبس الله تعالى

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٩، المنتظم لابن الجوزي ١٠: ١١٩ ـ ١٢٠.

عنّا المطر، فاتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه. فقال للرضاعليه السلام: قد احتبس المطر، فلو دعوت الله عزّ وجلّ أن يمطر الناس.

قال الإمام الرضاعليه السلام: نعم.

قال: فمتىٰ تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة.

قالعليه السلام: يوم الاثنين، فإنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنينعليه السلام وقال: يا بنيّ، انتظر يوم الاثنين، فابرز إلىٰ الصحراء، واستسق؛ فإنّ الله عزّوجلّ سيسقيهم، وأخبرهم بما يريك الله ممّا لا يعلمون حاله؛ ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربّك عزّوجلّ.

فلمّا كان يوم الاثنين غدا إلىٰ الصحراء وخرج الخلائق ينكرون، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: «اللّهم يا ربّ عظّمت حقّنا أهل البيت فتوسّلوا بنا كما أمرت، وأمّلوا فضلك ورحمتك، وتوقّعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عامّاً غير رائث ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلىٰ منازلهم ومقّارهم».

ثمّ جاءت سحابة بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران[1] والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئاً لولد رسول اللهصلى الله عليه وآله كرامات الله عزّوجلّ[2].

وقال الذهبي في ترجمته: وكان من العلم والدين والسّؤدد بمكان[3].

---

(١) الغدير: النهر، والجمع غدران. راجع المصباح المنير للفيومي.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١٧٩، بحار الأنوار ٤٩: ١٨٠ ـ ١٨١، باب سائر ما جرىٰ بينه وبين المأمون حديث ١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٩: ٣٨٧.

ولقد أعد له المأمون العباسي علماء سائر الملل والأديان مثل الجاثليق ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئة، وفسطاس الرومي، فسألوه فأجاب عن اسئلتهم واحداً بعد واحد[١].

وكتب عليه السلام الرسالة الذهبية إلى المأمون، فكتبها بماء الذهب[٢]. فكانت أيام الإمام الرضا عليه السلام فيها شيء من الحرية لما كان من ميل المأمون إليه ومعرفته بفضله وعلمه. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه.

فكان عليه السلام يجيب على مختلف الأسئلة في المجالس التي كانت تدار من قبل المأمون وغيره، وفي مناقب ابن شهرآشوب عن كتاب الجلاء والشفاء عن محمد بن عيسى اليقطيني: «جمعت من مسائل أبي الحسن الرضا عليه السلام مما سئل عنه وأجاب فيه ثمانية عشر ألف مسألة أو خمسة عشر ألف مسألة»[٣]

وعن إبراهيم بن العباس الصولي أنه قال: «ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء إلّا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره وإنّ المأمون كان يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجب عنه، وانّ جوابه كلّه كان انتزاعات من القرآن المجيد»[٤].

فهكذا استمر الإمام الرضا عليه السلام في نشر العلوم والمعارف إلى أن دسّ له السّم المأمون العباسي واستشهد عليه السلام على اثر ذلك سنة ٢٠٣هـ؛ خوفاً

---

(١) انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٤: ٣٨٠.

(٢) تقدّم الكلام حولها سابقاً.

(٣) راجع أعيان الشيعة ١: ١٠١، وانظر المناقب (لابن شهرآشوب) ٣: ٤٦١.

(٤) أعيان الشيعة ١: ١٠١، و٢: ١٤.

من مرجعيته العلمية، وحذراً من رجوع الأمّة إليه.

وأثرت عن الإمام الرضاعليه السلام مؤلفات كثيرة في علوم الدين وفي الطب رواها عنه أكابر العلماء بأسانيدهم المتصلة إليهعليه السلام، أشرنا إلى بعضها في بحث مرجعية أهل البيتعليهم السلام العلمية.

الامام الجوادعليه السلام:

وجاء بعد الإمام الرضاعليه السلام دور ولده الإمام الجوادعليه السلام، وهو التاسع من أئمة أهل البيتعليهم السلام، الذي عاصر اثنين من ملوك بني العباس ـ المأمون وأخيه المعتصم ـ وكانت أيامهعليه السلام فيها نوع من الحرية كأيّام أبيهعليه السلام؛ ولكنّها لم تطل...

وكان علىٰ صغر سنّهعليه السلام مرجعاً علمياً للكثير من الفقهاء والعلماء علىٰ مختلف مذاهبهم، وكانت له مناظرات ومحاورات مع المتكلمين والفلاسفة والفقهاء، فكان رأيه راجحاً علىٰ آرائهم.

فانّ سعة علومه ومعارفهعليه السلام كانت مذهلة للفكر، فهو ـ بحق ـ معجزة الإسلام الكبرىٰ، لقد خاض صلوات الله عليه مختلف العلوم والفنون، وهو في سنّه المبكّر، وسأله العلماء عن أدقّ المسائل وأعمقها فأجابهم عنها، وقد تعجبوا من ذلك وتحيّروا..

قال محمد بن طلحة الشافعي(ت ٦٥٢هـ) فى وصف الإمام الجوادعليه السلام «.. وهو وان كان صغير السنّ فهو كبير القدر، رفيع الذكر»[1].

وقال فى حقه سبط ابن الجوزي(ت ٦٥٤ هـ):

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسولصلى الله عليه وآله: ٣٠٣.

« وكان على منهاج أبيه في العلم، والتقى، والزهد، والجود»[1].

ولقد أجاب الإمام الجواد عليه السلام عن الكثير من الشكوك والأوهام حول قضايا التوحيد التي أثارها بعض الحاقدين على الإسلام لزعزعة عقيدة المسلمين.. وقد أجاب الإمام عليه السلام عنها بكل وضوح وفنّدها...

وكذلك شكّلت الأحاديث التي تُروىٰ عن الإمام الجواد عليه السلام مصدراً خصباً لاستنباط الأحكام الشرعية لدىٰ فقهاء الشيعة الإمامية؛ لأنّها من السنّة التي فسّرت ـ عندهم ـ بقول المعصوم وفعله وتقريره، وقد شمل ما أثر عنه عليه السلام معظم أبواب الفقه.

هذا، ناهيك عن مواعظه الحافلة بالدعوة إلىٰ العمل بما يقرّب الإنسان من ربّه ويبعده عن عقابه ومعصيته..

وأيضا تحدّث صلوات الله عليه عمّا يحتاج إليه المؤمن في هذه الحياة من روائع الحكم والآداب التي تُعدّ من مناجم التراث الإسلامي، ومن أروع الثروات الفكرية في الإسلام.

وقد روي عنه عليه السلام أنواع العلوم والمعارف وأجوبة المسائل المشكلة الشيء الكثير، وكذلك روي عنه المواعظ والحكم والآداب والأدعية، واستمر عليه السلام بنشر علوم آبائه الطاهرين إلىٰ أن استشهد عليه السلام في آخر ذى القعدة في السنة التي اشخصه فيها المعتصم الى بغداد، أي سنة ٢٢٠هـ

الامام الهادي عليه السلام:

وجاء بعد الإمام الجواد عليه السلام دور الإمام الهادي عليه السلام، وهو الإمام العاشر من أئمة اهل البيت عليهم السلام، الذي عاصر عدّة خلفاء من بني العباس، وكانت

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٢١، ط. مؤسسة آل البيت ـ بيروت.

أيامه أيام عسر وشدة وضيق.

ولقد شهد علماء السنة بفقه الإمام الهادي عليه السلام وزهده وعبادته وعلمه، قال اليافعي: «كان علي الهادي متعبداً فقيهاً إماماً»[١].

وقد ظهرت منزلة الإمام عليه السلام العلمية في قضية وقعت في حياة المتوكل، عجز العلماء في عصره عن اعطاء الرأي الصحيح فيها، ولكن الإمام عليه السلام اثبت لهم الرأي الصائب والصحيح فيها[٢].

فاتخذ الإمام عليه السلام في بداية حياته الجامع النبوي، وكان الناس ينهلون من نمير علومه التي استمدها من آبائه الطاهرين عليهم السلام، ولكن هذا العطاء الفكري لم يستمر هناك؛ حيث سعي به إلى المتوكل العباسي، فأكره على مغادرة المدينة والشخوص إلى سامراء، وذلك بعد أن عهد المتوكل إلى يحيى بن هرثمة باستصحابه والسفر معه ومراقبته مراقبة شديدة؛ خوفاً من خشية التفاف الناس حوله.

ثمّ بعد أن استقر الإمام عليه السلام في سامراء بدأت السلطة العباسية بفرض

---

(١) مرآة الجنان ٢: ١١٩ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢: ٥٦ في ترجمة الإمام الهادي عليه السلام، قال: اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لاتصدقن بدنانير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال: يتصدق بثلاث وثمانين ديناراً فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فرد الرسول إليه فقال قل للمتوكل في هذا الوفاء بالنذر، لأنّ الله تعالى قال: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاث وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين..

الاقامة الجبرية عليه فكان، شبيهاً بالمعتقل، بحيث احاطت بداره قوىٰ الأمن العباسي ترصده وتراقبه، وتعقّب من يتصل به، وهكذا عاش الإمام عليه السلام حياته في ظل هذه الضغوط، ولكنّه مع ذلك لم ينصرف عن اشاعة العلم، وتهذيب الأخلاق، ونشر المعارف الإسلامية، واستمر أيضاً في العطاء العلمي والإجابة عن جميع الرسائل والمكاتبات رغم الظروف السياسية الصعبة إلىٰ أن قضىٰ عليه السلام نحبه شهيداً علىٰ يد الطغاة العباسيين في الثالث من رجب سنة ٢٥٤هـ

ونذكر قصة واحدة من مجموع ما سجّله التاريخ حتّىٰ يرىٰ القارئ المنصف الفارق الكبير جداً بين أئمّة الهدىٰ والحق المتمثلة بأهل بيت الوحي، وبين اولئك الذين غصبوا الخلافة وعدّوهم من خلفاء المسلمين!:

ذكر اليافعي في مرآة الجنان في حوادث سنة أربع وخمسين ومائتين عندما سُعي بالإمام علي الهادي عليه السلام إلىٰ المتوكّل العباسي، وقيل له: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً، وأوهموه أنه يطلب الخلافة، فوجّه المتوكّل من هجم عليه وعلىٰ منزله، فوجدوه وحده في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر، وعلىٰ رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبلُ القبلة، وليس بينه وبين الأرض بساط إلاّ الرمل والحصىٰ، وهو يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فحُمل عليه السلام إلىٰ المتوكّل علىٰ الصفة المذكورة، فلمّا رآه عظّمه وأجلسه إلىٰ جنبه، وكان المتوكّل يشرب الخمر وفي يده كأس، فناوله الكأس الذي في يده، فامتنع الإمام بشدّة، وقال ما خمر لحمي وعظمي قطّ، فاعفني عنه، فعفاه، وقال له: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إنّي لقليل الرواية للشعر. قال: لابُدّ أن تنشدني، فأنشده:

باتوا علىٰ قُلل الجبال تحرسهم غُلب الرجال، فلم ينفعهم القللُ

واستُنزِلوا بعد إعراض معاقلهم فأُدِعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما قُبروا أين الأسرّة والتيجان والحللُ
أين الوجوه التي كانت مُنَعّمة من دونها تُضرب الأستار والكِلَلُ
فأفصحَ القبرُ عنهم حين سائلَهم تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتتِلُ

ثمّ بكى المتوكلُ، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب[1].

الامام الحسن العسكري عليه السلام:

وبعد الامام الهادي عليه السلام انتقلت الإمامة إلى ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذي شهد بفضله وعلمه الجميع.

قال سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ): «هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى وكان عالماً ثقة»[2].

وكان عليه السلام أيضاً يعاني من الملوك المتربعين على الخلافة كما عانى أئمة أهل البيت عليهم السلام من قبل من شدة المحن والبلوى، بحيث منعت الحكومة العباسية العلماء والفقهاء الاتصال بالإمام عليه السلام لئلا يذاع فضله ويتحدث الناس عن علمه وتقواه فيزهدون في بني العباس، ولكن مع ذلك لقد جهد الإمام العسكري عليه السلام بالعطاء الفكري والثقافي، وأخذ يقوم بنشر العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير، فكان عليه السلام من أئمة التفسير، وقد أثر عنه تفسير خاص عُرف بتفسير الإمام العسكري عليه السلام.

---

(١) مرآة الجنان ٢: ١١٩ طبعة دار الكتاب العلمية ـ بيروت.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ١٦٦. نشر مكتبة الحرم.

وقضى الإمام العسكري عليه السلام حياته القصيرة الأمد بالمحن والخطوب، فكانوا ينقلونه من سجن إلى سجن إلى أن استشهد عليه السلام في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ.

وبعدها انتقلت الإمامة إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف الذي هو آخر الأئمة عليهم السلام، فهو ليس الأمل للإسلام فحسب، وإنما للبشرية المعذّبة التي ترزح تحت وطأة العبودية والاستغلال، فهو الفاتح العظيم الذي سيحرر الناس من الجهل والظلم، وسينشر علومه ومعارفه التي ورثها من آبائه الطاهرين عليهم السلام.

تبين لنا من هذا العرض السريع والموجز حول العصر الذي عاصره أئمة أهل البيت عليهم السلام، بأنّهم صلوات الله عليهم لم يجدوا الظروف المناسبة، والأرضية المساعدة لبث جميع علومهم ومعارفهم بالنحو الواسع، إلّا باستثناء بعض الفترات والفرص التي حصلت لبعض الأئمة عليهم السلام ـ كما في عهد الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ـ نكاد نسميها بالفترة الذهبية.

ومن الجدير بالذكر: إنما الشيعة الإمامية اتبعت أهل البيت عليهم السلام لأنهم نسخة من الشرف والكرامة لا ثاني لهم في الإسلام على امتداد التاريخ، وهم الامتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله، رسول الرحمة والانسانية.

(٣)

مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام

انّ علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم أبهرت العقول، وحيّرت الباحثين، ولا سيّما أنّ النصوص التاريخية لم تشر إلى أنّهم درسوا عند أحد.

وهناك سؤال قد يختلج في الذهن، وهو ما هي المصادر التي استقى أهل البيت عليهم السلام منها علومهم، وبالأخص عندما يواجه الإنسان هذا التراث الضخم الذي أثر عن أهل البيت عليهم السلام من الأصول والفروع، وفي التفسير والأخلاق والتاريخ والعرفان و...

وان كان الجواب عن السؤال: انّ علم اهل البيت عليهم السلام هو علم لدنّي يحصل عليه الانسان من الله تعالى.

ولكن يمكننا أن نستنتج بالاستعانة بالشواهد أنّ من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام هي كما يلي (هذا من باب اثبات الشيء لا ينفي مما عداها):

١ ـ القرآن الكريم:

عرّف الأئمة عليهم السلام بأنّ القرآن الكريم كتاب فيه علوم الأولين والآخرين، وبيان لجميع العلوم، وهناك العديد من الروايات التي تؤكّد أنّ أهل البيت عليهم السلام اختصّوا بمعرفة حقائق القرآن الكريم، منها: قول الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ المراد من قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ**﴾ هو

عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

وكذلك الإمام علي عليه السلام نفسه، قال: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب»[٢].

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «ونحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه»[٣].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... وسلوني عن القرآن فإنّ في القرآن بيان كلّ شيء ، فيه علم الأولين والآخرين، وإنّ القرآن لم يدع لقائل مقالاً، وما يعلم تأويله إلّا الراسخون في العلم، ليسوا بواحد، ورسول الله صلى الله عليه وآله منهم، اعلَمَهُ اللهُ إيّاه فعلمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ لا يزالُ في عَقِبنا إلى يوم القيامة»[٤].

وما يدلل على احاطة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالقرآن الكريم ومعرفته الكاملة بآياته ما جاء في نهج البلاغة أنّه عليه السلام طلب من المسلمين أن يستنطقوا القرآن، بالرغم من صعوبة ذلك، إذ قال عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أخبركم، ألا انّ فيه علم ما يأتي...»[٥].

نعم، هناك العديد من الروايات التي ذكرتها المصادر الروائية أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الذين فهموا القرآن حق فهمه، وكان هو المصدر الأول

---

(١) بحار الأنوار ٣٥: ٤٣٥، و١٠٩: ٩ والآية في سورة الرعد: ٤٣.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٦ الحديث ٢١.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٢١١.

(٤) بحار الأنوار ٢٦: ٦٤، حديث ١٤٦.

(٥) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٢٢٣ الخطبة رقم ١٥٨.

لعلمهم.

٢ ـ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله:

المصدر الثاني لعلوم أهل البيت عليهم السلام هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهناك العديد من الشواهد التي يُستدل بها على ذلك، منها:

ما صرّح به الإمام علي عليه السلام في مواضع متعددة على أن العلوم والمعارف قد أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت معه جلسات خاصّة لهذا الغرض، قال عليه السلام:

«فلم يُنْزِلِ الله آية على نبيه من القرآن إلّا وقد جمعتُها، وليست منه آية إلّا وقد قرأنيها وعلّمني تأويلها»[1].

وقول الإمام عليه السلام: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب يفتح كلّ باب لي ألف باب»[2].

وقول الإمام عليّ عليه السلام عندما يُسأل عن مصدر علمه الذي أبهر العقول وأذهل الجميع، كان يقول: «.. وما سوىٰ ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطمّ عليه جوانحي»[3].

وجاء في بعض الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أورث علمه الإمام عليّ عليه السلام وأنّ الإ مام علي عليه السلام أورثه الأئمة من بعده، كما سيأتي.

ويؤكد الإمام الباقر عليه السلام: أنّ علمهم لا يمثّل رأيهم، بل وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول:

---

(١) بحار الأنوار ٨٩: ٤٠.

(٢) الكافي ١: ٢٦٦، الحديث ٤، بصائر الدرجات: ٣٢٥، الحديث ١٣.

(٣) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ١٨٦ الخطبة رقم ١٢٨.

«لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصول علم عندنا نتوارثها كابراً عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»[١].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله علّم رسوله الحلال والحرام، والتأويل، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام»[٢].

٣ ـ انتقال العلوم من إمام إلىٰ آخر:

عرفنا في الفقرة السابقة أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يعلّم علياً عليه السلام كل ما كان يتلقاه عن طريق الوحي، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمه ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب.

وكان للإمام عليه السلام اجتماع خاصّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أورد النسائي عن عبدالله بن نُجَيّ، عن أبيه، قال: قال لي عليّ: كانت لي منزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن لأحد من الخلائق، فكنت آتيه كلّ سحر، فأقول: السلام عليك يا نبي الله، فإن تنحنح انصرفت إلىٰ أهلي، وإلّا دخلت عليه»[٣].

وجاء في بعض الروايات أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يصرّحون بأن علومهم عليهم السلام من النبي صلى الله عليه وآله انتقلت بالوراثة إليهم، وأنّ حديثهم حديث

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٢٠ حديث ٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٣ حديث ١٠.

(٣) سنن النسائي ٣: ١٢، باب التنحنح في الصلاة، ط. دار الفكر ـ بيروت.

جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله، فقد روي عن جماعة أنّهم قالوا: «سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزّوجلّ»[1].

وفي روايات أُخرىٰ: أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر عليّاً عليه السلام بكتابة ما يملي عليه ليحتفظ به للأئمّة عليهم السلام من بعده. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: اكتب ما أملي عليك، فقال يا نبيّ الله أو تخاف عليّ النسيان؟!

فقال: لستُ أخافُ عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يُحْفِظَكَ ولا يُنسيك، ولكن أُكتب لشركائك. قال، قلت: ومَنْ شركائي، يا نبيّ الله؟ قال صلى الله عليه وآله: الأئمة من ولدك... الحديث»[2].

٤ ـ التحديث والالهام:

لا شك انّ من مصادر المعرفة عند الإنسان: الوحي، والالهام، والتحديث.

فالوحي بمعناه الخاص، فهو مختص بالأنبياء عليهم السلام، ثمّ يصل عن طريقهم إلىٰ غيرهم.

---

(١) الوسائل ٢٧: ٨٣، الباب ٨ من أبواب صفات القاضي الحديث ٢٦.

(٢) اكمال الدين: ٢٠٦ الحديث ٢١، بصائر الدرجات: ١٨٧ الحديث ٢٢، الغيبة للنعماني: ٨٣.

والإلهام، وهو نوع من ألوان الوحي فيختص به بعض أفراد الناس، وتختلف مرتبته باختلاف مراتبهم.

وهناك مرتبة أخرىٰ بين الإلهام والوحي بمعناه الاصطلاحي الخاص، وهي مرتبة التحديث، وفيها يلقي الملك علىٰ سماع المحدَّث معرفة من دون أن يرىٰ المحدّث شخص الملك، بخلاف الوحي، فانّ الموحى إليه قد يرىٰ الملك[1].

والوحي بمعناه الخاص يختص بالنبي صلى الله عليه وآله، بخلاف التحديث فإنّه قد يكون غير النبيّ محدّثاً.

فيمكن أن تصل العلوم والمعارف لأهل البيت عليهم السلام عن طريق الإلهام والتحديث.

فالإلهام يحصل لهم لما امتازوا به من صفاء النفس وطهارتها، وهي الأرضية الصالحة للإلهام الإلهي[2].

عن الإمام الصادق عليه السلام كان يقول: «علمنا غابر ومزبور، ونَكْتٌ في

---

(١) انظر مرآة العقول (للمجلسي) ٣: ١٣٦ ـ ١٣٧، باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام.

(٢) قال الشيخ المظفر حول علم الإمام عليه السلام: «أمّا علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام من قبله. وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطىء فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد، ولذا قال صلى الله عليه وآله في دعائه: (ربِّ زدني علماً). عقائد الامامية: ٦٧ - ٦٨.

القلوب، ونَقْرٌ في الأسماع...»

فسُئل عليه السلام في تفسير هذا الكلام فقال: «أما الغابر فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور فالعلم بما كان، وأما النكتُ في القلوب فهو الإلهام، والنقرُ في الأسماع حديث الملائكة، نسمعُ كلامهم ولا نرىٰ أشخاصهم...»[١].

روىٰ الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اعطاني الله تبارك وتعالىٰ خمساً وأعطىٰ علياً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطىٰ علياً جوامع العلم، وجعلني نبياً وجعله وصياً، واعطاني الكوثر واعطاه السلسبيل، واعطاني الوحي واعطاه الإلهام[٢]، وأسري بي وفتح له أبواب السموات حتىٰ ينظر إلىٰ ما نظرت إليه... الحديث»[٣].

فعلم الأئمة عليهم السلام هو علم لدني[٤]، وانّ الإلهام والنكت والوقر، هي اصطلاحات وردت في الروايات.. وأن الارتباط بعالم الغيب لم ينقطع بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولكن الوحي التشريعي قد انقطع بعد رحلته صلى الله عليه وآله.

وكذا التحديث، فهم عليهم السلام ليس بأقل ممن كانوا محدّثين في الأمم السابقة ولم يكونوا أنبياء، مثل ذي القرنين، وصاحب موسىٰ، وصاحب سليمان.

ولقد جاء في الروايات، احدى صفات الأئمة عليهم السلام (المحدَّثون).

---

(١) الارشاد للمفيد ٢: ١٨٦، ورواه مختصراً الكليني في الكافي ١: ٢٠٧ ح ٣، والصفار في بصائر الدرجات: ٣٣٨ ح ٢.

(٢) موضع الشاهد لكلامنا.

(٣) الخصال: ٢٩٣ ح ٥٧.

(٤) إنّ العلم اللدني معناه: أنّه يحصل للإنسان من غير الطرق المتعارفة، مثل السمع والمطالعة والدرس وغيرها، بل يحصل من الله تعالى، وهو غير العلم المتعارف المكتسب الذي يحصل عليه البشر بالطرق المذكورة.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام يقول في حديث:

«الأئمة علماء حلماء صادقون مفهمون محدَّثون»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «الإثنى عشر من آل محمد كلّهم محدَّث من وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله وولد علي عليه السلام»[٢].

وحول كيفية التحديث، هناك عدّة روايات، منها:

جاء عن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّ أباك حدّثني أنّ عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام كانوا محدَّثين، قال: فقال: كيف حدَّثك؟ قلت: حدّثني أنّه يُنكَتُ في آذانهم، قال: صدق أبي»[٣].

وفي رواية أُخرى عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: كان علي والله مُحدَّثاً، قال: قلت له: اشرح لي ذلك أصلحك الله، قال: ببعث الله مَلَكاً يُوْقِرُ في أُذنِه كيت وكيت»[٤].

فالمقصود من (النكت) و(الوقر) ـ بشكل عام ـ هو: أنّ الملَك المأمور بالتحديث يضع الأمر المعني بصورة ثابتة وراسخة في قلب المعصوم عليه السلام وقوته السامعة، بحيث لا مجال للشك والشبهة بوضوحه وحقانيته.

٥ ـ الجامعة:

ذكرت الجامعة من احدى مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم،

---

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٦٦ حديث ١.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٤٠ حديث ٥، الكافي ١: ٥٣١ حديث ٧.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٤٤ حديث ١٢.

(٤) بصائر الدرجات: ٣٤٣ حديث ٨.

وخاصّة في الأحكام.

وهي كتاب طوله سبعون ذراعاً من املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط عليّ عليه السلام مكتوب على الجلد، وتكرر ذكرها في أخبار الأئمة عليهم السلام، بحيث انتشر أمرها انتشاراً واسعاً، وأصبحت مشهورة بين المسلمين، ووردت أيضاً في الأخبار بعنوان «الصحيفة»[1] و«كتاب عليّ».

ولقد كانت موجودة عند الأئمة عليهم السلام الأطهار الذين ورثوها عن آباءهم وكانوا يرجعون إليها، وقد افصحوا عنها بشكل أدق في ما روي عنهم من نصوص، منها:

روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام خلال حديث فيه تفصيل أنّه عليه السلام قال: «إنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟ قال قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله واملائه من فلق فيه، وخط عليّ عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش»[2].

وما رواه سليمان بن خالد، قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ عندنا لصحيفة يُقال لها: الجامعة، ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها، حتّى أرش الخدش»[3].

---

(١) فالتعبير عنها بالصحيفة، لا يعني الورقة مطلقاً، لأنّ الصحيفة ـ في اللغة ـ هي: الكتاب. راجع لسان العرب مادة «كتب».

(٢) بصائر الدرجات: ١٦٣ الحديث ٤، الكافي ١: ١٨٦، الحديث ١.

(٣) بصائر الدرجات: ١٦٢، باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم الصحيفة الجامعة... الحديث ٨.

ولقد شاهد جملة من أصحاب الأئمة «الجامعة» أو «الصحيفة» أو «كتاب عليّ عليه السلام»، وخاصّة في زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام؛ لسماح الظروف لهم آنذاك بذلك. منهم: سويد بن أيوب، وأبو بصير، ومحمد بن مسلم، وغيرهم:

روى الصفار في كتاب بصائر الدرجات بسنده عن أبي بصير أنّه قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدعا بالجامعة، فنظر فيها أبو جعفر عليه السلام... الحديث»[1].

وروي أيضاً عن محمد بن مسلم، أنه قال: «أقرأني أبو جعفر عليه السلام صحيفة كتاب الفرائض التي هي املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده... الحديث»[2].

٦ ـ الجفر:

ثمة آراء[3] مختلفة في المقصود من علم الجفر، ولا نرى هنا ضرورة في التعرّض لها، ولكن الذي نحصل عليه من مجموع الروايات التي وردت في ذلك أنّه من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وبعبارة أخرى أنّ الجفر ـ كما في الروايات[4] ـ إشارة إلى المكتبة

---

(١) بصائر الدرجات: ١٦٥، باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم الصحيفة الجامعة، الحديث ١٧.

(٢) الكافي ٧: ٩٣، الحديث ١.

(٣) انظر أعيان الشيعة ١: ٩٤ ـ ٩٦ وغيره.

(٤) الكافي ١: ٢٤٠ ـ ٢٤١ الأحاديث ٣ و٤ و٥، باب ذكر الصحيفة والجفر و...،

←

والخزانة الخاصّة لأهل البيت عليهم السلام تناقلها الأئمة الأطهار عليهم السلام يداً عن يد.

أي ورد في جملة من الأخبار أنّ الجفر احدىٰ مصادر العلم والمعرفة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، فكان عندهم عليهم السلام الجفر الأبيض والجفر الأحمر.

والجفر ـ كما جاء في الروايات[1] ـ وعاءٌ من أديم، أي من الجلود.

والجفر الأبيض: وعاء يحتوي علىٰ كتب.

والجفر الأحمر: وعاء يحتوي علىٰ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه ومغفره ونحو ذلك.

ففي رواية أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:« إنّ عندي الجفر الأبيض، قال: قلت: فأيّ شيء فيه؟ قال زبور داود، وتوراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام و...

وعندي الجفر الأحمر، قال: وأيُّ شيء في الجفر الأحمر؟

قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل»[2].

وجاء في رواية أبي بصير ـ وهي طويلة ـ: «قلت: وما الجفر؟ قال: وعاءٌ من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني

← وبحار الأنوار ٢٦: ١٨ وما بعدها، باب جهات علومهم عليهم السلام وما عندهم من الكتب...

(١) فسّر في بعض الروايات بإهاب ما عز وإهاب كبش. راجع بصائر الدرجات للصفار: ١٥١ و١٥٥، باب في أنّ الأئمة عليهم السلام أعطوا الجفر الأحاديث: ٢ و١١ و١٢ وغيرها.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٤٠، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر...، الحديث ٣.

إسرائيل»[١].

وقال الشيخ البهائي (وهو الخبير بعلم الحديث والعلوم الغريبة): «وقد تظافرت الأخبار بأنّ النبي صلى الله عليه وآله أملى على أمير المؤمنين عليه السلام كتابي الجفر والجامعة، وأنّ فيهما علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة...»[٢].

وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٢ هـ) في شرح المواقف، عند الكلام عن تعلّق العلم الواحد بمعلومين: «إنّ الجفر والجامعة كتابان لعلّي كرّم الله وجهه، وقد ذكر فيهما على طريق علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما»[٣].

ولمزيد من الاطّلاع حول «الجفر» راجع كتاب أعيان الشيعة[٤] والذريعة[٥] وغيرهما.

٧ ـ مصحف فاطمة عليها السلام:

تكرر ذكره في أخبار أهل البيت عليهم السلام، حيث كان عند الزهراء فاطمة سلام الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب عن أبيها يُعرف بـ «مُصْحَف فاطمة»، فليس هذا مصحفاً بالمعنى الخاص بكتاب الله تعالى وإنما هو

---

(١) المصدر السابق ١: ٢٣٩، الباب نفسه، الحديث ١.

(٢) راجع الذريعة ٥: ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) شرح المواقف ٦: ٢٢.

(٤) أعيان الشيعة، للعاملي ١: ٩٤ ـ ٩٦.

(٥) الذريعة ٥: ١١٨ «جفر».

أحد المدونات.

ورد ذكره عند العامة والخاصّة.

ذكره من العامة الخرائطي (ت ٣٢٧هـ): عن مجاهد قال: دخل أُبيّ بن كعب على فاطمة رضي الله عنها ابنة محمد صلى الله عليه وسلم فأخرجت إليه كربة فيها كتاب:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»[١].

وذكره من الخاصة أبو الحسن ابن بابويه (ت ٣٢٩ هـ) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: كنتُ انظر في كتاب فاطمة عليها السلام ...»[٢].

وعن الإرشاد للمفيد والاحتجاج للطبرسي: كان الصادق عليه السلام يقول: وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة... الحديث»[٣].

إذن «مصحف فاطمة» سلام الله عليها يُعرف أيضاً بـ «كتاب فاطمة عليها السلام».

نعم، قد استغل بعض المغرضين اطلاق اسم «المُصْحَف» على هذا الكتاب للتشهير بالمؤمنين الشيعة، وذلك بالنظر إلى شيوع إطلاق هذه الكلمة «المُصْحَف» على القرآن الكريم في عرف المسلمين اليوم.

لكن هذا التشهير غير صحيح، وغير مقبول، لأنّ كلمة «المصحف» كانت تطلق على كل كتاب، كما تطلق على «الصحيفة».

أضف إلى ذلك أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد صرّح في أحد رواياته أنّه

---

(١) مكارم الأخلاق للسامري الخرائطي: ٩٠ رقم ٢٢٦ طبعة دار الآفاق العربية.

(٢) الامامة والتبصرة من الحيرة: ١٨٠ الباب ٥، الحديث ٣٤.

(٣) انظر: الإرشاد ٢: ١٨٠، والاحتجاج ٢: ١٣٤.

ليس فيه حرف من القرآن.

روىٰ الصفار بسنده عن علي بن الحسين عن الصادق عليه السلام في حديث: «وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنّه املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط عليّ عليه السلام»[1].

وجاء ذكر كتاب فاطمة سلام الله عليها في باب حساب زكاة النقدين من الكافي[2] للكليني، وأنّ الإمام الصادق عليه السلام أخذ الجواب من كتاب فاطمة عليها السلام.

وقد فصّل السيد العاملى الحديث عنه في مقدمة أعيان الشيعة[3].

---

(١) بصائر الدرجات: ١٧٨، الحديث ١٩.

(٢) راجع الكافى ٣: ٥٠٧ الحديث ٢، كتاب الزكاة.

(٣) انظر أعيان الشيعة ١: ٩٧ ـ ٩٨.

الخاتمة

أشعار فى مدح أهل البيت عليهم السلام

كلمات من نور

كلمة الختام

أشعار في مدح أهل البيت عليهم السلام

لقد نقل لنا التاريخ أجود الأشعار في مدح أهل البيت عليهم السلام مع ذكر مناقبهم وفضائلهم، وهناك قصائد رائعة بليغة في هذا المجال لفطاحل الشعراء أو لشخصيات بارزة تفتقت قريحتهم الشعرية عن كلام منظوم في أبيات موزونة مقّفاة، إذْ لم يخلُ زمان ولا مكان من شعراء نظموا الشعر في حق أهل البيت عليهم السلام، وهذه منها:

أشعار السيد الحميري[1]:

قال السيد الحميري في آخر لحظات من حياته:

كذبَ الزاعِمون أنّ عليّاً لا يُنجّي مُحِبَّه من هَناتِ

---

(١) السيد الحميري: هو إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري، لقبه السيد، وكنيته أبو هاشم. ولد عام ١٠٥ هـ بالبصرة، وكان شعره في غاية الجودة، وعن عبدالله بن إسحاق الهاشمي: انّه جمع للسيد الحميري ألفي قصيدة.. توفي عام ١٧٣ هـ في بغداد.

وفي هامش المصدر (ديوان السيد الحميرى): عن الحسن بن عون أنّه رأىٰ في اللحظة الأخيرة من حياته وقد بدت في وجهه نكتة سوداء. فلم يلبث حتّى صار مكانها لمعة بيضاء أخذت تزيد حتّىٰ أشرق وجه السيد وهو يضحك، عندها قال أهكذا يفعلُ بوليك وأنشأ هذه الأبيات.

قَـدْ وربّـي دَخـلتُ جنةَ عـدنٍ وعـفا لي الإلهُ عـن سـيّئاتي
فـابشروا اليـومَ أولياء عـليٍّ وتـولّوا عـليَّ حـتّى المَـمَاتِ
ثـمّ مـن بـعده تـولوّا بـنيه واحـداً بَعْدَ واحدٍ بالصّفاتِ[1]

ومن شعره أيضاً في مدح أهل البيت عليهم السلام:

بـيت الرسـالة والنـبوة والّـذ يـن نُـعدّهم لذنـوبنا شـفعاءاً
الطـاهرين الصـادقين العـالمـ يـن السـادة النـجباءا
إنّـي عـلقتُ بـحبّهم مـتمّسكاً أرجـو بـذاكَ مـن الإله رضـاءا
أبِـواهـم أبـغي لنـفسي قُـدوةً لا والّـذي فـطرَ السماء سماءا[2]

اشعار الشافعي[3]:

ومن شعر الشافعي (إمام الشافعية) في مدح أهل البيت عليهم السلام:

يـا راكـباً! قـف بـالمُحَصَّبِ مـن مِـنى
واهـتفْ بسـاكـن خَـيْفِها والنّـاهضِ
سـحَراً إذا فـاض الحـجيجُ إلىٰ مِـنىٰ
فـيضاً كـمُلتطم الفُـراتِ الفـائضِ

---

(١) ديوان السيد الحميري: ٥١، ط. دار صادر ـ بيروت، مجالس المؤمنين ٢: ٥١٥.

(٢) ديوان السيد الحميري: ١١، أعيان الشيعة ١٢: ٢١٢.

(٣) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، وهو من علماء المسلمين، ومؤسس المذهب الشافعي، ولد عام ١٥٩ هـ وصاحب كتاب «الأُم» الذي ضمّنه خلاصة مذهبه الفقهي، وأراءه المتنوعة في المسائل التي طُرحت عليه، توفي عام ٢٠٤ هـ

إن كـــان رفْـــضاً حبُّ آل مـــحمّدٍ
فـــلْيشهدِ الثَّـقلانِ أنّـي رافـضي[١]

قال البيهقي: قال الشافعي ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسداً وبغياً[٢].

أشعار الشيخ صالح ابن العرندس:

ومن جملة القصائد الرائعة في مدح أهل البيت عليهم السلام قصيدة الشيخ صالح بن العرندس الحلّي[٣]، وهذه بعض الأبيات منها:

هـم النّـورُ نـور الله جـلّ جـلالهُ ... همُ التينُ والزيتونُ والشفعُ والوترُ
مـهابطُ وحـي اللهِ خـزّانُ عـلمهِ ... مـيامنُ فـي أبـياتِهم نـزلَ الذِكرُ
وأسـماؤهم مكتوبةٌ فـوقَ عـرشِهِ ... ومكـنونةٌ مـن قـبلِ أن يُـخلَق الذرُّ
ولو لاهـــمُ لم يـــخلقِ اللهُ آدمـاً ... ولا كان زيـدٌ فـي الأنـام ولا عـمرو
ولا سُطحِتْ أرضٌ ولا رفعت سـما ... ولا طلعت شمسٌ ولا أشرقَ البـدرُ
ونوحٌ به فـي الفـلك لمّـا دعـا نـجا ... وغـيض بـه طـوفانهُ وقـضي الأمـرُ
ولو لاهـمُ يـعقوبُ مـا زال حـزْنه ... ولا كان عن أيّوب يـنكشفُ الضـرُّ
ولمّـا سـليمانُ البسـاط بـه سـرىٰ ... أُسـيلت له عـينٌ يـفيض له القـطرُ

---

(١) ديوان الشافعي: ٩٣، ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٢: ٢٩٩، مناقب الشافعي ٢: ٧١.

(٣) هو الشيخ صالح بن عبدالوهاب بن العرندس الحلّي، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلفي علمائها في الفقه والأُصول، له مدائح ومراثٍ لأئمة أهل البيت عليهم السلام، تنمُّ عن تفانيه في ولائهم ومناوأته لأعدائهم، توفي في حدود ٨٤٠ هـ بالحلّة الفيحاء ودفن فيها، وله قبر يزار ويتبرك به.

وسخّرتِ الريحُ الرخاءُ بأمره ... فغدوتُها شهرٌ وروحتُها شهرُ
وهم سرُّ موسىٰ والعصا عندما عصى ... أوامره فرعونُ والثقف السحرُ
ولو لاهمُ ما كان عيسىٰ بن مريم ... لعازر من طىّ اللحود له نشرُ
سرىٰ سرّهم في الكائنات وفضلُهم ... وكلُّ نبيٍّ فيه من سرّهم سرُّ
علا بهم قدري وفخري بهم غلا ... ولو لاهمُ ما كان في الناس لي ذكرُ[1]

أشعار الفرزدق:

لمّا حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل إلىٰ الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر علىٰ ذلك لكثرة الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلىٰ الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذْ أقبل الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وكان له جلالة عجيبة، ومنزلة عظيمة في قلوب الناس، فطاف بالبيت، فلمّا انتهىٰ إلىٰ الحجر الأسود تنحىٰ له الناس حتّىٰ استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: مَنْ هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟

فقال هشام: لا أعرفه؛ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام.

وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه.

فقال الشامي من هو يا أبا فراس؟

فقال الفرزدق[2]:

---

(١) المنتخب (للطريحي): ٣٥٥، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم، فمن تميم، كنيته أبو فراس، ولقبه ←

هـــذا الّـــذي تَـــعرِفُ البَـــطْحاءُ

وطأَتَهُ والبيت يَعْرِفُهُ والحِلُّ والحَـرمُ[١]

هـــذا ابـــن خـيرِ عـبادِ اللهِ كُـلّهِمُ

هـــذا التّـقيُّ النـقيُّ الطـاهرُ العَـلَمُ

هـذا ابـنُ فـاطمةٍ إن كُـنتَ جـاهِلَهُ

بـــجدّهِ أَنـــبياءُ اللهِ قـــد خُـــتِمُوا

وليسَ قـــولُكَ: مَـنْ هـذا؟ بـضائِره

العُـرْبُ تَـعرِفُ مَـنْ أنكَـرْتَ والعَـجَمُ

كـــلتا يَـــدَيْهِ غِـياثٌ عـمّ نَـفعُهُما

يُسْـتَوْ كَـفانِ، ولا يَـعرُوهُما عَـدَمُ[٢]

← الفرزدق. ولد في البصرة ونشأ في باديتها، فشبّ بدويّاً، له طباع جافية، وشكيمة قوية، كان الفرزدق محبّاً لأهل البيت عليهم السلام، وإذا مدحهم لا نرىٰ في مدحه لهم تكلّفاً، ولا جنوحاً إلىٰ التكسّب، بخلاف مدحه لغيرهم، وخير دليل علىٰ حبّه لأهل البيت عليهم السلام قصيدته هذه الميميّة التي مدح بها الإمام زين العابدين عليه السلام. توفىٰ الفرزدق عام ١١٤ هـ

(١) البطحاء: أرض منبطحة في وسطها مكّة. البيت: الكعبة. ويقال لها: البيت العتيق والبيت الحرام. الحرم: ما لا يحل انتهاكه وله احكامه الخاصّة، ويقصد به هنا مكة وما أحاط بها من الأرض وله الحدود المعيّنة. الحل: ما جاوز الحرم من الأرض.

(٢) الغياث: الممطر الخاص بالخير. يستوكفان: يستمطران. يعروهما: يلم بهما. العدم: فقدان الشيء، الفقر.

سَـــهْلُ الخَـلِيقَةِ لا تُـخشَىٰ بـوادِرُهُ

يَزِينُهُ اثـنانِ: حُـسنُ الخـلقِ والشـيَمُ[1]

حَـــمّالُ أثـــقالِ أقـوامٍ إذا افـتُدِحُوا

حُـلُو الشّـمائلِ تـحلُو عـندهُ نَـعَمُ[2]

مـــا قـالَ: لا قـطُّ، إلّا فـي تَشَـهّدِهِ

لولا التّشـــهّدُ كـــانتَ لاءهُ نَـــعَمُ

عَـــمَّ البـريّةَ بـالإحسان فـانْقَشَعَتْ

عـنها الغـياهِبُ والإمـلاقُ والعَـدَمُ[3]

إذا رأتْـــهُ قُـــريشٌ قـــال قـــائِلُها

إلىٰ مكـــارِمِ هـــذا يـــنتهي الكَـرَمُ

إلىٰ أن قال:

مـــن مَـعْشَرٍ حُـبُّهم دِيـنٌ وبُـغْضُهمُ

كُـــفْرٌ وقُـــربُهُمُ مـنجىً ومُـعْتَصَمُ

مُـــقَدَّمٌ بَـــعدَ ذِكْـــرِ اللهِ ذِكْـــرُهُمُ

فـي كـلّ بَـدْءٍ ومـختومٌ بـه الكَـلِمُ

---

(١) الخَليقة: الطبيعة.

(٢) افتدحوا: اثقلوا بالمصائب، الشمائل، الواحدة شميلة: الطبع والخصلة. نعم: أي تحلو عنده لفظة نعم، أي يجيب بالايجاب من طلب منه.

(٣) الغياهب: الظلمات. والإملاق: الفقر.

إنْ عُـدّ أهـلُ التُّـقىٰ كـانوا أئـمّتهم

أو قيل: مَنْ خيرُ أهل الأرض؟ قيل: هم

لا يســـتطيعُ جَـــوادٌ بـعد جُـودِهمُ

ولا يـــدانـــيهمُ قـومٌ وإن كـرمُوا[1]

أشعار الصاحب بن عبّاد[2]:

يـاربّ سـهِّلْ زيـاراتـي مشاهِدَهُمْ

فـــانَّ روحـــي تـهوىٰ ذلك الطـينا

يـاربّ صـيِّرْ حـياتي فـي مـحبّتِهمْ

ومـــحشري مَـعَهُم آمـين آمـينا[3]

وقال الصاحب أيضاً:

يـاذا المـعارج ان قـصرت فـي عـملي

وغـــرني مـــن زمـاني كـثرة الأمـل

---

(١) ديوان الفرزدق ٢: ١٧٨ ـ ١٨١، منشورات دار صادر ـ بيروت.

(٢) الصاحب بن عباد: هـو إسـماعيل بـن عبّاد بـن العباس الملّقب بـ«الصـاحب» و«كافي الكفاة» ولد عام ٣٢٦ هـ وتوفي عـام ٣٨٥ هـ كـان وزيـراً خـطير الشأن والجاه، وقطباً من أقطاب الأدب العربي في القرن الرابع الهجري، نثره وشعره، وله في كل من النثر والشعر اسلوبه الخاص المتميّز به، وله المام حسن في مـختلف العلوم، وله أشعار رائعة في مدح أهل البيت عليهم السلام.

(٣) ديوان الصاحب بن عباد: ١١١، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

وســـيلتي أحـــمد وأبـــناه وابـــنته

إليك ثـــمّ أمـــير المـــؤمنين عـــلي[1]

(١) أعيان الشيعة ٧: ٣٠٥.

كلمات من نور

إن لأئمة أهل البيت عليهم السلام من طرائف الحكم ونوادر الكلمات ما يسمو بالنفوس الخيّرة إلى صفوف الملائكة، ويأخذ بالناس إلى الفضيلة والسعادة؛ وذلك لمن عمل بها وتدبّرها.. وما زال أهل البيت عليهم السلام ينشرون مواعظهم القيّمة وارشاداتهم النافعة التي تهذّب النفوس وتهدي القلوب إلى طريق الله اللاحب؛ حرصاً على سعادة البشر في الدارين. ولو لم يكن لأهل البيت عليهم السلام إلّا ما وصل إلينا من الكلمات السامية وهي مبثوثة في بطون الكتب التي بين أيدينا لكفى بذلك دلالة على مقامهم العلمي الإلهي، وعلى اهتمامهم باصلاح الأُمّة..

وإتماماً للبحث فان طبيعته التراثية تقتضي أن نورد جزءاً مما أفاد به أئمة أهل البيت عليهم السلام من حكم، ووصايا، ومواعظ، وأخلاق، ونوادر، في مجال العلم والمعرفة.

وإلى القارئ الكريم ما جمعت شطراً من أقوال أئمّة أهل البيت عليهم السلام الأطهار بما يتعلق بموضوع البحث، فإنّ بها نجعة الرائد، وسدّ عطش الضمآن، وحياة القلوب...:

قال الإمام علي عليه السلام:

«لا تجعلُوا عِلمَكُم جهلاً، ويقينكمُ شكّاً، إذا عَلِمتُم فاعملُوا، وإذا تيقنتُم

فأَقْدِمُوا»[١].

وقال عليه السلام: **«قَطَعَ العِلْمُ عُذْرَ المُتَعَلِّمِين»**[٢].

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام:

«على المُتَعَلِّمِ أنْ يَدْأَبَ نفسَهُ في طَلَبِ العلمِ ولا يَـمَلّ مـن تـعلُّمِهِ ولا يَسْتَكْثِرَ ما عَلِمَ»[٤].

ومن وصية الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام:

«... ولا تَقُلْ ما لا تعلمُ وإنْ قلَّ ما تعلمُ...»[٥].

وقال عليه السلام في خطبة يصف فيها فضل القرآن:

«... وإنّ العالِمَ العامِلَ بغيرِ علمِهِ كالجاهل الحائرِ الذي لا يستفيقُ مـن جَهْلِهِ، بل الحجّةُ عليه أعظمُ، والحسرةُ له ألزمُ، وهو عند الله ألْوَمُ»[٦].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«ما من عبد يغدو فـي طـلب العـلم ويـروح إلّا خـاض فـي الرحـمة خوضاً»[٧].

---

(١) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٥٢٤ رقم ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق: ٥٢٥ رقم ٢٨٤.

(٣) تحف العقول: ٢٩٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ (الليثي الواسطي) :٣٢٨، ط. دار الحديث - قم.

(٥) المصدر السابق: ٣٩٧ رقم ٣٠.

(٦) المصدر السابق: ١٦٤.

(٧) بصائر الدرجات (للصفار): ٢٥١ ح ١٤.

وقال عليه السلام:

«العلم خزائن والمفاتيح السؤال، فسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلّم، والمستمع، والمحب لهم»[١].

وقال عليه السلام:

«إنّ الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله»[٢].

قال الإمام علي عليه السلام:

«أوضَعُ العلم ما وُقِف علىٰ اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان»[٣].

وقال عليه السلام:

«منهومان لا يشبعان: طالب عِلم وطالبُ دنيا»[٤].

وقال عليه السلام:

«كُلّ وعاءٍ يضيقُ بما جُعل فيه إلّا وِعاء العلم، فإنّه يتسع به»[٥].

وقال عليه السلام:

«لا خير في عِبادة لا علم فيها، ولا خير في عِلم لا فهم فيه، ولا خير في قِراءة لا تدبُّر فيها»[٦].

---

(١) الخصال: ٢٢٣.

(٢) أُصول الكافي ١: ٧٠ ح ٨، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

(٣) نهج البلاغة (شرح محمد عبدة) ٣: ١٧ رقم ٩٢.

(٤) نهج البلاغة (شرح محمد عبدة) ٣: ٢٦١ رقم ٤٥٧.

(٥) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٤: ٤٧ رقم ٢٥٠.

(٦) حلية الأولياء (لأبي نعيم الأصبهاني) ١: ٧٧.

وقال عليه السلام:

«العلمُ أكثر من أن يُحصىٰ فخذوا من كلّ شيء أحسنه»[١].

عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام:

«من كتم علماً أحداً، أو أخذ عليه أجراً رفداً، فلا ينفعه أبداً»[٢].

وقال عليه السلام:

«متفقه في الدين أشد علىٰ الشيطان من عبادة ألف عابد»[٣]

عن عمرو بن مرّة عن الإمام علي عليه السلام قال:

«كونوا ينابيع العلم...»[٤].

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كثرة النظر في العلم يفتح العقل»[٥].

وعنه عليه السلام:

«العلم جنّة، والصدق عزّ، والجهل ذلّ، والفهم مجد، والجواد نجح، وحسن الخُلق مجلبة للمودّة، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس، والحزم مساءة الظن»[٦].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ (الليثي الواسطي) :٥٤، ط. دار الحديث - قم.

(٢) حلية الأولياء (لأبي نعيم الأصبهاني) ٣: ١٤٠.

(٣) بصائر الدرجات (للصفار): ٢٧ حديث ٥، بحار الأنوار ١: ٢١٣ حديث ١٠.

(٤) حلية الأولياء (لأبي نعيم الأصبهاني) ١: ٧٧.

(٥) بحار الأنوار ١: ١٣١ حديث ٢٤.

(٦) بحار الأنوار ١: ١٥٩ حديث ٣٢.

وعنه عليه السلام

«العلماء أُمناء، والاتقياء حصون، والأوصياء سادة»[١].

وعنه عليه السلام

«العامل علىٰ غير بصيرة كالسائر علىٰ غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلّا بُعداً»[٢].

وعنه عليه السلام

« لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة علىٰ العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إنّ الإيمان بعضه من بعض»[٣].

عنه عليه السلام

«لا شيء أحسن من الصمت، ولا عدوّ أضرّ من الجهل، ولا داء أدوىٰ من الكذب»[٤].

عنه عليه السلام

«إنّ هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة»[٥].

قال الإمام الهادي عليه السلام:

«خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله...»[٦].

---

(١) اصول الكافي ١: ٢٥ ح ٥، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء.

(٢) المحاسن (للبرقي): ١٩٨ رقم ٢٤، باب المعرفة.

(٣) أُصول الكافي ١: ٣٥ ح ٢، باب من عمل بغير علم.

(٤) حلية الأولياء ٣: ١٩٦.

(٥) اصول الكافي ١: ٣١ ح ٣، باب سؤال العالم وتذاكره.

(٦) بحار الأنوار ٧٨: ٣٧٠ ح ٤.

وقال عليه السلام:

«العجب صارف عن طلب العلم، وداع إلىٰ الغمط[١] والجهل...»[٢].

عن الامام الصادق عليه السلام:

«من حَفِظَ من أحاديثنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً»[٣]

قال الإمام الجواد عليه السلام:

«من عمل بغير علم كان ما يُفسد أكثر ممّا يُصلح»[٤].

وقال عليه السلام أيضاً:

«العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم»[٥].

وقال عليه السلام:

«أربع خصال تعين المرء علىٰ العمل: الصحّة، والغنىٰ، والعلم، والتوفيق»[٦]

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

«تفقهوا في دين الله، فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلىٰ المنازل الرفيعة والرتب العالية في الدنيا والدين»[٧].

---

(١) الغمط: احتقار الناس.

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ٣٦٩ ح ٣.

(٣) اصول الكافي ١: ٣٩ ح ٧، باب النوادر.

(٤) أُصول الكافي ١: ٣٥ ح ٣، باب من عمل بغير علم.

(٥) بحار الأنوار ٧٨: ٨١ ح ٧٢.

(٦) بحار الأنوار ٧٨: ٧٩ ح ٥٧.

(٧) تحف العقول: ٤١٠.

وقال عليه السلام:

«زاحموا العلماء في مجالسهم ولو حبواً علىٰ الركب، فإنّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»[١].

وقال عليه السلام:

«من لم يتفقه في دينه لم يرضَ الله له عملاً»[٢].

عن الإمام علي عليه السلام:

«بذل العلم زكاة العلم»[٣].

عن الإمام الباقر عليه السلام:

«مَن عَلَّمَ باب هُدًىٰ كان له أجرُ مَنْ عَمِلَ بـه، ولا يـنقُصُ اولئك مـن أُجورِهم»[٤].

عن الإمام علي عليه السلام:

«من عَرَفَ نفسه، فقد انتهىٰ إلىٰ غاية كل معرفةٍ وعلمٍ»[٥].

قال الإمام الجواد عليه السلام:

«الشريف كلّ الشريف من شرّفه علمه»[٦].

---

(١) تحف العقول: ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ٣٢١ ح ١٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ (الليثي الواسطي): ١٩٥، ط. دار الحديث - قم.

(٤) بحار الأنوار ٢: ١٩.

(٥) غرر الحكم: ٢٩٣.

(٦) بحار الأنوار ٧٨: ٨٢ ح ٨٢.

قال الإمام علي عليه السلام:

«العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع»[١].

عن الامام الرضا عليه السلام:

«مودة عشرين سنة قرابة، والعلم أجمع لأهله من الآباء».[٢]

عن الامام علي عليه السلام:

«من كساه العلم ثوبه اختفى عن الناس عيبه».[٣]

عنه عليه السلام:

«المؤمن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدّها شيء الى يوم القيامة».[٤]

عنه عليه السلام:

«ما جمع شيء أفضل من حلم الى علم».[٥]

عن الامام الصادق عليه السلام:

«العالم والمتعلّم في الأجر سواء».[٦]

عن الامام الباقر عليه السلام:

«لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محقّراً لمن دونه».[٧]

---

(١) اسعاف الراغبين: ١٧٩، نور الأبصار: ٩٢.

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣١ ح ١٢.

(٣) تحف العقول: ٢١٥.

(٤) بحار الانوار ١: ٧٦ ح ٤٥، الباب ٨ من كتاب العلم.

(٥) أمالي الصدوق: ٢٤٣ ح ٧ المجلس ٤٩ ط. الاعلمي - بيروت.

(٦) بصائر الدرجات: ٢٥ ح ١٥ .

(٧) بحار الانوار ٧٨: ح ٢٠.

عن الامام علي عليه السلام:

«عليكم بطلب العلم، فإنّ طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الاخوان، ودليل على المروّة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر وأنس في الغربة».[١]

وقال عليه السلام:

« لا شرف كالعلم، ولا علم كالتفكر»[٢].

عن الامام الجواد عليه السلام:

«لو سكت الجاهل ما اختلف الناس».[٣]

وهذه الكلمات ـ في الواقع ـ تجري مجرىٰ المواعظ، فيها جزالة اللفظ، ومتانة الأسلوب، وعمق المحتوىٰ.

---

(١) بحار الأنوار ١: ١٨٣ ح ٨٩.

(٢) بحار الأنوار ١: ١٨٣ ح ٨١.

(٣) كشف الغمة (للاربلي)٢: ٣٤٩.

كلمة الختام

انّ المعرفة مسألة اعتقادية، والمسائل الاعتقادية بالنسبة إلى المسائل العملية كالروح بالنسبة إلى الجسد؛ فالصلاة والصوم والحج وسائر المسائل العملية هي فرع للمسائل الاعتقادية، فان صحّت اعتقادات المصلّي صحّت صلاته وهكذا.

وانّ مَنْ عرف مقام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام واعتقد بولايتهم ونظر في أقوالهم وتابعهم في أفعالهم واقتدىٰ بهم، فقد فاز فوزاً عظيماً، ونال الخير كلّه، وبه صرّح رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال:

«مَن مَنّ الله عليه بمعرفة أهل بيتي وولايتهم فقد جمع الله له الخير كلّه»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله:

«ولايتي وولاية أهل بيتي براءة وأمان من النار»[2].

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيّ قطّ إلّا بها»[3].

وعنه عليه السلام: أنّه قال لملأ من الشيعة بعد أن سلّم عليهم: «إني والله أُحبّ

---

(١) بشارة المصطفىٰ: ١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ١٧٦.

(٣) أمالي المفيد: ١٤٢ حديث ٩، أُصول الكافي ١: ٣٦٢ حديث ٣.

ربحكم وأرواحكم، فأعينونا بورع واجتهاد، واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع..»[١].

*****

إذا نظرنا إلى الفكر الإسلامي باطاره الواقعي، وارصدته الروحية والفكرية لوجدناه قائماً على الحق والعلم والمعرفة، لم تشذ مناهجه عن كتاب الله تعالى وسنة نبيهﷺ، ولم تخالف بنوده أيّ سنة من سنن الكون، فجميع تشريعاته وما نطق به أهل البيتعليهم السلام يتمشى مع الطبيعة، ويلتقي مع الفطرة، ويساير العقل، ويواكب تطور الحياة.

نعم، إنّ جميع ما عند مذهب أهل البيتعليهم السلام مستمد من نبيهم وأئمتهم معادن العلم وينابيع الحكمة وروّاد المعرفة، وسفن نجاة هذه الأمة.

*****

إنّ أهل البيتعليهم السلام كانوا من أهم المراكز العلمية العليا للوعي العلمي والثقافي بين المسلمين، وكانت دورهم تشع بأنوار العلم والمعرفة، ولهم الدور البارز والكبير في الحركة العلمية وتطور الفكر الإسلامي.

فحياة أهل البيتعليهم السلام لم تكن حياة عابرة تطوي الزمن جزافاً، أو تصرّف الوقت بتعداد الأيام، بل إنّها حياة تأمّل وتفكير وعطاء علمي وثقافي، تتفجر منهم ينابيع الابداع الخلّاق.

كما انّ علم أهل البيتعليهم السلام من الله تبارك وتعالى، إذْ لم يتكأ علمهم

---

(١) الكافي ٨: ٢١٣ حديث ٢٥٩.

على أسانيد وشيوخ وحلقات درس، ومن كان علمه من النبع الفيّاض، فهو في غنى عن جميع طرق التعليم.

*****

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام في خطبة له يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله:

«هُمْ عَيْشُ العِلْم، وموتُ الجَهْل. يُخبِرُكُمْ حِلْمُهُم عن عِلْمِهم، وظَاهِرُهُم عن باطِنِهم، وصَمْتُهُم عن حِكَمِ مَنطِقِهم. لا يُخالِفُون الحقَّ ولا يَخْتَلِفون فيه. وهُم دَعَائم الإسلام، وولائجُ الإعتصام، بهم عَادَ الحقُّ إلى نِصَابه، وانزاحَ الباطِلُ عن مُقَامِهِ، وانقطعَ لسانُهُ عن مَنْبَتِه. عَقَلُوا الدينَ عَقْلَ وِعايَةٍ ورِعَايَةٍ، لا عَقْلَ سَمَاع وروايةٍ. فإنّ رُواةَ العِلْم كثيرٌ، ورُعاتَهُ قليلٌ»[1].

(١) نهج البلاغة (تحقيق صبحي صالح): ٣٥٧ ـ ٣٥٨ خطبة رقم ٢٣٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

✍ **آداب المتعلّمين:** لنصير الدين الطوسي محمد بن محمد (ت ٦٧٢هـ)، مؤسسة الأعملي ـ بيروت.

✍ **اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات:** للحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، المطبعة العلمية ـ قم.

✍ **الاحتجاج علىٰ أهل اللجاج:** للطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (ق ٦)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

✍ **إحياء الميت بفضائل أهل البيت**عليهم السلام: لجلال الدين السيوطي، ت ٩١١ هـ نشر دار العلوم، وكذلك طبعة منظمة الاعلام الاسلامي في ايران.

✍ **اختيار معرفة الرجال :** (المعروف برجال الكشي)، للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ط .مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

✍ **احقاق الحق وازهاق الباطل:** للقاضي السيد نور الله الحسيني التستري، (ت ١٠١٩ هـ) طبعة منشورات السيد المرعشي ـ قم.

✍ **الأربعون حديثاً:** لابن زهرة، السيد محي الدين محمّد بن عبد الله، ت ٦٩٣ هـ تحقيق نبيل رضا علوان، نشر مطبعة مهر ـ قم.

✍ **الإرشاد إلىٰ حجج الله علىٰ العباد**، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، (ت ٤١٣ هـ) ،تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.

✍ **أسباب النزول:** للواحدي علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ)، طبعة بيروت.

✍ **أسنىٰ المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب:** للجزري الشافعي،

شمس الدين محمد بن محمد،(ت ٨٣٣ هـ)، طبعة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة.

✍ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله القرطبي ، (ت ٤٦٣ هـ) ط. دار الجيل ـ بيروت.

✍ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الأثير، علي بن محمد الجزري، ط. دار الفكر ـ بيروت.

✍ **الاصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، ط. دار صادر، وط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **الأصول العامة للفقه المقارن**، للسيد محمد تقي الحكيم نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

✍ **أعيان الشيعة**، للسيد محسن الأمين العاملي، طبعة بيروت.

✍ **إكمال الدين وإتمام النعمة**، للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ) نشر جماعة المدرسين ـ قم.

✍ **أمالي الصدوق**،للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ).

✍ **الامامة والتبصرة من الحَيرة**، للشيخ علي بن الحسين، أبي الحسن القمي ابن بابويه، (ت ٣٢٩ هـ)، ط .مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

✍ **الإمامة والسياسة**، لابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

✍ **الأنوار النعمانية** للسيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) نشر مطبعة جاب.

✍ **الأمالي**: للشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، ت ٤١٣ هـ ،ط. المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، وط. دار المفيد ـ بيروت.

✍ **الأمالي للشيخ الطوسي**، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) نشر مكتبة الداوري ـ قم المقدسة.

✍ **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**: أسد حيدر، ت ١٤٢٣ هـ طبعة بيروت.
✍ **الإمام الصادق**عليه السلام: للدكتور محمد حسين الصغير، طبعة مؤسسة التعارف ـ بيروت.
✍ **الإمام موسىٰ الكاظم**عليه السلام: للدكتور محمد حسين الصغير، طبعة مؤسسة البلاغ ـ بيروت.
✍ **أهل البيت في المكتبة العربية**، للسيد عبدالعزيز الطباطبائي ط.مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
✍ **أوائل المقالات**: للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣)، طبعة المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
✍ **الإيضاح**: لأبي محمد الفضل بن شاذان الأزدي (ت ٢٦٠هـ) ط.الأعلمي.
✍ **آية التطهير**: للشيخ محمد مهدي الآصفي،معاصر، نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم.
✍ **بحار الأنوار**: للعلّامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١٠) الطبعة ط. دار الوفاء ـ بيروت.
✍ **بصائر الدرجات**: للصفار، محمّد بن الحسن القمي (ت في القرن الثالث الهجري).
✍ **بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضى**: لأبي جعفر محمد الطبري، القرن السادس، الطبعة الثانية، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.
✍ **تاريخ بغداد**:للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت.
✍ **تاريخ الخلفاء**: للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.
✍ **تاريخ دمشق**: لابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) ط. دار الفكر.
✍ **تجريد الاعتقاد**: لنصير الدين الطوسي، محمّد بن محمّد بن الحسن، ت

٦٧٢هـ تحقيق محمّد جواد الجلالي، نشر مركز الاعلام الإسلامي، قم.

تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: لابن أبي شعبة الحسن بن علي، طبعة مؤسسة النشر الاسلامي قم.

تدريب الراوي، شرح تقريب النواوي: للسيوطي عبد الرحمن بن ابى بكر (ت ٩١١هـ) ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

تدوين السنة الشريفة، للسيد محمّد رضا الجلالي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم.

تذكرة الحفاظ: للذهبي محمّد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) ط. دار احياء التراث العربى ـ بيروت.

تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام: لسبط الجوزي، يوسف بن علي البغدادي، ت ٦٥٤ هـ ط. بيروت.

تصحيح الاعتقاد: للشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي، ت ٤١٣ هـ، طبعة المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

التكامل في الاسلام: لأحمد أمين، ت ١٣٩٠هـ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

تفسير الطبري (جامع البيان)، لأبي جعفر الطبري، محمّد بن جرير (ت ٣١٠) ط. دار الفكر ـ بيروت.

تفسير الكشّاف: للزمخشري، جار الله محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ ط. دار المعرفة، وطبعة البابي ـ مصر.

تفسير روح المعاني: للآلوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، (ت ١٢٧٠ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

تهذيب الأسماء واللغات: للنووي محى الدين بن شرف، ت ٦٧٦هـ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

التوحيد، للشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، محمّد بن علي ط. جامعة المدرسين ـ قم.

✍ **توحيد المفضل**، من إملاء الإمام جعفر الصادق عليه السلام على الراوي المفضل بن عمر الجعفي، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ.

✍ **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل)**: ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي ٧٩١ هـ طبعة دار الرشيد ـ بيروت.

✍ **تفسير الدر المنثور**: لجلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ طبعة دار الفكر ـ بيروت.

✍ **تفسير الميزان**: للسيد محمّد حسين الطباطبائي ،ت ١٤٠٢هـ طبعة اسماعليان، وغيرها.

✍ **تفسير الرازي**: للفخر الرازي، محمد بن عمر، ت ٦٠٦ هـ

✍ **تفسير القرطبي**: للقرطبي، أحمد بن محمد، ت ٦٧١ هـ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

✍ **تفسير التبيان**: للشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن، ت ٤٦٠ هـ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت..

✍ **التمهيد لقواعد التوحيد**: لمحمود بن زيد الحنفي الماتُريدي، من آواخر القرن الخامس الهجري، طبعة دار الغرب الإسلامي.

✍ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للمزّي، جمال الدين يوسف،(ت ٧٤٢ هـ) طبعة مؤسسة الرسالة.

✍ **جامع الأُصول من أحاديث الرسول** صلى الله عليه وآله: لابن الاثير الجزري، مجدالدين المبارك بن محمّد، (ت ٦٠٦ هـ)، ط. دار الفكر ـ بيروت.

✍ **جواهر المطالب فى مناقب عليّ بن أبي طالب** عليه السلام: للدمشقي الباعونى الشافعي، محمّد بن أحمد، (ت ٨٧١ هـ)، تحقيق محمّد باقر المحمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم.

✍ **حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار** عليهم السلام: للسيد هاشم

البحراني، ت ١١٠٩ هـ نشر مؤسسة الأعلمي.

✍ **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ) ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

✍ **حياة الامام علي عليه السلام** للشيخ باقر شريف القرشي.

✍ **حياة الامام الصادق عليه السلام** للشيخ باقر شريف القرشي.

✍ **الخصائص، فضائل الإمام علي عليه السلام**، للنسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣)، ط. مكتبة المعلا ـ الكويت.

✍ **خصائص الائمة عليهم السلام**: للشريف الرضي، محمّد بن الحسن الموسوي البغدادي، (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق محمّد هادي الأميني، و ط. منشورات الرضي.

✍ **الخصال**، للشيخ الصدوق (ت ٣٨٠)، محمّد بن علي، ط. جامعة المدرسين ـ قم.

✍ **دائرة معارف** القرن العشرين، لمحمّد فريد وجدي ط. دار المعرفة ـ بيروت.

✍ **دلائل الصدق ونهج الحق**: للشيخ محمّد حسن المظفر، ت ١٣٧٥ هـ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

✍ **ديوان السيد الحميري**: إسماعيل بن محمّد الحميري، ت ١٧٣ هـ طبعة دار صادر ـ بيروت.

✍ **ديوان الشافعي**: محمد بن إدريس الشافعي، ت ٢٠٤ هـ تحقيق الدكتور إميل بديع، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

✍ **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ**، لأحمد بن محمّد الطبري (ت ٦٩٤)، نشر مكتبة الصحابة جدّة.

✍ **الذخيرة في علم الكلام**: للشريف المرتضىٰ، علي بن الحسين البغدادي، (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

✍ **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**،للشيخ آغا بزرك الطهراني ت ١٣٨٨ هط. دار الأضواء ـ بيروت.

✍ **رجال الطوسي**، للشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن، (ت ٤٦٠) ط. المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف.

✍ **رجال النجاشي**، للشيخ أحمد بن علي الأسدي (ت ٤٥٠).

✍ **الرحلة المدرسية**، للشيخ محمد جواد البلاغي، دار المرتضىٰ.

✍ **رسالة الإسلام**، مجلة فصلية من دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

✍ **الرياض النضرة في مناقب العشرة:** لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري الشافعي، ت ٦٩٤ هـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **سعد السعود:** لعلي بن موسىٰ بن طاووس الحلّي، ت ٦٦٤ هـ طبعة منشورات الرضي والدليل.

✍ **سنن الترمذي**، لمحمّد بن محمّد بن عيسى (ت ٢٧٩) ط. بيروت.

✍ **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥هـ

✍ **سنن النسائي:** للنسائي أحمد بن شعيب ٣٠٣ هـ ط. بيروت.

✍ **شرح اصول الكافي** لمحمّد صالح المازندراني، ت ١٠٨١ هـ ط. دار التراث – بيروت.

✍ **شرح جمل العلم والعمل:** للسيد المرتضىٰ، علي بن الحسين، ت ٤٣٦هـ تحقيق الشيخ يعقوب الجعفري المراغي، نشر دار الأسوة.

✍ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد المعتزلي، طبعة مكتبة السيد المرعشي وطبعة بيروت.

✍ **شواهد التنزيل**، لعبدالله بن عبدالله، المعروف بالحاكم الحسكاني، من أعلام القرن الخامس الهجري.

✍ **صبح الأعشىٰ**، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـ) طبع دار الكتب ـ القاهرة.

✍ **الصحيفة السّجادية**، مجموع ما أملاه الإمام زين العابدين٧ من الأدعية.
✍**صحيح مسلم**: لمسلم بن الحجاج النيسابوري ٢٦١هـ تحقيق فؤاد محمّد عبد الباقي، ط. دار الفكر ـ بيروت، وغيرها.
✍ **الصواعق المحرقة**، لابـن حـجر الهـيثمي المكّـي (ت ٩٧٤ هـ) ط. مؤسسة الرسالة.
✍ **الطبقات الكبرىٰ**، لابن سعد، محمد بن سعد الكاتب (ت ٢٣٠هـ). ط. دار صادر ـ بيروت.
✍ **طب الأئمّة عليهم السلام**: لابني بسطام النيسابوري، ت ٤٠١ هـ من منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.
✍ **طب الامام الصادق عليه السلام**: لمحمد الخليلي، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف الاشرف.
✍ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**: لابن طاووس، رضي الدين علي ابن موسى بن جعفر، ت ٦٦٤هـ ط. الاعلمى ـ بيروت.
✍ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**: لابن العربي المالكي، محمد بن عبدالله، ت ٥٤٣ هـ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.
✍ **عبقات الأنوار**، للسيد مير حامد االموسوي اللكهنودي ت ١٣٠٦هـ من علماء الهند الكبار، ط. سيد الشهداء – قم.
✍ **عدّة الأصول**: للشيخ الطوسي، محمّد بـن الحسـن، ت ٤٦٠ هـ طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
✍ **العقد الفريد**، لابن عبد ربّه الاندلسي، طبعة دار الكتب العلمية.
✍ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**، للشيخ الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ).
✍ **الغدير**: للشيخ عبدالحسين الأميني، ت ١٣٩٠ هـ دار الكتب الإسلامية، وطبعة بيروت.

✍ **غاية المرام في حجة الخصام:** للسيد هاشم البحراني، ت ١١٠٩ هـ طبعة دار الكتاب العربي، ومؤسسة التأريخ العربي.

✍ **الغيبة:** للشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن، (ت ٤٦٠ هـ)، ط. مكتبة نينوى وط. مؤسسة المعارف ـ قم.

✍ **الغيبة:** للشيخ النعماني، من القرن الرابع الهجري، ط. مكتبة الصدوق ـ طهران.

✍ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** لابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ

✍ **فتح الملك العلي** بصحة حديث أنا مدينة العلم وبابها علي: لأحمد بن محمّد بن الصديق المغربي المتوفّى سنة ١٣٨٠ هـ

✍ **فرائد السمطين:** للشيخ إبراهيم بن محمّد الجويني، من القرن السابع، تحقيق محمد باقر المحمودي، طبعة مؤسسة المحمودي.

✍ **الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام:** لعلي بن محمد المالكي المكي، الشهير بابن الصباغ، ت ٨٥٥ هـ طبعة دار الأضواء ـ بيروت وطبعة النجف الأشرف.

✍ **الفصول المختارة:** للشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي،ت ٤١٣ هـ، طبعة المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

✍ **فضائل الصحابة:** لأحمد بن حنبل، ت ٢٤١ هـ نشر مؤسسة الرسالة، جامعة أُم القرىٰ ـ مكة المكرمة.

✍ **فضل أهل البيت:** للمقريزى، تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ تحقيق د. محمّد عاشور، نشر دار الاعتصام.

✍ **الفهرست**، للشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن، (ت ٤٦٠ هـ) ط. المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

✍ **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، طبعة دار الفكر.

✍ **الكافي**، للشيخ الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، طبعة دار الكتب الإسلامية.

✍ **كتاب الضعفاء والمتروكين:** لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمّد، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي):** لأبي إسحاق أحمد، المعروف بالثعلبي، ت ٤٢٧ هـ طبعة دار إحياء التراث العربي.

✍ **كشف الريبة عن احكام الغيبة:** للشهيد الثاني، زين الدين الجبعي العاملي، ت ٩٦٥ هـ تحقيق السيد علي الخراساني، دار الأضواء ـ بيروت.

✍ **كشف الغمة:** للإربلي، علي بن عيسى، ت ٦٨٧ هـ طبعة بيروت.

✍ **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد:** للعلّامة الحلّي، ت ٧٢٦ هـ

✍ **كفاية الطالب:** للگنجي الشافعي، محمد بن يوسف، ت ٦٥٨ هـ طبعة دار احياء التراث الإسلامي ـ طهران.

✍ **كنز العمال**، للمتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ط. مؤسسة الرسالة.

✍ **كنز الفوائد**، لأبي فتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ).

✍ **لسان العرب**، لابن منظور، جمال الدين محمد (ت ٧١١ هـ).

✍ **مجمع الزوائد**، للهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

✍ **مجمع البيان في تفسير القرآن:** للطبرسي، الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨ هـ ط. مكتبة السيد المرعشي.

✍ **مجلة تراثنا:** مجلة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم.

✍ **المحاسن**، للبرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، طبعة دار الكتب الإسلامية.

✍ **مختصر تاريخ دمشق**، لابن منظور، جمال الدين العاملي (ت ٧١١ هـ) ط. دار الفكر ـ بيروت.

✍ **المسند**، لأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).

✍ **مشكل الآثار**: للطحاوي، أحمد بن محمّد المصري الحنفي، ت ٣٢١ هـ ط. حيدر آباد ـ الهند.

✍ **معالم العلماء**: لابن شهرآشوب، محمّد بن علي السروري، ت ٥٨٨ هـ منشورات المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

✍ **ملحقات احقاق الحق**: للسيد شهاب الدين المرعشي، ت ١٤١١ هـ نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

✍ **معالم المدرستين**: للسيد مرتضىٰ العسكري، نشر مؤسسة النعمان ـ بيروت، ونشر الدراسات الإسلامية.

✍ **المعجم الكبير**: للطبراني، سليمان بن أحمد، (ت ٣٦٠) وكذلك معجمه الأوسط ط. مكتبة المعارف ـ الرياض، وايضاً معجمه الصغير ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

✍ **المعرفة**: موسوعة علمية تحت اشراف الدكتور محمّد فؤاد ابراهيم وغيره، ط. ١٩٨٧ ميلادى، نشر شركة ترادكسيم ـ جنيف.

✍ **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**: للراغب الأصفهاني.

✍ **الموسوعة العلمية**: تحت اشراف د. نقولا ناهض، ط. الاولى سنة ١٩٨٥ ميلادى، نشر شركة ترادكسيم ـ جنيف.

✍ **مناقب آل أبي طالب**، للشيخ ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) المطبعة العلمية ـ طهران.

✍ **المناقب**: للخوارزمي، أحمد بن محمد البكري الحنفي المعروف بأخطب خوارزم)، (ت ٥٦٨ هـ) ط. مكتبة نينوى ـ طهران، وط. مؤسسة النشر الاسلامي ـ قم.

✍ **مناقب عليّ بن أبي طالب**عليه السلام: لابن المغازلي، علي بن محمّد الشافعي،

(ت ٤٨٣ هـ)، تحقيق محمّد باقر المحمودي، نشر دار الأضواء ـ بيروت. وكذلك ط. المكتبة الإسلامية ـ طهران.

✍ **المنتخب للطريحي:** للشيخ فخر الدين الطريحي، ت ١٠٨٥ هـ طبعة مكتبة الشريف الرضي قم.

✍ **نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار:** للسيد علي الميلاني، معاصر، مطبعة ياران ـ قم.

✍ **النكت الاعتقادية:** للشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، ت ٤١٣ هـ، طبعة المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

✍ **نهج البلاغة**، مجموع كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي.

✍ **نهج الحق وكشف الصدق:** للعلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، ت ٧٢٦هـ طبعة دار الهجرة، قم.

✍ **نور الأبصار في مناقب آل النبيّ صلى الله عليه وآله المختار:** للشبلنجي، مؤمن بن حسن بن مؤمن، ت ١٠٣٨ هـ نشر دار الفكر بيروت وبهامشه اسعاف الراغبين في سيرة المصطفىٰ للشيخ محمد بن علي الصّبان.

✍ **هدي الساري:** لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ت ٨٥٢ هـ

✍ **وسائل الشيعة:** للشيخ الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، ت ١١٠٤ هـ تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدسة.

✍ **وفيات الأعيان:** لشمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكّان، ت ٦٨١ هـ الطبعة المحققة.

✍ **ينابيع المودّة:** للقندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، (ت ١٢٩٤هـ) ط. الأعلمي بيروت، وط. دار الأسوة ـ قم.

محتويات الكتاب

مقدمة بقلم العلّامة الشيخ باقر شريف القرشي ٥
مقدّمة المؤلف ٧
الفصل الأول ١٥
معرفة أهل البيت عليهم السلام ١٥
أهل البيت عليهم السلام ١٧
أهل البيت عليهم السلام آل النبي صلى الله عليه وآله وعترته: ١٨
عصمة أهل البيت عليهم السلام ١٨
العصمة ليس معناها سلب الاختيار ٢٠
العصمة تحتاج الى نص ٢١
الاستدلال على عصمة أهل البيت عليهم السلام ٢٢
آية التطهير ٢٢
الأمر الأول ٢٤
الأمر الثاني ٢٤
الوقوف على باب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام ٢٩
إدخالهم تحت الكساء ٣٠
الآية لا تشمل نساء النبي صلى الله عليه وآله ٣٢
آيات أُخرىٰ نزلت في أهل البيت عليهم السلام، منها: ٣٦

آية المباهلة ٣٦
آية المودة ٣٨
آية التبليغ ٣٩
حديث الثقلين ٤٠
التصريح بالحديث في مواقف مشهودة ٤١
من دلالات حديث الثقلين ٤٢
رواية «وسنتي» ٤٤
أحاديث أُخرىٰ ٤٥
تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام ٤٥
تشبيه أهل البيت عليهم السلام بالنجوم ٤٦
أهل البيت عليهم السلام أمان للأمّة ٤٧
حديث الحرب والسلم ٤٨
حديث المنزلة ٤٨
ومن الأحاديث الأُخرىٰ أيضاً ٤٩
الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر ٥١
أحاديثهم عليهم السلام أحاديث جدّهم الرسول ٥٦
حجيّة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥٨
الأئمة عليهم السلام والسنة النبوية ٦١
اطاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام ٦٢
لماذا مذهب أهل البيت عليهم السلام؟ ٦٥
الفصل الثاني ٦٩
أهل البيت عليهم السلام والعلم ٦٩
المناهج التثقيفية عند أهل البيت عليهم السلام ٧١

الإشادة بالعلم ٧١
التوجيه الهادف للعلم ٧٢
أـ صدق النية ٧٣
ب ـ العلم والعمل ٧٤
ج ـ بذل العلم ٧٥
تكريم العالم ٧٦
القول بغير علم ٧٧
السؤال من أهل العلم ٧٧
المذاكرة والبحث العلمي ٧٨
تدوين العلم ٧٨
تعليم الأولاد ٧٩
تعليم الحلال والحرام والكتابة ٧٩
تعليم العلوم الحقّة ٨٠
العلم افضل من المال ٨٠
الحث على الجد والمثابرة ٨١
الحث على طلب العلم ٨١
الفقهاء والسلاطين ٨١
التشجيع على التصنيف ٨٢
الاهتمام بالفقهاء وأهل العلم ٨٣
خصائصهم عليهم السلام في العلم ٨٤
١ ـ خزنة علم الله ٨٤
٢ ـ ورثة علم الأنبياء عليهم السلام ٨٥
٣ ـ معدن العلم ٨٥

٤ ـ عيبة علم الله ٨٦
٥ ـ مستقى العلم ٨٦
٦ ـ أعلم الناس ٨٦
٧ ـ عيش العلم ٨٧
٨ ـ الراسخون في العلم ٨٧
٩ – أبواب العلم في الأمة ٨٧
المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام ٨٩
أولاً: جعلهم عدلاً للكتاب ٨٩
ثانياً: تصريح النبي صلى الله عليه وآله ٩١
ثالثاً: التراث العلمي والمعرفي ٩٣
نهج البلاغة: للإمام علي عليه السلام ٩٤
غرر الحكم ودرر الكلم للإمام عليه السلام أيضاً ٩٤
مسند الإمام علي عليه السلام ٩٤
الصحيفة العلوية ٩٤
مائة كلمة للإمام على عليه السلام ٩٤
دعاء عرفة: للإمام الحسين عليه السلام ٩٤
الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام ٩٥
رسالة الحقوق: للإمام زين العابدين عليه السلام ٩٥
كتاب توحيد المفضّل: الذي أملاه الإمام الصادق عليه السلام على المفضّل ٩٥
الأهليجية في التوحيد ٩٦
الأهوازية ٩٦
الرسالة الذهبية ٩٦

التراث الحديثي الضخم ٩٧
اعتراف الصحابة وغيرهم ٩٧
رجوع الآخرين إليهم ٩٩
الفصل الثالث ١٠١
غزارة علوم اهل البيت عليهم السلام ١٠١
تنوع علوم أهل البيت عليهم السلام ١٠٣
التوحيد وعلم الكلام ١٠٣
التفسير وعلوم القرآن الكريم ١٠٩
الفقه وأُصول الفقه ١١٣
الحديث الشريف ١١٥
العرفان ١١٦
العلوم التجريبية ١١٨
علم الكيمياء ١١٩
الإمام الصادق عليه السلام وعلم الكيمياء ١٢١
علم الفيزياء ١٢٣
قانون الأجسام الصلبة ١٢٣
الزمان والمكان نسبيان ١٢٥
نظرية الضوء ١٢٦
علم الطب ١٢٨
علم الفلك ١٣٢
علم الحيوان ١٣٦
النملة ١٣٦
الجراد ١٣٧

الطير ١٣٨
العنكبوت ١٣٨
النحل ١٣٩
من المسائل العلمية ١٤٠
المناظرات والاحتجاجات ١٤٢
نماذج من احتجاجاتهم ومناظراتهم عليهم السلام ١٤٥
احتجاج الإمام الباقر عليه السلام على عبدالله بن نافع بن الأزرق .. ١٤٥
مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع أشخاص مختلفين ١٤٥
مناظرة الإمام موسى الكاظم عليه السلام مع حكّام عصره ١٤٦
مناظرة الامام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون ١٤٨
الاختبار العلمي للأئمة عليهم السلام ١٥٢
المنصور والإمام الصادق عليه السلام ١٥٢
الإمام الرضا عليه السلام والمأمون ١٥٣
الامام الجواد عليه السلام والمأمون ١٥٤
المتوكل يدعو ابن السكيت لامتحان الإمام الهادي عليه السلام ... ١٥٥
علم الغيب عند أهل البيت عليهم السلام ١٥٧
علمهم عليهم السلام بالغيب هو افاضة من الله تعالى ١٥٩
نماذج من علم الغيب ١٦٢
كيفية تلقي العلوم مختلفة ١٦٦
الأول: العلوم التي تحصل بالتعلّم من الغير عن طريق الاساتذة . ١٦٨
الثاني:العلوم التي تحصل لبعض الأفراد من الله عن طريق الالقاء ١٦٨
العلوم في عصر الظهور ١٧٠
الفصل الرابع ١٧٥

دورهم عليهم السلام العلمي في تثبيت الرسالة ١٧٧
مدرسة أهل البيت عليهم السلام ١٧٧
تلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام ١٧٨
اهتمامهم عليهم السلام بتلامذتهم ١٨٠
تدوين علوم أهل البيت عليهم السلام ١٨١
عطاؤهم عليهم السلام العلمي وملامح عصرهم ١٨٤
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ١٨٤
شخصية الإمام عليه السلام الجذّابة ١٨٦
الإمام علي عليه السلام أعلم الصحابة ١٨٨
الإمام الحسن عليه السلام ١٩٦
الامام الحسين عليه السلام ١٩٨
الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ١٩٩
الامام الباقر عليه السلام ٢٠١
الامام الصادق عليه السلام ٢٠٣
الإمام الكاظم عليه السلام ٢٠٥
الامام الرضا عليه السلام ٢٠٨
من كرامات الإمام الرضا عليه السلام ٢٠٨
الامام الجواد عليه السلام ٢١١
الامام الهادي عليه السلام ٢١٢
الامام الحسن العسكري عليه السلام ٢١٥
مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام ٢١٧
١ ـ القرآن الكريم ٢١٧
٢ ـ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ٢١٩

٣ ـ انتقال العلوم من إمام إلى آخر ٢٢٠
٤ ـ التحديث والالهام ٢٢١
٥ ـ الجامعة ٢٢٤
٦ ـ الجفر ٢٢٦
٧ ـ مصحف فاطمة عليها السلام ٢٢٨
الخاتمة ٢٣١
أشعار في مدح أهل البيت عليهم السلام ٢٣٣
أشعار السيد الحميري ٢٣٣
اشعار الشافعي ٢٣٤
أشعار الشيخ صالح ابن العرندس ٢٣٥
أشعار الفرزدق ٢٣٦
أشعار الصاحب بن عبّاد ٢٣٩
كلمات من نور ٢٤١
كلمة الختام ٢٥٠
المصادر والمراجع ٢٥٣